

مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

احسن الطرق لارسال الدراهم هي الحوالات على البوسطة المصرية باسم ادارة الهلال بمصر

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN M. R. A. S.

SUBSCRIPTION: 26 P^TS. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XX

1 October, 1911

AL-HILAL Printing Office, Cairo

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر



الجزء الاول من السنة العشرين

اول اكتوبر (ت ١) سنة ١٩١١ ــ ٨ شوال سنة ١٣٢٩

مشاهير الحوادث واعاظم الرجال

فرنسا والمانيا

تاريخ علاقاتهما والمقابلة بين قوتيهما

احتدم الجدال بين فرنسا والمانيا في هذه الايام بسبب مراكش حتى اصبحت الحرب على الابواب . فرأينا ان نلم بتاريخ علاقتهما والمقابلة بين قواتهما وسائر احوالهما

حرب السبعين

لم تقع بين هاتين الدولتين حرب اعظم من حربهما سنة ١٨٧٠ وتعرف بحرب السبعين ولم تكن المانيا قد تألفت [illegible] الاخرى [illegible]
وبروسيا احدى الدول الالمانية [illegible] ايضا بحرب [illegible]

اسباب الحرب

استولى نابوليون الثالث على عرش فرنسا سنة ١٨٥٢ فكانت سيادته سبباً في رسوخ قدم الدولة الفرنساوية . وكانت مدة حكمه افضل حكومة عاناها الشعب الفرنساوي من حيث الرقي ورسوخ الدولة لانه كان حازماً عاقلاً . وفي ايامه اتسعت التجارة الفرنساوية وامتدت السكك الحديدية وتعددت المناجم والمعامل وعمرت المدن الكبرى ولا سيما باريس حتى اصبحت اعظم عواصم اوربا



نابوليون الثالث

على ان هذا لم يتم الا بالانفاق الكثير فعاد ذلك على الامة الفرنساوية بالضرائب الفادحة . وقد فات نابوليون من الجهة الاخرى ان يرقي الشعب الفرنساوي بالتعليم اللازم على الطرق الحديثة فظلت الافكار مقيدة . وكان نابوليون يعتقد ان الحكومة الملكية الاستبدادية خير الحكومات . والف كتاباً ضخماً في سيرة يوليوس قيصر ذكر فيه الفرق بين الحكومتين الملكية الاستبدادية والدستورية وفضل الاولى . وتعهد انه يضمن تقدم فرنسا بها ولا يكون ذلك الا بتوسيع دائرة سلطانها بالفتوح أو تقدمها على سائر الدول بالنفوذ

وظلّ نابوليون الثالث قابضاً على حكومته بيدٍ من حديد لا يجسر احد على مقاومة ارادته . حتى اذا شاخ في اواخر ايامه تغلب عليه بعض مخالفيه في هذا الرأي من رجال السياسة واهمهم اثنان لويس تيارس السياسي المؤرخ وجول فافر . وقوي الحزب المعارض فخاف الامبراطور منه فاراد ان يحاسنهُ فامر مجلس الشيوخ ان يضع دستوراً جديداً مبنيًّا على القواعد النيابية الصحيحة فوضعه ونشره في ١٥ اغسطس سنة ١٨٦٩ فتشكل مجلس النواب وعُهد الى أحد اعضائه (أميل اوليفيه) تشكيل وزارة فشكلها من وزراء اكثرهم من طلاَّب السلام المعارضين للحكم الملكي

وكان الامبراطور ينظر الى بروسيا نظر الارتياب ولا سيما بعد ان حاربت النمسا حرب السبعة الاسابيع المشهورة وانتصرت عليها . ورأى من دهاء وزيرها بسمارك ما خوفه على دولته لان هذا الداهية الالماني كان يعتقد ان الالمان لا يتحدون ويجتمع كلمتهم الا بعد محاربة فرنسا والتغلب عليها . وكانوا الى ذلك العهد أمماً متفرقة كل منها تحكم نفسها . اشهرها بروسيا التي نحن في صددها وملكها وليم الاول بن فريدريك وليم الثالث المولود سنة ١٧٩٧

اصل النزاع

على ان النزاع بدأ بين الدولتين بعد الفراغ من حرب الاسابيع السبعة سنة ١٨٦٦ اذ طلب الامبراطور نابوليون الثالث من ملك بروسيا ان يتنازل له عن الارضين الالمانية الواقعة على ضفاف الرين الغربية في مقابل ما نالته بروسيا من اتساع مملكتها على اثر تلك الحرب لان تلك الارضين من جملة حدود فرنسا الطبيعية . فاجاب بسمارك بالرفض القطعي . فعاد نابوليون عن طلبه وعوض عنه بلائحة قدمها على يد سفيره في برلين يطلب فيها ان تضم فرنسا مملكة البلجيك الى املاكها وان تساعد بروسيا في مقابل ذلك باخضاع جنوبي المانيا لها . فاغتنم بسمارك تلك الفرصة وحبس اللائحة عنده لحين الحاجة ولم يجب عليها بشيء

واراد نابوليون سنة ١٨٦٧ ان يبتاع دوقية لوكسنبرج من ملك هولندا وكان هذا الملك شديد الرغبة في بيعها لحاجته الى نقود. فاعترض بسمارك وطلب ضم لوكسنبرج الى بروسيا لانها جزء من المانيا وان تقام فيها حامية بروسيانية . واشتد الجدال بين

الدولتين لكنه لم يفض الى حرب . وانما انتهى بموئتمر عقد في لندن قضى باستقلال لوكسنبرج وجعلها مقاطعة قائمة بنفسها بضمانة الدول . فآل هذا الفشل الى ضعف نفوذ فرنسا وكانت الى ذلك الحين في مقدمة الدول الكبرى في اوربا . واخذ نفوذ بروسيا في التغلب وطارت شهرة بسمارك في الآفاق وتعاظم التضاغن بين الدولتين واعتقد الفرنساويون انهم لا يستردون نفوذهم الا بالحرب فاخذوا يتأهبون لها

٣



البرنس بسمارك

وفي اول يوليو سنة ١٨٧٠ طلب الجنرال بريم وزير مملكة اسبانيا من الامير ليوبولد هوهنزولرن احد امراء الالمان ان يرشح نفسه لحكومة الاسبان وكان منصب الملك فيها خالياً . فعدّت فرنسا ذلك الطلب مخلاًّ بحقوقها فاعترضت عليه اشد الاعتراض وكتبت الى سفير بروسيا في باريس مذكرة شديدة اللهجة . فشخص السفير الى ايمس لمقابلة ملك بروسيا . وتمسك الجنرال بريم بترشيح البرنس ليوبولد المذكور ريثما يجتمع مجلس الامة الاسباني ويبدي رأيه . واجابت بروسيا على مذكرة فرنسا انها لم تداخل في ترشيح ذلك الامير وان مصادقتها على ذلك انما تكون بعد اقرار مجلس الامة الاسباني عليه . فاذا اقرّ المجلس المذكور على ترشيحه لا يسع ملك بروسيا الا معاضدته والاخذ بناصره

ولما اجتمع مجلس الاسبان اقرّ على اختيار ليو بولد والمظنون ان ذلك حصل بدسيسة من البرنس بسمارك ليحمل الفرنساويين على طلب الحرب وهو يعلم تسرعهم في الدفاع عن شرفهم مع ما اصابهم من الفشل وضعة الجانب . وكانت فرنسا آخذة في التأهب فاصبحت المملكة قائمة قاعدة في التجنيد ولا سيما في طولون وشربورغ وغيرهما من المواني الفرنساوية واخذت في حشد جيوشها نحو الرين. وتولى قيادة الحرس الملوكي الجنرال بازين وقيادة جند الرين الجنرال مكماهون .فابى الامير ليو بولدهوهنزلرن ان يكون سبباً لتلك الحرب فانسحب من ذلك المنصب وصادق ملك بروسيا على انسحابه باعتبار كونه رئيساً لاسرة هوهنزلرن . فابى الامبراطور نابليون الا ان يكون



الجنرال مولتكي القائد البروسياني

اعترافه بصفته ملكاً على بروسيا . فعظم ذلك على هذا الملك وجرد جنده نحو الرين بسرعة . ووجد بسمارك الداهية انه قد آن الوقت لنشر اللائحة التي كانت فرنسا قد عرضتها عليه سنة ١٨٦٧ بضم بلجيكا الى املاكها فنشرها فاحدثت تأثيراً شديداً في اوربا ولا سيما في انكلترا لانها كانت قد ضمنت سلامة بلجيكا فطلبت من

امبراطور الفرنساويين الضمانات اللازمة على سلامة تلك المملكة في اثنـاء حربه مع البروسيانيين

قامت الحرب على ساق وقدم وتقدمت سائر المقاطعات الالمانية للاخذ بناصر البروسيانيين وعهد بقيادة الجند الالماني الى فريدريك وليم ولي العهد وابن عمه البرنس فريدريك شارلس . على ان القيادة العامة انما هي لوليم ملك بروسيا ولكنه عهد بها الى الجنرال الكونت فون مولتكي وهو من اكبر قواد العالم . فاجتمع الجند الالماني بين مايانيس وكوبلنس ثم زحف على الحـدود الفرنساوية . واجتمعت الجنود الفرنساوية بقرب نانسي وميتز ثم زحفت على الحدود الالمانية وتولى قيادتها الامبراطور نابليون بنفسه . ولم ينقضِ يوليو من تلك السنة حتى بلغ ما اجتمع من الجند الالماني في تلك الحرب ٧٠٠ ٠٠٠ مقاتل منتشرة على الحـدود الفرنساوية من موسيل الى الرين . وبلغت الجنود الفرنساوية ٣٥٠ ٠٠٠ مقاتل فقط وقـد احتشدوا على الجانب الآخر

اول الحرب

Saarbruck ابتدأت المعركة الاولى في ٣٠ يليو وانتهت في اول اوغسطس في ساربروكن فاز بها الفرنساويون ففتحوا ذلك البلد ودخلوه ظافرين ثم تحول النصر الى البروسيانيين ففي ٤ اوغسطس استولوا على ويسنبورج بقيادة ولي العهد فقتل الجنرال دواي قائد الجند الفرنساوي هناك واسر نحو ٨٠٠ من الفرنساويين واصبح البروسيانيون من ذلك الحين مهاجمين بعد ان كانوا مدافعين . وفي ٦ منه جرت واقعة وورث woeth والبروسيانيون بقيادة ولي العهد فشتتوا شمل الفرنساويين وقائدهم المارشال مكماهون واخذوا منهم ٤٠٠٠ أسير وفرقوا بينهم وبين سائر الجند . وبلغت خسائر الفرنساويين يومئذ ١١٠٠٠ نفس ولم تتجاوز خسائر البروسيانيين ٣٥٠٠ واسترجعوا ساربروكن . وطاردوا الفرنساويين حتى اخرجوهم من فورباخ وسان افولد وتيونفيل واخذوا منهم ٨٠٠٠ اسير . وتقهقر الفرنساويون الى ميتز فتعقبهم البروسيان تيونويل

ولما بلغت اخبار ذلك الانهزام الى باريس هاج اهلهـا وماجوا ووقع الرعب في قلوبهم وخاف رجال الحكومة ان يثور الاهلون ويخلعوا الامبراطور فتلافوا ذلك الخطر

شورات نشروها في البورصة قالوا فيها ان البروسيانيين دُحروا وكان النصر
رنساويين . ثم ظهر كذب ذلك الخبر وان الوزارة انما زورته لخداع الاهلين فهاج
شعب وهجموا على قصر اوليفيه رئيس الوزارة وطلبوا الخبر الصحيح . فلم يخبرهم الا
سقوط و يسنبرج وفي اليوم التالي بلغهم سقوط وورث وفورباخ فهاج الشعب على الوزارة.
كانت الامبراطورة اوجني هناك نائبة عن زوجها فجمعت مجلس الشيوخ والمجلس
لتشريعي في ٩ اوغسطس سنة ١٨٧٠ ولم يكد اوليفيه يقف للخطابة حتى عارضوه
باستقالات وزارته وتشكلت وزارة جديدة برئاسة الكونت باليكاو

٣



المارشال مكماهون القائد الفرنساوي

وفي اثناء ذلك استعفى المارشال لابوف وكان تحت يد الامبراطور فعين المارشال
مازين قائداً عاماً للجند الفرنساوي . وتقدم جناح الجند البروسياني وقلبه تحت قيادة
الجنرال فون شتاينمتز والبرنس فريدريك شارلس الى ميتز عاصمة اللورين . وذهب
الجنرال فون وردرشتين ايضاً مع جنود جنوبي المانيا لمحاصرة ستراسبوورج اكبر مدن
الالزاس . وسار ولي العهد بجند يطلب المارشال مكماهون في نانسي . فما عتم ان فتحها

وتقهقر مكماهون الى شالون سير مارن . وفاز الجند البروسياني مثل هذا الفوز في ميتز وتقهقر الفرنساويون بخسائر فادحة . وفي ١٥ اوغسطس سنة ١٨٧٠ عبر البروسيانيون نهر موسيل بين متز وتيونفيل ليقطعوا على بازين خط الرجوع الى باريس . وفي ١٦ منه حدثت معركة في فيونفيل دُحر فيها الفرنساويون واصبحوا في خطر شديد . واجتمعوا في اليوم التالي من كل صوب ليدافعوا الدفاع الاخير فحدثت معركة ريزونفيل غربي ميتز في ١٧ اوغسطس دامت تسع ساعات فشل فيها بازين وجنده وكثر القتل في الجانبين حتى تغطت السهول بالجثث . وبلغت خسائر الفرنساويين في ذلك الاسبوع نحو ٥٠٠٠٠ بين قتيل وجريح واسير . وكانت خسائر البروسيانيين كثيرة ايضاً . واخيراً حوصر بازين بجوار ميتز وقطعت العلائق بينه وبين باريس فاصبح في ضيق شديد . وكان ولي العهد من الجهة الاخرى قد تجاوز ميتز بمئتي الف مقاتل نحو الجنوب يطلب باريس بطريق شالون سير مارن وامامه المارشال مكماهون يتقهقر بما بقي من جنده . ثم انتقل الملك وليم بجنده قرب ميتز ورافق ولي العهد لحصر باريس

اما مكماهون بعد جلائه عن شالون سير مارن في ٢٣ اوغسطس جاءه المدد فاراد ان ينجد بازين قرب ميتز فعدل ولي العهد عن طريقه الى العاصمة وتعقب مكماهون شمالاً الى حدود بلجيكا وحدث بين الجندين مناوشات قوية في ٢٨ و٢٩ اوغسطس . وفي ٣٠ منه تحرك مكماهون نحو مونمدي فلقيه البروسيانيون وغلبوه على امره واخذوا منه ١٢ مدفعاً والوفاً من الاسرى . وجاء الجيشين مدد في ذلك الليل فحدثت المعركة في الصباح (٣١ منه) فغُلب الفرنساويون وتقهقروا الى سيدان

التسليم

وفي الصباح التالي (اول سبتمبر) جاء المدد الى جند مكماهون فتحصن في مكان قرب سيدان عند حدود بلجيكا فبدأ البروسيانيون الحرب من الساعة الخامسة صباحاً ودافع الفرنساويون دفاع الابطال . وفي الظهر ارتد البروسيانيون عنهم بلاجدوى فاعادوا الكرة بعزم ثابت فارتدوا خاسرين فعظم ذلك عليهم فهجموا في الساعة ٣ بعد الظهر هجوم اليأس ولم يستطع الفرنساويون ردهم ففر الفرنساويون فتعقبهم اعداؤهم حتى اظلم الليل فعاد البروسيانيون ظافرين لكنهم خسروا ٣٠٠٠٠ بين قتيل وجريح وخسر الفرنساويون ٢٠٠٠٠ فقط

وفعل المارشال بازين نحو هذا الفعل في اول ستمبر ليتخلص من حصاره فلم ينجح . واصيب المارشال مكماهون بجرح في اثناء تلك المعركة ويئس جنده من الظفر فسلم لملك بروسيا

اما الامبراطور نابليون فكان مع مكماهون في سيدان ولم تبق له حيلة في الدفاع لذهاب جنده فسلم هو ايضاً . وهاك نص قوله في كتاب التسليم « بما اني لا استطيع ان اموت في مقدمة رجالي (لانهم سلموا) فاني القي سيفي عند قدمي جلالتكم » فعامله الملك بلطف واكرام وافرد له قصراً قرب كاسل لسكناه في اثناء اسره

قلب الحكومة الفرنساوية

ولما بلغ الباريسيين تسليم مكماهون والامبراطور في سيدان اسقط في ايديهم واخذوا يتجمهرون في الاسواق والاندية يطالبون خلع الامبراطور وطرد اسرته وانشاء جمهورية . وفي ٤ سبتمبر اشتدت الواقعة وتعاظم الخطب واتفق الحرس الوطني مع الشعب على اعادة الجمهورية واخذوا يرتلون النشيد الوطني (مرسيليز) وصاحوا يطالبون خلع الاسرة المالكة وانشاء جمهورية . وعطل مجلس الشيوخ وحل المجلس التشريعي واعلنوا ان الاسرة البونابرتية خانت الوطن . ومشى اعضاء الجمهورية الى دار الحكومة ونظموا حكومة موقتة مؤلفة من ١١ شخصاً منهم عمانويل اراغوا وعمانويل كريميو وجول فري وجول فافر وجول سيمون وليون غمبتا وغيرهم وكلهم من نواب باريس . فطار الباريسيون فرحاً بقلب الحكومة وتعانقوا وبكوا من الفرح وهجموا على كل ما للامبراطور فافسدوه وانزلوا شارات الملكية

وفي اليوم التالي (٥ سبتمبر) اعلنت الحكومة الوقتية انقلاب الحكومة الى جمهورية وانحلال المشيخة ومجلس التشريع . جرى ذلك كله ولم يختلف فيه اثنان ولا انتطح فيه عنزان . وفرّت الامبراطورة اوجني من باريس الى انكلترا وكانت جمهورية الولايات المتحدة في مقدمة الحكومات التي اعترفت بالجمهورية الفرنساوية

حصار باريس

أما البروسيانيون فبعد ان سلم لهم مكماهون والامبراطور نابليون في سيدان زحف ملكهم ومعه ولي عهده وولي عهد سكسونيا والكونت فون مولتكي والكونت فون

بسمارك على باريس في ٤٠٠٠٠٠ مقاتل فوصلوها وحاصروها و بذل الباريسيون جهدهم في عقد الصلح مع المانيا ورحل تيارس السياسي المؤرخ المتقدم ذكره الى لندن وفينا و بطرسبورج يلتمس التوسط في ذلك ولم ينجح . وخرج جول فافر وهو وزير الخارجية يومئذ لزيارة الكونت فون بسمارك يطلب كف العدوان وعقد الصلح فاجابه بسمارك « ان الصلح لا يمكن عقده اذ ليس في باريس حكومة ثابتة . ومع ذلك فان بروسيا لا يمكن ان تتنازل عن ضم الالزاس واللورين الفرنساويتين الى املاكها » فابى الفرنساويون ان يتنازلوا عن شيء من املاكهم . لكن البروسيانيين من يوم وطئوا فرنسا بعثوا جنداً احتل استراسبورج

وفي ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٠ تجمع نصف مليون من الجند البروسياني حول باريس واعلنوا حصارها ونزل الملك وليم في فرير وولي عهده في فرسايل وولي عهد سكسونيا في غران ترمبلي . وكان في باريس من الحامية ٢٣٠٠٠٠ بقيادة الجنرال تروشو وعزم الباريسيون على التفاني في الدفاع عن عاصمتهم وكانوا قد حصنوها وتمونوا لها . فحدثت وقائع عديدة لا فائدة من ذكرها وكان بعض اعضاء الحكومة الوقتية قد خرجوا الى تورس قبل الحصار ليستطيعوا مخابرة العالم الخارجي وكانوا يخابرون رفاقهم في باريس بواسطة المناطيد . وانخرط الجنرال غاريبالدي وولداه في خدمة الجمهورية الفرنساوية . واجتمع نحو مئة الف مقاتل من الفرنساويين من لوار . على ان الحصار اشتد على الفرنساويين في غير باريس ايضاً . فاضطر الجنرال بازين الى تسليم ميتز ومن فيها في ٢٧ اكتوبر فكان لهذا التسليم وقع شديد على قلوب الفرنساويين واتهموا بازين بالخيانة لانه لم يكن ممن اعترفوا بالجمهورية . فاعلنوا خيانته وان يقبض عليه حيثما وجد

الوحدة الالمانية

وعاد الفرنساويون الى المخابرة بشان الصلح فلم يقبل بسمارك به ما لم تترك الالزاس واللورين لبروسيا وحدث في اثناء ذلك وقائع كثيرة لا محل لها . وفي اثناء ذلك الحصار انضمت سائر مقاطعات المانيا الى بروسيا وصاروا مملكة واحدة سموها امبراطورية المانيا وسموا وليم الاول ملك بروسيا امبراطوراً عليها دعوه امبراطور المانيا واعلنوا ذلك رسميًّا في ١٨ يناير سنة ١٨٧١

عقد الصلح

وبالغوا في تشديد الحصار على باريس حتى ذاق اهلها العذاب الشديد من الضيق عادوا الى المخابرة بشأن الصلح قهراً فخابروا الالمان وتم الاتفاق اخيراً على هدنة ثلاثة سابيع ينتخب الفرنساويون في اثنائها نواباً ينوبون عن الامة في عقد الصلح في بوردو. عقدوا لذلك اتفاقاً في ٢٨ يناير سنة ١٨٧١ وقع عليه جول فافر بالنيابة عن الفرنساويين و بسمارك عن الالمان . وبذل الفرنساويون جهدهم على اختلاف احزابهم في انتخاب وابهم وتم ذلك في ٨ فبراير وكانت الاكثرية من حزب الجمهوريين والاورليانيين . فاجتمع مجلس النواب في بوردو في ١٥ فبراير وانتخب تيارس رئيساً له وللجمهورية الفرنساوية بالاجماع . وبعد المداولة والاخذ والرد تم الاتفاق في ٢٨ فبراير سنة ١٨٧١ على معاهدة امضاها تيارس وفافر عن الفرنساويين و بسمارك عن الالمان . تقضي أن تتنازل فرنسا عن الالزاس وفي جملتها ستراسبورج وعن خمس اللورين وفيها ميتز وان تدفع غرامة حربية مقدارها خمسة مليارات فرنك (٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه) في اثناء خمس سنين . و بذلك انقضت حرب السبعين

وقد مضى على تلك الحرب الى الآن نيف واربعون سنة والفرنساويون لا ينسون ما اصابهم منها . واما الالمان فانهم خرجوا ظافرين وقد اتحدت كلمتهم واعادوا الامبراطورية الالمانية وصار ملك بروسيا امبراطوراً واتجهت الافكار الى تأييدها واصبحت كل من الدولتين واقفة لصاحبتها بالمرصاد تعقد المعاهدات والمحالفات مع الدول الاخرى خوفاً من ان تغدر بها صاحبتها على ضعف منها مما يطول شرحه . وخلاصة ما وصلت اليه فرنسا حتى الآن انما هي محالفة روسيا وصداقة انكلترا وولاء اسبانيا. اما المانيا فقد حالفت النمسا وايطاليا حتى اذا حدثت مسألة مراكش التي سنفصلها في مكان آخر من هذا الهلال عادت الشحناء وايقظت الفتنة وخاف الناس الحرب بين الدولتين فاستحسنا أن نقابل بين احوالها عند انتشاب تلك الحرب سنة ١٨٧١ وما صارت اليه الآن

فرنسا سنة ١٨٧٠ و ١٩١١

سارت الدولتان في حياتهما السياسية بعد سنة ١٨٧٠ سيرًا مختلفــاً في السياسة والاجتماع والاقتصاد . فوصلا الى نتائج مختلفة يحسن بنا بيان شيء منها على سبيل المثال :

احصاء فرنسا وماليتها

كانت مساحة فرنسا سنة ١٨٧٠ نحو ٢٢٢ ٧٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو ٣٨ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس فصارت مساحتها بعد الحرب السبعينية ٢٠٧ ٠٥٤ ميلاً وصار عدد سكانها ٣٦ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس . ولم يزد في احصائها الاخير سنة ١٩٠٦ على ٣٩ ٢٥٢ ٠٠٠ نفس وهي زيادة قليلة جدًّا بالنظر الى المانيا

وكان عدد سكان عاصمتها باريس سنة ١٨٧٠ نحو ١ ٧٥٠ ٠٠٠ نفس فصار في الاحصاء الاخير ٢ ٨٤٦ ٩٨٦

وكان دخل الحكومة الفرنساوية لسنة ١٨٦٥ نحو ٧٥ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه وكذلك نفقاتها . وصار مقدار ذلك للسنة الماضية ١٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه

وكان دينها سنة ١٨٧٠ نحو ٥٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه فاصبح للعام الماضي ١ ٢٥٧ ٢٨٧ ٠٠٠

وكانت حكومتها ملكية مطلقة فاصبحت جمهورية حرة

جند فرنسا وقوتها البحرية

كانت قوتها البرية سنة ١٨٧٠ مؤلفة من المشاة وعددهم نحو ٢٥٠ ٠٠٠ مقاتل يمكن زيادتهم في الحرب الى ضعفي هــذا العدد . والفرسان نحو ٦٢ ٠٠٠ وتزاد في الحرب الى ١٠٠ ٠٠٠ وعدد الطوبجية ١٦ ٠٠٠ تزاد وقت الحرب الى ٤٠ ٠٠٠ وقوتها البحرية كانت مؤلفة من ٣٣ دارعة من قوات مختلفة مجموع قواتهــا ١٨ ٥٧٥ حصاناً وعليها ٧٧٧ مدفعاً

أما الآن (سنة ١٩١١) فمجموع جندها البري نحو ٦٣٨ ٠٠٠ نفس في فرنسا ومستعمراتها وقوتها البحرية مؤلفة كما يأتي :

	عدد
سفن حربية دريدنوط	٢٢
« « « تحت البناء	٤
طرادات من الدرجة الاولى	١٥
« « « الثانية	١٢
« « « الثالثة	٢١
مدمرات	٧٥
رعادات حديثة	١١
غواصات	٧٠
الجملة	٢٣٠

المانيا سنة ١٨٧٠ و ١٩١١

احصاؤها وماليتها

كانت بروسيا سنة ١٨٧٠ مملكة فصارت امبراطورية تشمل مقاطعات الالمان وكانت مساحتها نحو ١٣٧٠٠٠ ميل مربع فاصبحت الآن ٢٠٨٧٨٠ وكان عدد سكانها لسنة ١٨٧٠ أقل من ١٣٠٠٠٠٠٠ نفس في بروسيا فاصبح للسنة الماضية ٦٥٠٠٠٠٠٠ نفس في المانيا كلها • ومنها في بروسيا وحدها ٤٠٢٠٠٠٠٠ نفس أي انها تضاعفت تقريباً عما كانت عليه في الحرب السبعينية . وكان عدد سكان برلين سنة ١٨٧٠ نحو ٥٤٧٥٠٠ نفس فاصبح للسنة الماضية نيفاً و ٢٠٠٠٠٠٠ نفس أي صار الى اربعة اضعافه

وبلغت ميزانية حكومتها لسنة ١٨٧٠ نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه من الدخل ومثلها من الخرج . وهي الآن ١٤٢٠٠٠٠٠٠ جنيه لكل من القلمين . وكان عليها من الدين نحو ٤٨٠٠٠٠٠٠ جنيه وهو الآن لا يزيد على ذلك . ولكن للحكومة اموالاً مختزنة لمشروعات مختلفة تزيد على اضعاف هذا المبلغ

جندها وقوتها البحرية

وأما جندها فقد كان في الحرب السبعينية نحو جند فرنسا أو أقل منه وانما زيد بالنجدات وهو الآن نحو ذلك العدد . لكنها تضاعفه عند الاقتضاء

أما القوات البحرية فكانت سنة ١٨٧٠ عبارة عن عشر مدرعات محمولها ٢٥٠ مدفعاً وعشر سفن أخرى محمولها ٤٠ مدفعاً و ٨ كورفيتات كبيرة محمولها ٢٢٤ مدفعاً و ٦ كورفيتات صغيرة محمولها ٩٣ مدفعاً . أما الآن فهي كما يأتي :

	عدد
سفن حربية دريدنوط	٢٨
« « « تحت البناء	١٣
طرادات من الدرجة الاولى	٩
« « « الثانية	٦
« « « الثالثة	٣٠
مدمرات	٩٧
غواصات	١٣
الجملة	١٩٥

المقابلة بين الدولتين

يؤخذ من النظر الى هاتين الدولتين ومقابلة ما كانتا عليه سنة ١٨٧٠ وما صار اليه الآن ان المانيا سبقت فرنسا شوطاً بعيداً وخصوصاً في مساحة المملكة وعدد سكانها . فقد كانت مساحة فرنسا قبل حرب السبعين ٢١٢٧٠٠ ميل مربع فاصبحت ٢٠٧٠٠٠ ميل بما قضى به الصلح لالمانيا . وكان عدد سكانها ٣٨٠٠٠٠٠٠ اخرج الصلح منهم نحو مليونين فبقي ٣٦ مليوناً ولم يزيدوا في اثناء الاربعين سنة الاخيرة الا ثلاثة ملايين و بعض المليون . مع ان عدد سكان المانيا صار الى ثلاثة اضعافه بسبب انضمام سائر المقاطعات الالمانية مع زيادة النمو فيها. فان بروسيا وحدها كان سكانها قبل حرب السبعين ٢٣٠٠٠٠٠٠ نفس فاصبح الآن ٤٠ مليوناً أي صار الى نحو ضعفيه. والسبب في ذلك تمسك الفرنساويين بالعزوبية فراراً من اتعاب العائلة والتماسا للتمتع براحة الحياة دون مشاقها فضلاً عن تحديد عدد المواليد للمتزوجين . غير انغماسهم في الترف والرخاء والاشتغال عما هو طبيعي بما هو غير طبيعي . ولذلك رأيت امم اوربا تنمو ويتكاثر عددها الا فرنسا فانها تكاد تكون آخذة في التناقص . ولا تشعر لامة

بضرر هذه الخطة الا عند الاضطرار للاجتماع في الدفاع عن الوطن

كان الفرنساويون سنة ١٨٧٠ يزيدون على البروسيانيين ١٥٠٠٠٠٠٠ نفس فاصبح الالمانيون يزيدون عليهم ٢٥٠٠٠٠٠٠ وليس كله من اتساع مساحة المملكة ولكن اكثره من النمو الطبيعي بالزواج والالتفات الى العائلة . رغم المهاجرات المتوالية التي قضت الاحوال فيها على الالمان

واعتبر ذلك أيضاً في عدد سكان المدن الكبرى فقد كانت باريس سنة ١٨٧٠ أم مدائن اوربا وعدد سكانها يومئذ ١٧٥٠٠٠٠ نفس فاصبح الآن ٢٨٤٦٩٨٦ نفساً أي انه لم يزد الامليون وبعض المليون . أما برلين عاصمة المانيا فكان عدد سكانها ربع مليون نفس فاصبح مليونين وذلك تابع طبعاً لاحصاء السكان العام

واذا نظرنا الى مالية الدولة من حيث ميزانية الحكومة فاننا نجد سبق المانيا مضطرداً فيها . كان دخل حكومة فرنسا سنة ١٨٧٠ نحو ٧٥٠٠٠٠٠٠ جنيه فصار الآن ١٧٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اي لم يزد على ضعفيه الاّ قليلاً . اما المانيا فكان ٢٠٠٠٠٠٠٠ فصار ١٤٢٠٠٠٠٠٠ جنيه اي زاد على سبعة اضعافه . واعتبر ذلك في سائر الاحوال

اختلاف الامزجة بين الامتين

والامتان تختلفان في طبائع الامزجة فالفرنساوي ذكي الفواد حاد المزاج سريع التأثر مثل اكثر الشعوب الرومانية قوي الاريحة سريع النجدة ربما ضحى مصلحة نفسه في سبيل انجاد صديقه أو جاره . وقد برهنت الامة الفرنساوية على ذلك في كثير من الاحوال أذ جعلت نفسها نصيرة لطلاب الحرية في كل مكان وزمان . فلم تقم امة في القرن الماضي وقبله تطلب الحرية الا نصرتها فرنسا ادبياً ومادياً في اميركا واوربا . هذه الولايات المتحدة لا تزال تذكر هذا الفضل لفرنسا في مساعدتها على التخلص من نير الانكليز وكم جردت لنصرة الدولة العثمانية في حرب القرم ولنصرة اليونان في تحريرهم وغير ذلك مما هو مشهور

كانت فرنسا تنصر المظلومين رغبة في نصرة الحرية وقد خسرت بذلك مالاً ورجالاً ولم تستعض شيئاً لمصلحتها وهذا فخرها في سبيل الانسانية . لكنه ليس

من السياسة في شيء وهو تابع لتسرع هذه الامة في التأثر والمبادرة لتغلب العواطف فيها على العقل

اما الالمان ففيهم ميل الى الثبات والتأني وأعمال الفكرة وطول الاناة مثل اكثر الشعوب الجرمانية لتغلب عقولهم على عواطفهم فينظرون الى الاشياء من حيث وجهتها العملية ويستغرقون في ابحاثهم ونظرهم الى ما لايحتمله سواهم وهم بعيدون عن المظاهرات وانما يهمهم الحقيقة . ولذلك رأيناهم يعملون وينمون ويتكاثرون ويتأهبون ويتحصنون والناس لا يعلمون . ولولا اندفاع امبراطورهم ورغبته في الظهور لظلوا على العمل سرًّا والناس لا يشعرون . فالتفاوت الذي رأيناه بين احوال الامتين يرجع بالاكثر الى اختلافهم في الطبائع والامزجة



اللورد كتشنر عميد انكلترا في مصر

مراكش

تاريخها واحصاؤها وعلاقة الدول بها

مضت بضع سنوات والناس يتحدثون بمراكش وسلطانها وسكانها ومطامع الدول فيها وقد احتدم الجدال الآن بين المانيا وفرنسا بشأنها حتى كاد يفضي الى حرب فرأينا ان نأتي على خلاصة تاريخ هذه المملكة وبيان الاسباب التي آلت الى هذا التنازع

تاريخها القديم

مراكش واقعة في الطرف الغربي من شمالي افريقيا بين بوغاز جبل طارق من الشمال والصحراء الكبرى من الجنوب والجزائر من الشرق والبحر الاتلانتيكي من الغرب . مساحتها نحو ٢١٩٠٠٠ ميل مربع اي اكثر من مساحة المانيا كلها . واختلفوا في عدد سكانها والاقرب الى الصواب انهم نحو ٥٠٠٠٠٠٠ نفس اكثرهم من المسلمين المالكيين . وليس فيها من المسيحيين الاعشرة آلاف اكثرهم في طنجة . عاصمتها مدينة فاس عدد سكانها ١٤٠٠٠٠ واشهر مدنها طنجة على البحر وسكانها ٣٥٠٠٠ نفس ومراكش المدينة وتيتوان والعريش ورباط وكازابلانكا وسبتة ومليلا وطفيلة ومكناس وغيرها. وفيها جبال الاطلس يبلغ علوها نحو ٥٠٠٠ متر

وكانت هذه البلاد قديماً في جملة شمالي افريقيا وتعرف في التاريخ القديم باسم موريتانيا . وسكانها الاصليون يعرفون بالبربر ويظن بعض علماء طبائع البشر انهم من الجنس القلتي (celte) الذي عمر تلك البلاد وجنوبي اوربا قبل البلاسجة (اليونان والرومان) واستدلوا على ذلك من الملامح واللغات . واما العرب فانهم يسمونهم البربر وهم قبائل لا يحصيها عد وبعض النسابين من العرب يردهم الى نسب عربي من جالية اليمن مما يطول شرحه . ومما لاخلاف فيه ان أولئك البربر كانوا عند الفتح الاسلامي قبائل عديدة تشغل شمالي افريقيا من حدود مصر الى شواطىء الاتلانتيكي وقد حاربهم المسلمون واخضعوهم فجعلوا يدخلون في الاسلام رويداً رويداً حتى شملهم جميعاً . ويقسم شمالي افريقيا الى عدة ممالك ابعدها غرباً مراكش ولذلك سميت ايضاً المغرب الاقصى

دخلت مراكش بعد الاسلام في ما دخل فيه جيرانها من سيادة دولة المسلمين . ولم تخضع مراكش للمسلمين خضوعاً تاماً الا في زمن الوليد بن عبد الملك على يد موسى ابن نصير فاتح الاندلس . وما زالت في سيادة الامويين حتى ذهبت دولتهم وقامت الدولة العباسية (سنة ١٣٢هـ) فاستقل بالمغرب الاغالبة بالقيروان (في تونس) وظهرت دولة الادارسة في مراكش سنة ١٧٢هـ نسبة الى ادريس بن عبدالله من نسل علي بن ابي طالب وبلغت هذه الدولة ابان مجدها في اواسط القرن الثالث للهجرة ثم اخذت في التقهقر حتى ظهر الفاطميون في القيروان واستعانوا بقبيلة كتامة من البرابرة فاعانوهم ففتحوا سائر افريقيا الشمالية فدخلت مراكش في حوزتهم. ثم انتقلت الدولة الفاطمية الى مصر في اواسط القرن الرابع للهجرة ففوضوا حكومة المغرب الى الدولة الزيارية. ثم غلب عليهم المرابطون سنة ٤٤٨ هـ فالموحدون سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠م) وخلفهم بنو مرين على مراكش سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م) وقضى المراكشيون في حوزة هذه الدولة الى اواسط القرن التاسع للهجرة (١٤٧٠م) وكانت الدولة الاسلامية قد اخذت في التقهقر فقضى المغاربة مدة هذه الدولة وهم في حروب متوالية فيما بينهم واوربا قد اخذت في النهوض من سباتها واشتغلت في نشر تمدنها وسلطانها فاصاب مراكش نصيب من ذلك

بدأ ذلك اواسط القرن الرابع عشر اذ تغلب الاسبانيون على العرب في الاندلس وخيروهم بين النصرانية والهجرة فمن ابى الدخول في النصرانية اضطر الى المهاجرة . فهاجر منهم نحو ٨٠٠٠٠٠ نفس الى اقرب البلاد الاسلامية في شمالي افريقيا وفي نفوسهم كره للنصارى لما قاسوه من اضطهادهم على اثر ذلك النصر. فاقاموا في المغرب وهم يتوقعون ان يعودوا الى الاندلس فيفتحوها ثانية . لكنهم لم يستطيعوا ذلك لرسوخ قدم الاسبان والبورتغاليين هناك على اسس المدنية الحديثة. ثم مد البورتغاليون ايديهم الى المغرب ففتحوا كثيراً من شواطئ مراكش واذلوا اهلها . حتى نهض بعض الاشراف العلويين في اواسط القرن العاشر واستقلوا بحكومتها بالتدريج . وهم دولتان احداهما تعرف بالدولة الشريفية والثانية بالدولة الفيلالية . وجعلوا عاصمتهم فاس . واول الدولة الشريفية الشيخ محمد ويرجع بنسبه الى الحسن بن علي . بدأ حكمه سنة ٩٥١ (١٥٤٤ م) وتوالى اعقابه عليها الى سنة ١٠٧٥ هـ فغلبهم الاشراف الفيلاليين واولهم رشيد بن الشريف بن علي . وتوالت السيادة في اعقابه الى الآن وآخرهم عبد الحفيظ بن الحسن الذي ثار على اخيه عبد العزيز وخلعه واخذ السيادة منه سنة ١٩٠٧ . وهاك اسماء سلاطين هذه الدولة وسني حكمهم من رشيد المتقدم ذكره الى الآن

رشيد بن الشريف بن علي تولى السلطنة سنة	١٦٦٤ م
اسماعيل السمين بن الشريف	١٦٧٢
احمد الذهبي	١٧٢٧
عبد الله بن اسماعيل	١٧٢٩
محمد	١٨٥٧
يزيد	١٧٨٩
هشام	١٧٩٢
سليمان بن محمد	١٧٩٥
عبد الرحمن	١٨٢٢
محمد (الثاني)	١٨٥٩
الحسن	١٨٧٣
عبد العزيز بن الحسن	١٨٩٤
عبد الحفيظ (اخوه)	١٩٠٧ ولا يزال

ولم تكن مراكش سالمة لهؤلاء السلاطين فان الافرنج كانوا يهددونهم ويفتحون بعض الشواطيء من بلادهم مثل سبتة وطنجة ومليلة واغادير وغيرها . وكم تعدى عليها البورتغاليون والاسبان والانكليز وغيرهم وتوالت عليها محن كثيرة من الاوبئة والقحط مما يطول شرحه فنكتفي بالاشارة الى اسباب الحركة الاخيرة . وهي ترجع الى مطامع الدول في تلك البقعة لانها كثيرة الخصب وافرة الماء واسعة الارجاء فيها كثير من المعادن والذخائر

واكثر الدول طمعاً فيها الاسبان والفرنساويون والانكليز ثم دخل الالمان. ولكل دولة سبب تتذرع به الى تلك المطامع . فاسبانيا تعد مراكش جارتها واكثر اهلها أصلهم منها . والانكليز يرون فيها باباً للتجارة الى اواسط افريقيا وغربها وناهيك بحصنها المنيع القائم تجاه مراكش نعني جبل طارق فهي تخاف ان يقيم غيرها حصناً تجاهه على شاطيء افريقيا . واما فرنسا فانها تعد نفسها أولى بالشفعة بعد ان دخلت الجزائر في سلطانها . اما الالمان فانهم دخلوا حسداً كما سنبينه

عبد العزيز وعبد الحفيظ

أشهر سلاطين مراكش واقواهم جاناً مولاي الحسن والد السلطان عبد الحفيظ الحالي . تولى السلطنة نيفاً وعشرين سنة (١٨٧٤ — ١٨٩٤) وقبض على حكومته

بيدٍ من حديد وكان شديداً على رعاياه فكانوا يهابونه ولا يحبونه . لم تخل مراكش من دعاة الملك من العرب وغيرهم ينازعون سلاطينها على السيادة لكنهم لم يجسروا على الظهور في ايامه . واما بالنظر الى الاجانب فان اسلافه لم يكونوا يقتربون من الشواطئ وانما ينقطعون في عاصمتهم فاس او نحوها . اما هو فانه نزل طنجة وفيها نواب الدول وقناصلها وجماعة كبيرة من المسيحيين الافرنج وغيرهم فاحتفلوا باستقباله احتفالاً لم يذقه احد قبله



مولاي عبد العزيز سلطان مراكش المخلوع

ومع سعة مراكش فان السلطان قلما يقوى على اخضاع اكثر من نصفها ويبقى النصف الآخر في حوزة القبائل الثائرة اما لمنازعته حق السيادة او للتخلص من الضرائب . ولولا الجامعة الدينية بينهم وبين سلطانهم لتمزقت مراكش ارباً ارباً

وذكروا من حسنات مولاي الحسن هذا انه اراد ان ينهض بمملكته الى مصاف

و لعدو نه خارجا عن السنه والدين . ونهض طلاب السياده بهـده الحجه يدعون الى خلع طاعته وحاربوه مراراً فعجز عن مناهضتهم فخلعوه وولوا اخاه عبد الحفيظ سنة ١٩٠٧ ولا يزال عليها الى الآن . وقد ظهر لعبد العزيز خطأه في استسلامه للطامعين في المال ولكن بعد فوات الفرصة

أما عبد الحفيظ فانه اقوى من اخيه وقد خافه طلاب السيادة الذين كانوا ينازعون اخاه فوقفوا عنـد حدهم . ولو ترك لنفسه واكتفى الاوربيون (الافرنج) بالنصح والمشورة لخدموه وخدموا دولته ولكنهم يطمعون بها لانفسهم كما سنبينه

سبب مداخلة اوربا

كان الاوربيون اذا دخلوا مراكش في القرن السابع عشر وما بعده يخافون على حياتهم واموالهم لان المراكشيين كانوا يعدونهم الد اعدائهم وهم الذين طردوا اسلافهم من بيوتهم في الاندلس وصادروهم في اموالهم واهلهم . فكان الافرنجي اذا اجتاز مراكش لتجارة أو غيرها تصدى له اهلها وصادروه . حتى السفراء الذين كانوا يأتون من قبل دولهم بصفة رسمية . كانوا اذا دخلوا مدينة فاس عاصمة المراكشيين ترجلوا

مولاي عبد الحفيظ سلطان مراكش الآن

عن افراسهم وساروا على اقدامهم الى قصر السلطان وهم يحملون الجزية يقدمونها له . واول من ابطل هذه العادة سفير فرنساوي كان كبير النفس فلما وصل باب المدينة وطلب اليه حراسها ان يترجل ابى وقال انه لا يترجل لاحد . ودخل المدينة راكباً وهو يحمل النقود فدفعها الى السلطان وسماها هدية بدلاً من جزية ولا تزال تعرف بذلك

اما غير السفراء والقناصل من المسيحيين فكانوا يقاسون من العذاب . تؤخذ اموالهم ويسجنون حتى يفديهم اهلهم او يقتلوا . ولعل المراكشيين كانوا يفعلون ذلك انتقاماً لاجدادهم من قسوة الاسبان عند تغلبهم . ولكن الدول لم تكن تجد بدًّا من فتح مراكش للتجارة ولابطال تجارة الرقيق . فعقدت معاهدات تجارية تقضي للنصارى في اقتناء الارضين وبناء المنازل لانفسهم . ولكن نيل هذا الحق لم يكن ميسوراً لفساد اخلاق الحكام وتعصبهم

الامتيازات

وأخيراً عقدت الدول مؤتمراً في مدريد سنة ١٨٨٠ للوصول الى نتيجة فعلية فقرر ذلك المؤتمر ان لكل تاجر أوربي الحق في سمسارين أو وكيلين من الوطنيين يحملان تجارته في داخل البلاد خوفاً من تعدي الوطنيين . ويكون هذان الوكيلان معفيين من الضرائب لدى الحكومة — وهو امتياز للاجانب في مراكش يشبه امتيازاتهم في مصر وغيرها من المملكة العثمانية . وكان الغرض من هذه الامتيازات حماية الاجانب من تعرض الوطنيين فصارت وسيلة لتعدي الاجانب على الوطنيين — وهكذا اصاب امتيازهم في مراكش فتسابق اغنياء الوطنيين واصحاب الاطيان منهم الى الحصول على تلك الوكالة اوالسمسرة ليتخلصوا بها من دفع الضرائب ويحموا انفسهم من تعدي الجباة . وأكثر الدول تساهلاً في اعطاء الحماية فرنسا

فاستغرق المراكشيون في طلب تلك الحماية حتى ان اكبر اشراف وزان ولا يعلوه في المقام غير السلطان طلب من انكلترا ان تمنحه ذلك الامتياز فأبت . فطلب من فرنسا فتوسمت به نفعاً لها في الجزائر بما يستطيعه من كف ايدي القبائل اذا ثاروا عليها هناك او ان يمهد لها السبيل في مراكش نفسها فاجابت طلبه . واقتدى به كثيرون وصاروا يبذلون المال في ابتياع تلك الحماية وجعل بعض ذوي المطامع من القناصل الفرنساويين الاتجار بتلك الحماية وسيلة للرزق فكثر المحتمون واصبحت الحكومة تخافهم . ويكفي للمحتمي ان يبرز ورقة الحماية او الوكالة المعطاة له من القنصل فلا يقدر احد على مخاطبته . حتى ان بعضهم كان يدعي الوكالة ويبرز ورقة تشبه التوكيل بالشكل فيخافه الجابي ويبتعد عنه . وقد اخرج بعضهم ورقة اعلان عن الكاكاو فيها صورة وسام باله صاحب المعمل فلما رأى الجابي الصورة ظنها ختم القنصلاتو الفرنساوية فسكت عن المطالبة

ومن خصائص هذه الحماية ان الدولة الحامية تستطيع سحبها والغاءها متى شاءت فلذلك كان حاملها مضطرًّا لمراعاة الدولة التي تحميه . واصبح لتلك الحماية غرضان الاول ان تحمي حاملها من التعدي والثاني ان تساعده على التعدي . فكانت النتيجة الطبيعية لهذه المساعي الخرقاء قلة الجباية فاضطرت حكومة مراكش للتعويض عن هذا النقص ان تزيد الضرائب على الوطنيين الخاضعين لها . فصارت تطالبهم بما على جيرانهم فاذا ابوا زجتهم في السجون . وتكاثر المسجونون وازدادت الامور اشكالاً ونفر السلطان ورجاله من فرنسا لانها علة تلك المتاعب

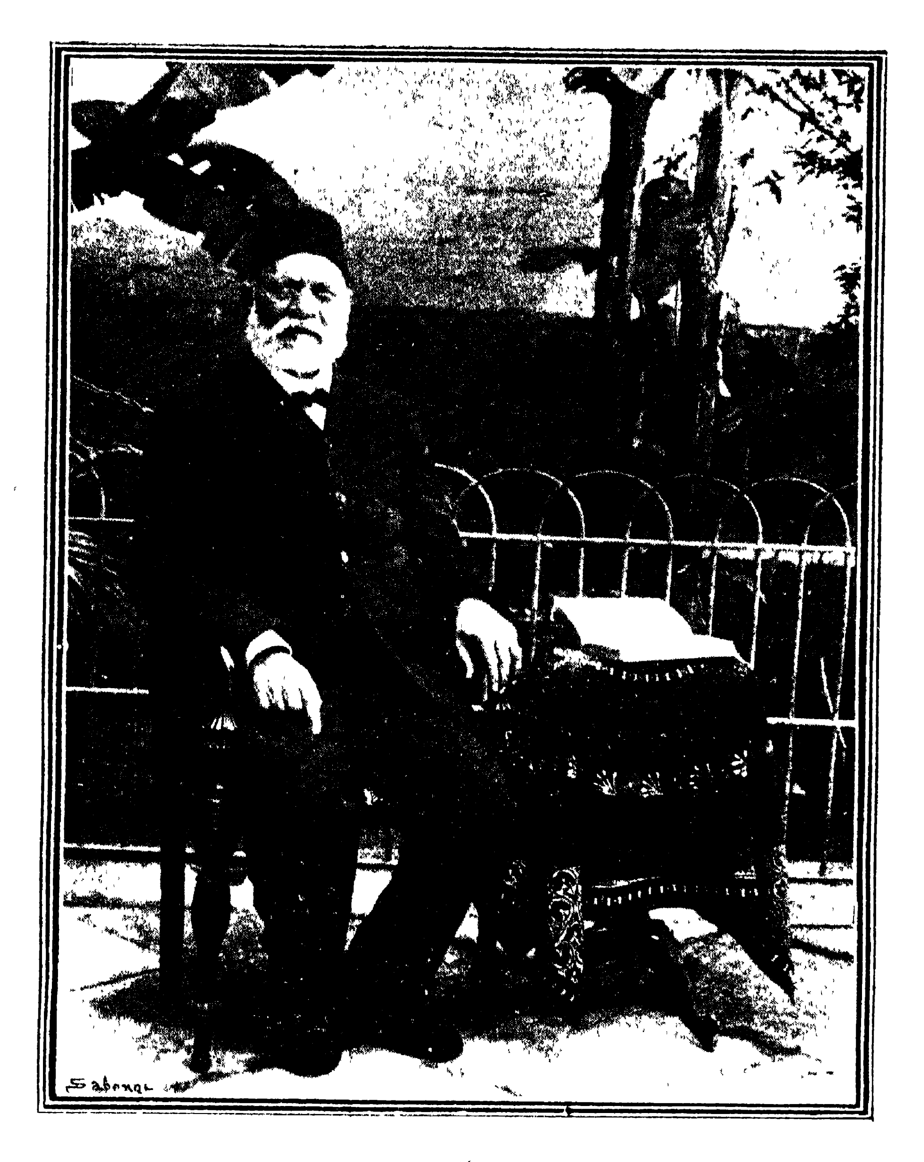
وكانت اسبانيا وانكلترا واقفتين بالمرصاد لا تدعان حراكاً وشعرت المانيا في اثناء ذلك باتساع تلك البلاد واهميتها التجارية لبضائعها فرأت ان تدخل نفسها في شؤونها فنزل الامبراطور في طنجة فرحب به اهلها وتوسموا به خيراً لعله ينقذهم من تصرف الفرنساويين . فاحست فرنسا بذلك فسعت في أمر الوفاق مع انكلترا وتم لها ذلك في ابريل سنة ١٩٠٤ وهو الوفاق المشهور ويقضي ان يكون لفرنسا الارادة المطلقة في مراكش ويكون لانكلترا مثل ذلك في مصر وشروط أخرى وافقت اسبانيا عليها أيضاً . فعظم ذلك على المانيا فتعرض امبراطورها واعترض وبعد المفاوضة تقرر عقد مؤتمر دولي للنظر في ذلك فانعقد في الجزيرة وحضره مندوبون من دول أوربا والولايات المتحدة الاميركية وقرر أموراً صدرت في لائحة مؤرخة في ٧ ابريل سنة ١٩٠٦ امضاها المندوبون . خلاصتها ان يتشكل ضابطة نظامية (بوليس) مراكشية عددها ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ نفر عليهم ضباط مراكشيون يعاونهم ضباط فرنساويون واسبانيون ويكون قائدها العام سويسرياً . وتسري هذه الشروط لخمس سنوات . وقد تشكلت هذه القوات وتفرقت في البلاد . وان ينشأ بنك وطني للحكومة بامتياز لاربعين سنة وقد أنشيء وسيصدر اوراقاً ماليه (بنك نوط) ويكون هو كالخزينة للحكومة ويشرف على ادارته اربعة مراقبين تعينهم البنوك الدولية في المانيا وانكلترا واسبانيا وفرنسا

وحدث على أثر ذلك اضطراب بجوار مليلة تعدى فيه الريفيون من المراكشيين على بعض الاسبانيين فقتلوا بعضهم فارسلت اسبانيا فوق عسكرية لمقاصة الجانين فاخضعت القبائل المقيمين ما بين كابو دي اكوى الى ساهان واحتلوا تلك البقعة وارسلت مراكش سفيراً الى مدريد بهذا الشأن • وبعد المفاوضات عقدوا اتفاقاً يقضي ان يعين السلطان معتمداً من قبله له حق التحكيم بالاشتراك مع معتمد اسباني في البلاد التي احتلها الاسبان • وان تعين قوة عسكرية مراكشية ضباطها اسبانيون في مليلة وسبتة لحفظ النظام هناك • ومتى تدرب الجند يبقى الاسبان في الاماكن التي احتلوها فقط وهي تتعهد بتقديم المال اللازم لانشاء الضابطة على ان تسترجعه من دخل الجمارك على ايدي مراقبين منهم • وان تستولي مراكش على نحو ٢٥٠٠٠٠ جنيه غرامة حربية وغير ذلك

وأحست المانيا في اثناء ذلك ان مؤتمر الجزيرة لم ينفعها شيئاً فتربصت تغتنم الفرص لاستئناف المطالبة حتى كانت حادثة اغادير الاخيرة اذ تعدى بعض الوطنيين على قوم من الالمانيين فقتلوا بعضهم فارسلت المانيا دارعة لاحتلال البلد فاعترضت فرنسا على ذلك وجرت المخابرات السياسية واحتدم الجدال حتى خيف من الحرب ولا تزال المخابرات جارية

احمد عرابي

والحوادث العرابية



احمد عرابي في آخر ايامه بمصر

توفي احمد عرابي زعيم العرابيين في ٢٠ سبتمبر الماضي بمصر وهو في الرابعة والسبعين من عمره فحق علينا ان نأتي بترجمة حاله واسباب الثورة العرابية. ولكننا قد

نشرنا ذلك مراراً في الهلال (سنة ٥و٩) وفي تراجم مشاهير الشرق (ج١) وهي هناك ترجمته بخط يده كتبها الينا من سيلان منفاه . وقد ترجمناه أخيراً في الطبعة الثانية من تاريخ مصر الحديث (في الجزء الثاني من صفحة ٢٣٤ — ٢٧٥) بعد ان اطلعنا على ما كتبه عنه فطاحل الباحثين ومنهم اللورد كرومر واللورد ملنر • فنكتفي هنا بذكر أسباب تلك الثورة وما كان من تأثير عرابي فيها ليصح لنا الحكم عليه فنقول :

نشأته الاولى

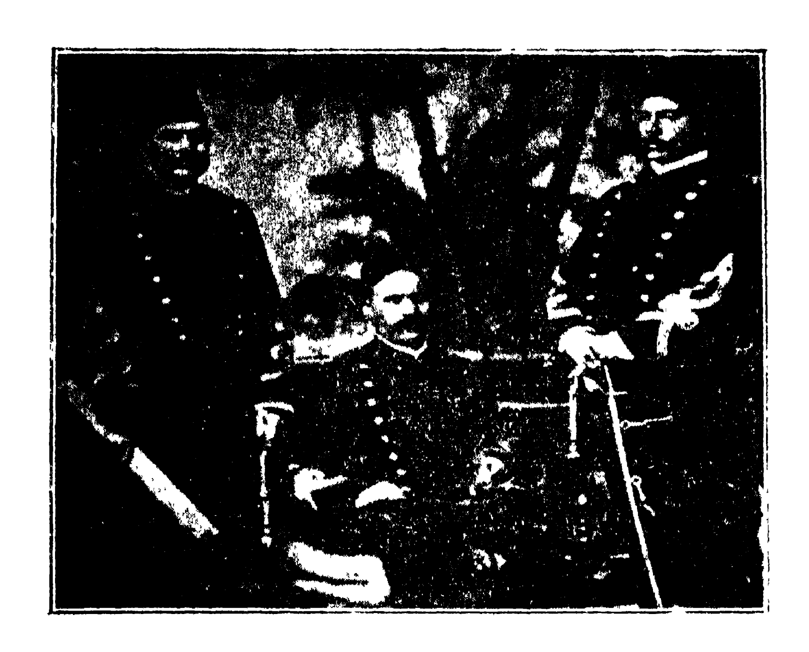
أصله من قرية هرية رزنة قرب الرقازيق ويرجع بنسبه الى الامام الحسن • ولد سنة ١٢٥٦هـ وتوفي أبوه وهو صغير ثم تلقى مبادىء القراءة جاور في الازهر وانتظم في الجندية في زمن سعيد باشا وكانت فيه جرأة وصراحة من صغره

وكان التقدم في الجندية للاتراك والشراكسة • وكان سعيد باشا يحب تقدم ابناء العرب لكنه لم يكن يرى منهم اقداماً وجرأة ولعل اول من أظهر الجرأة منهم احمد عرابي وهو صف ضابط صغير

وذلك ان رفاقه كانوا يتذمرون سرًّا من تقدم الاتراك عليهم بدون حق • فبلغ ذلك سعيد باشا فقرران يتقدم الصف ضباط بالامتحان بلا تمييز للجنسية • وكلف راتب باشا ان يبلغ ذلك الى الصف ضباط وعرابي منهم

فجمعهم راتب باشا وقال لهم « ان افندينا بلغه انكم تشكون من ترقي الصف ضباط الجدد وتأخير من هو اقدم منهم فمن الآن وصاعداً لا يرتقي احد الا بالامتحان فمن اراد الامتحان فليتقدم » فخافوا واحجموا الا عرابي فانه تصدى وتقدم للامتحان واقتدى به غيره • فامتحن وما زال يرتقي الى رتبة قائمقام • وصارت له منزلة لدى الجند فاصبحوا يصدرونه في كل ما يحتاج الى جرأة وهو لا يبالي . فزادت الضغائن في صدور الاتراك والشراكسة ولا سيما في زمن اسماعيل لانه لم يكن يرى رفع شأن الوطنيين . ولما تولى المغفور له توفيق باشا وكان يؤثر الوطنيين ويرفع قدرهم زاد الخرق اتساعاً وارتقى عرابي في ايامه الى رتبة امير ألاي على الألاي الرابع

وكان في جملة الوزارة الرياضية التي تشكلت عند تولي الخديوي توفيق باشا عثمان رفقي باشا ناظراً للجهادية وهو شركسي متعصب على العرب . فقرر منع ترقي المصريين فاخذوا يتذمرون وعهدوا الى عرابي ان يقوم بالتظلم عنهم فكتبوا عريضة وقع عليها هو واميرا الالايين آخران هما علي فهمي امير الآي الحرس الخديوي وعبد العال بك امير الاي السودان . ويظن اللورد كرومر ان المحرك الاصلي لهذه



احمد عرابي ورفيقاه والعريضة

الحركة الاميرالاي علي فهمي لانه استاء من الخديوي فاراد الانتقام

وصلت العريضة الى رياض باشا فاستخف بها واهمل الرد عليها اياماً وهو يحرض اصحابها على سحبها وهم يرفضون . ثم بلغهم ان عريضتهم كان لها وقع سيء عند الخديوي وحاشيته الاتراك . ثم ارسل الخديوي يلح على الوزارة بسرعة الرد فقررت سرّاً محاكمة العارضين في مجلس عسكري بعد ان يقبض عليهم ويسجنوا . لكن ذلك السر وصلهم فاستعدوا للدفاع فلما جاء امر النظار بدعوتهم الى قصر النيل دبروا شأنهم مع الالايات وذهبوا الى القصر . فجردوهم من السلاح واوقفوهم تحت المحاكمة واذا برجال آلاياتهم قد دخلوا بالقوة وانقذوهم وساروا بهم الى سراي عابدين والحوا في طلب عزل ناظر الجهادية . فلم تجد الحكومة بدّاً من اجابة الطلب لان القوة في غير ايديها . فاجابهم الخديوي بعزل رفقي باشا وتعيين محمود باشا سامي البارودي مكانه وهو من حزبهم . ويقال انه هو الذي ابلغهم قرار مجلس النظار بالقبض عليهم

واثر خضوع الحكومة لمطالب الوطنيين هذه المرة تأثيراً شديداً اذ تحقق لديهم انهم اذا اتحدوا وثبتوا لابد من نيل ما يطلبونه . وقام في نفوسهم حقد على رياض باشا والخديوي . وقوّى هذا الاحساس فيهم قنصل فرنسا يومئذ البارون درين لانه كان يحسن اعمال رجال العسكرية في اعينهم فيزدادون تمرداً وبلغ ذلك الى الجناب الخديوي

فشكاه الى حكومته فاقالته . وبعث الخديوي الى كبار الضباط وطيب خاطرهم واكد لهم ثقته في رياض باشا وانه سيزيد الرواتب ويساوي بينهم على اختلاف اجناسهم

اما زعماء الثورة فلم يزالوا خائفين من نجاحهم السريع . واعتبروا تلك المحاسنة مكيدة من الحكومة لتسكين جأشهم ثم تحتال لاعتيالهم . فاكثروا من التحفظ وشرعوا في عقد مجالس سرية ليلية في منزل احمد عرابي يدعون اليها خواصهم ويتفاوضون في امر اجتماع كلمتهم والوقاية من الاغتيال . فاقترحوا على ديوان الجهادية اقتراحات عديدة تعزز جانبهم . فتمكن عرابي بذلك من استمالة قوم العسكرية فطفق يبث افكاره بين الاهلين من مشايخ العربان وعمد البلاد واعيانها وعلمائها وتجارها استجلاباً لمساعدتهم في مشروعه العائد الى نفعهم على ما زعم . وكتب اليهم في ذلك منشورات حماسية ايقاعاً بالوزارة الرياضية

وفي ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ ﻫ او ٢٠ ابريل ١٨٨١ م اصدر الجناب الخديوي باقتراح رياض باشا رئيس النظار امراً عالياً بشأن زيادة مرتبات الضباط والعساكر وتعديل النظامات والقوانين العسكرية بناء على طلب محمود باشا سامي ناظر الجهادية . فاحتفل هذا الناظر احتفالاً فاخراً في قصر النيل دعا اليه النظار والمفتشين احتفاء بصدور ذلك الامر . خطب فيه رياض باشا ومحمود سامي واحمد عرابي واثنوا ثناء طيباً على المكارم الخديوية لما منحته لجماعة الجهادية من الانعام

وفي ٢٨ شعبان او ٢٥ يوليو كان الجناب الخديوي في مصيفه بالاسكندرية فاتفق ان عربة احد تجار الاسكندرية صدمت جندياً من الطوبجية صدمة قضت عليه فحمله رفقاؤه الى سراي رأس التين وطلبوا الى الخديوي النظر في امره فوعدهم فسكن جأشهم . وبعد بضعة ايام تشكل مجلس حربي اصدر حكمه على النفر الذي حمل رفقاءه على المسير الى رأس التين بالاشغال الشاقة طول حياته . اما رفقاؤه وهم ثمانية فحكم عليهم بثلاث سنوات في السجن وبعد ذلك يرسلون الى السودان انفاراً للجهادية . فبعث عبد العال امير الاي الفرقة السودانية الى ناظر الجهادية محمود سامي يشكو من قسوة ذلك الحكم . فرفع سامي تلك الشكوى الى الخديوي فتكدر واستدعى في الحال الوزراء تلغرافياً الى الاسكندرية فأتوها في ٧ رمضان او ٢ اغسطس وعقدوا برئاسته مجلساً قدم فيه ناظر الجهادية استعفاءه فقبل وعين بدلاً منه داود باشا يكن واستلم الاعمال . وعاد النظار الى العاصمة وهدأت الاحوال بحسب الظاهر . والواقع ان الوطنيين ساءهم قبول استعفاء محمود باشا سامي لانهم يعدونه من اكبر انصارهم

تغير القلوب بين الخديوي والعرابيين

فاصبح العرابيون ينظرون الى الخديوي ووزرائه بعين الارتياب والحذر وشاع يومئذ ان الخديوي استفتى شيخ الاسلام بقتلهم لأنهم خانوا الدولة والامة وهي اشاعة كاذبة لكنها أخذت مأخذ الصدق وازداد العرابيون بها حذراً وسوء ظن



محمود باشا سامي البارودي

وفي ١٥ شوال او ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بعد عود الجناب الخديوي من الاسكندرية صدر أمر نظارة الجهادية الى آلاي القلعة بالتوجه الى الاسكندرية وامر آخر الى آلاي الاسكندرية بالمجيء الى المحروسة • فاوعز عرابي الى آلاي القلعة ان تلك الاوامر لا يقصد بها الا تفريق كلمتهم فصرح ذلك الآلاي بعدم امتثاله لما أمر به • وفي خلال ذلك كان عرابي يخاطب الآلايات بالاشارة ان يستعدوا للحضور الى ساحة عابدين في اول سبتمبر ثم ارسل كتابه الى الخديوي والى نظارة الجهادية يخبرهم فيها ان الجيش سيحضر الى سراي عابدين لابداء اقتراحات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وكتب مثل ذلك الى قناصل الدول مبيناً ان لا خوف من هذه الحركات على ابناء تابعيتهم لأنها متصلة

الغاية بالاحوال الداخلية . فارسل الجناب الخديوي وفداً الى زعماء الثورة وهم عرابي وعبد العال واحمد عبد الغفار ينصحهم ان يكفوا عن اجرا آتهم. وتوجه بنفسه ومعه السير اوكلن كافن قنصل انكلترا والنظار الى آلاي عابدين واخذ ينصحهم فتظاهروا بالانتصاح وتوزعوا في نوافذ السراي وقاية لها . ثم توجه الجناب الخديوي ورفقاؤه الى القلعة للغرض عينه . فاجابه الجيش هناك « نحن مطيعون لاوامر ولي نعمتنا غير انا اخبرنا بان المقصود من تسفيرنا اغراقنا عند كوبري كفر الزيات » فقال سموه لمن معه « يظهر ان العساكر مغرورون » ثم تركهم وقصد العباسية لايقاف عرابي فلم يجده وقيل له انه سار في جنده الى عابدين فعاد سموه ايضاً اليها

ودخل الخديوي عابدين وجرت المخابرات بينه وبين العرابيين بواسطة قنصل انكلترا فاجابوا انهم يطلبون اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام وحضر المناقشة قناصل الدول فاستقر الرأي على تأجيل تنفيذ هذه الطلبات فاصر عرابي على تنفيذها حالاً فاستدعي شريف باشا لتشكيل وزارة جديدة فقبل بعد التردد بشرط ان يطيعه العرابيون فقبلوا فتشكلت الوزارة وفيها محمود سامي ناظراً للجهادية



شريف باشا

فاوعز شريف باشا الى عرابي ان يتوجه بآلايه الى رأس الوادي في مديرية الشرقية والى عبد العال ان يسير بآلايه الى دمياط فامتثلا وسارا الى حيث امرا باحتفال

عظيم وخطب عبدالله نديم محرر جريدة الطائف وحسن الشمسي محرر جريدة المفيد في المحطة خطباً هنأ بها الحزب الوطني على فوزه

هذه الثورة العسكرية الثالثة اذا اعتبرنا ثورة الضباط في ايام اسماعيل الاولى وكل منها انقضت باسقاط الوزارة او بعزل وزير كبير

ولما استقر عرابي في رأس الوادي جعل يجول في انحاء المديرية يبث مباديه في نفوس عمد البلاد ومشائخ العربان فاستدعته الحكومة الى العاصمة وعرضت عليه رتبة لواء ومنصب وكيل نظارة الجهادية فقبل الثانية ورفض الاولى ليبقى الآلاي في عهدته . ولما استوى على منصبه الجديد جعل يعقد المحافل في منزله علانية وتوسط بالعفو عن حسن موسى العقاد احد تجار المحروسة وكان مبعداً في السودان . فاجابه الجناب الخديوي الى ذلك . ثم سعى في عزل الشيخ العباسي من مشيخة الاسلام واستبداله بالشيخ الامبابي

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ م) صدقت الحكومة المصرية على القوانين العسكرية الجديدة وهي من ضمن طلبات الجهادية يوم حادثة عابدين تحتوي على قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية وقانون المستودعين وقانون معاشات الجهادية البرية والبحرية وفروعها وقانون القواعد الاساسية في النظامات العسكرية وقانون الترقي وقانون الضمائم والامتيازات والاعانة العسكرية . وبعد التصديق عليها جاء الى شريف باشا وفد جهادي وقدموا له الشكر على اعتنائه بمطالبهم وبينوا ارتياحهم الى وزارته واكدوا له اخلاصهم

وفي ١١ ذي القعدة او ٤ اكتوبر من تلك السنة صدر الامر العالي باعتماد اللائحة في انتخاب مجلس النواب بناء على تقرير رفع الى شريف باشا مذيلاً بالف وستمائة توقيع يتضمن طلب تشكيل المجلس النيابي ومن مقتضي تلك اللائحة ان يكون النواب واحداً او اثنين من كل مديرية و٣ من مصر و٢ من الاسكندرية وواحداً من دمياط على شروط مذكورة في اللائحة . ووزعت نظارة الداخلية منشورات بشأن ذلك الى المديريات

مصر والدولة العثمانية

لايخفى ان مصر نالت امتيازها واستقلت بادارتها رغم ارادة الباب العالي وما برحت الدولة منذ منحت ذلك الامتياز وهي تحين الفرص لارجاع سيطرتها الى وادي النيل

وكان من جملة مطالب العرابيين تشكيهم من النفوذ الاجنبي بمصر وامتياز الاجانب على الوطنيين من كل وجه. وكتب عرابي الى الاستانة يشكو ذلك الى السلطان وهو يومئذ السلطان عبد الحميد وكان قد اخذ في مطاردة الاحرار طلاب الدستور بعد ان قلب دستورهم واصبح لفظ الدستور يرعبه

فلما جاءته شكوى العرابيين من الاجانب وجد باباً للمداخلة بشؤون مصر لكنه يعلم ان من جملة مطالبهم الدستور ومجلس النواب وهو يكره الدستور واسمه فكيف يقبل ان يعلن في بعض ولاياته ؟ . فضلاً عن الاشاعات التي كانت تتناقل يومئذ عن رغبة العرب في احياء دولتهم وخلافتهم في مصر وسوريا . فاول خاطر بدا للسلطان ان يرسل جنداً عثمانياً يحتل وادي النيل بحجة اخماد الثورة . وامر باعداد الحملة في سبتمبر سنة ١٨٨١

ولكن مصر تحت المراقبة الاجنبية فلا يسهل على السلطان احتلالها . وكانت سياسة فرنسا على الخصوص مقاومة كل توسط عثماني بشؤون مصر اما انكلترا فلم تكن ترى بأساً من ان يرسل السلطان قائداً عثمانياً يتوسط في حل ذلك المشكل. فاحتجت فرنسا بان ذلك قد يقود الى احتلال عسكري فعرضت الدولة العثمانية لحل هذه المعضلة ان يخلع الخديوي وينصب مكانه حليم باشا — وهو من طلاب العرش المصري واعا منعه منه فرمان اسماعيل القاضي بانتقال الارث الى الابناء — وكانت انكلترا من اشد المعارضين لهذا التبديل وفرنسا تعارض من الجهة الاخرى بارسال جند عثماني فاكتفى الباب العالي بارسال مندوب ينوب عنه بحجة حفظ حقه بالسيادة على مصر . فارسل رجلين هما فؤاد باشا وعلي نظامي باشا فوصلا الاسكندرية في ٦ اكتوبر سنة ١٨٨١

فاحتجت انكلترا وفرنسا على ذلك وامرتا المراقبين في مصر ان يستقبلوهما بالترحاب ويمنعاهما من كل مداخلة سياسية . ولما بلغ الخديوي وصول المندوبين استغربه وسأل وكيلي انكلترا وفرنسا عن السبب فاجابا انهما لا يعلمان على ان الدولتين انكلترا وفرنسا الحتا على الباب العالي ان يقصر زمن تلك الزيارة على قدر الامكان . وغاية ما اتاه المندوبان انهما استعرضا الجند وخطب علي نظامي باشا في الضباط يذكرهم بان الجناب العالي نائب جلالة السلطان بمصر وان من يعصى الخديوي يعصى اوامر الخليفة

وعادت الدولتان الى طلب خروج المندوبين حالاً فسافرا في ٢٠ اكتوبر. وعادت الدولتان الى التفكير في ملافاة ما يخشى وقوعه في مصر واظهر الخديوي بعد حادثة ٩

سبتمبر ريباً في الجند وضباطه وانه لا يرى سبيلاً الى الامن الا باخضاع الجيش وبلغ ذلك العرابيين فاتسع الخرق بين الطرفين

مجلس النواب المصري

واراد شريف باشا رتق هذا الخرق بسياسة واسلوب فرأى ان يعقد مجلس النواب ويفوض اليه النظر في مطاليب الامة واعضاؤه نوابها فينتقل النفوذ من الجيش اليهم فتتوازن القوى . فصدر الامر العالي في ٨ اكتوبر بعقد مجلس النواب في ٢٣ دسمبر وتم انتخاب النواب على لائحة اسماعيل باشا التي وضعها سنة ١٨٦٦

وكان مؤلفاً من اثنين وثمانين عضواً اقيم منهم المرحوم سلطان باشا رئيساً وعبدالله باشا فكري رئيساً للكتبة واعدت قاعة المجلس في ديوان الاشغال لتكون مقراً لعقاده. وحضر تلك الجلسة الجناب الخديوي وقال المقالة الافتتاحية بين فيها شدة رغبته في تأليف ذلك المجلس وتنشيطه. وقال انه يرجو ان يكون المجلس مساعداً له في نشر العلوم والمعارف بين افراد الامة مخلصاً في خدمة مصالحها • وحضر تلك الجلسة ايضاً جميع الوزراء ورجال الدولة فتكلم كل منهم حسب مقتضى المقام . ثم نظر المجلس في بعض الامور الداخلية وارفضت الجلسة وعكف مجلس شورى النواب على الاهتمام بشؤونه فرتب اقلامه وانتخب رؤساءها • ثم وجه التفاته على الخصوص الى اللائحة الاساسية الجديدة التي كان قد وعده مجلس النظار بارسالها اليه لينظر فيها لان مجلس النواب افتتح بمقتضى لائحة اسماعيل

وما لبث شريف باشا ان رأى النواب والجند اتحدا وتكاتفا وانقضت سنة ١٨٨١ والامر انتهى بمصر لعرابي وحزبه وصارت الجرائد اذا ذكرته لقبته بالقاب الامراء وكبار الحكام الفاتحين مع ان الحكومة كانت قد اصدرت قانوناً للمطبوعات تقيد به اقلام الكتاب

واخذت الدول تهتم بمسألة مصر لضمان مصالحها وانفردت بذلك انكلترا وفرنسا لانهما صاحبتا المصلحة الكبرى فقررتا المحافظة على سلامة مصر فاعلنتا الخديوي بذلك وانهما لا تسمحان بحركة تؤدي الى تغيير حالة مصر السياسية • فتأثر العرابيون من هذا البلاغ ووافقهم النواب واقروا على اشعار الباب العالي بها فسكنت الخواطر بذلك واصبحت القوات العاملة بمصر حزبين (١) الحكومة يعضدها المراقبان (٣) النواب يعضدهم الجند

وعرضت الميزانية على مجلس النواب فاشتدوا ينظرون فيها والوزارة حاضرة

فاختلفوا في ما يجوز للنواب ان ينظروا فيه وما لا يجوز لهم واشتد اللجاج بين النواب والوزارة فتألف وفد من النواب طلبوا من الخديوي اقرار ما قرروه او استعفاء الوزارة فاستعفت الوزارة وتشكلت وزارة عرابية سامي باشا رئيسها وعرابي ناظر جهاديتها فرقى كثيرين من الضباط الوطنيين واخرج الاتراك والشراكسة ففرح النواب بذلك الفوز وجاءتهم التهاني من انحاء القطر واصبحت القوة العسكرية هي صاحبة الامر والنهي في البلاد وتمكن الارتباط بين الجهادية والنواب وأضيف اليهما الوزارة لانها وطنية عرابية ايضاً . فازدادت مشاكل الخديوي والمراقبين وازدادوا اعتقاداً بوجوب احتلال القطر بجند مختلط من الفرنساويين والانكليز وكان العثمانيون يرون في استفحال العرابيين فائدة لهم وربما ساعدوهم تحت طي الخفاء املاً باسترجاع مصر الى حوزتهم ونهض الباب العالي في اثناء ذلك يقيم الحجة على لائحة الدواتين المتقدم ذكرها

وتغيرت وزارة فرنسا في اثناء ذلك وتولى حكومتها دي فريسينه بدلاً من غمبتا وهو يخالفه في سياسته بمصر فلا يرى احتلالها بجند مختلط وعرض على انكلترا رأيه في حل المسألة المصرية بخلع الخديوي وتولية حليم باشا بشرط ان لا يزداد نفوذ العثمانيين فرفضت انكلترا هذا الرأي

مشكل جديد

قد رأيت ان احمد عرابي رقى كثيرين من الضباط ابناء العرب واضطهد الاتراك والشراكسة وامر بنقلهم الى السودان فبلغه انهم يكيدون له ويتآمرون على قتله فامر بالقبض على جماعة كبيرة منهم وفيهم عثمان باشا رفقي ناظر الحربية السابق وحاكموهم بمجلس حربي فصدر الحكم على اربعين منهم بالنفي المؤبد الى اقصى السودان . فتولدت مشكلة جديدة لان رفقي باشا حائز على رتبة فريق من السلطان وله وحده حق الحكم في هذا الشأن ووافق الخديوي على ذلك فاغضب وزراءه وطال الاخذ والرد في المسألة ثم تقرر تعديل ذلك الحكم بالنفي بدون تعيين السودان او غيرها فغضب العرابيون والوزارة الآن منهم فبعثت تستقدم النواب لتشكو اليهم تصرف الخديوي وانه يضيع امتيازات مصر بدون ان يشاور وزراءه وقد أسروا عزمهم على خلع الخديوي واخراج اسرته وتولية محمود باشا سامي حاكماً على مصر

واجتمع النواب وتعبوا في تسوية الخلاف عبثاً فعاد الموسيو فريسينه الى مخابرة انكلترا في ايهما افضل لمصلحة مصر الاحتلال الفرنساوي الانكليزي او التركي وتقرر

ارسال العمارتين الى مياه الاسكندرية وفي ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ قدم قنصلا فرنسا وانكلترا بلاغاً نهائياً من دولتيهما تطلبان فيه سقوط الوزارة واخراج عرابي من القطر بان تضمنا له رتبه ورواتبه ونياشينه وابعاد عبد العال حلمي وعلي فهمي الى الارياف في جهات لا يخرجان منها مع حفظ رتبهما ورواتبهما ونياشينهما وان الدولتين عازمتان على تنفيذ كل ذلك . وهما تكافلان الجناب الخديوي ان يصدر عفواً عاماً عن الذين لهم دخل في المسألة . فرفض النظار هذا البلاغ ولم يجيبوا عليه بدعوى « ان لا علاقة للدول الاروبية معنا فاذا شئن فليخابرن الاستانة اما نحن فاننا مستعدون للمقاومة » فاخذ سلطان باشا يسعى في التوفيق فخبط مسعاه . وفي ٨ رجب او ٢٦ مايو استعفت الوزارة محتجة على بلاغ الدولتين وطلباتهما فكلف شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فابى فتفاقم الخطب فارسل الجناب الخديوي يخبر الباب العالي ان الجند غير راضين عن استعفاء الوزارة وانهم اقاموا الحجة على طلب الدولتين فاجابه ان الحضرة السلطانية امرت بتشكيل لجنة عثمانية تأتي مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في هذا الامر . فامر الجناب الخديوي ان يرجع عرابي الى مركزه موقتاً للتأمين على الاجانب ريثما يصل الوفد العثماني فسر الجند بذلك . وبعث عرابي منشوراً الى قناصل الدول يضمن تأييد الامن لجميع سكان القطر المصري من وطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين وفي الوقت عينه اقترح ثلاثة أمور :

١ اعادة لائحة الدولتين وانسحاب اسطوليهما

٢ وضع قانون اساسي تبين فيه حدود كل من الجناب الخديوي ووزرائه

٣ قطع المخابرات والعلاقات تواً مع الدولتين ومع سائر الدول الا بواسطة الدولة العثمانية

ثم عمل العرابيون على خلع الخديوي وتولية البرنس حليم باشا وكثيراً ما كانوا يصرحون بذلك في مجالسهم

وجاء الوفد العثماني في اثناء ذلك ولم يزد الخرق الا اتساعاً

وفي ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ حدثت في الاسكندرية حادثة زادت الخلاف تفاقماً وهي خصام بدأ بين حمار ومالطي واتصل الى الاغارة على البيوت والفتك بكل من مروا به من الافرنج ونهب مخازن الناس واخذوا بالمهاجرة حتى كاد يخلو القطر من النزلاء فاهتمت الدول بذلك وطلبت من عرابي ان يعطي ضمانات على ارواح الاوربيين وأموالهم ومن أخص الضمانات ان يمتثل لاوامر الخديوي فاجاب

بالقبول فهدأت الخواطر نوعاً . لكن الخديوي لم يكن واثقاً باستمرار الامن فاسر ذلك الى المستر كالفن المراقب العمومي الانكليزي وان العرابيين يتجندون للحرب بالاسكندرية وبلغت القناصل رعاياها ان يتخذوا اقرب السبل للنجاة مما ربما يحدث وأوعزت اليهم ان يهاجروا من المدينة فتأكد الناس ان الساعة آتية لا ريب فيها وعينت الدول لرعاياها سفناً يهاجرون عليها وحسب القناصل ان تغيير الوزارة يغير الحالة فاشاروا على الخديوي بتغييرها فشكل وزارة جديدة برئاسة اسماعيل راغب باشا وبقي عرابي ناظراً للجهادية والبحرية

وسعت الدول في عقد مؤتمر في الاستانة للنظر في شؤون مصر فوقف الباب العالي في طريق عقده لانه لا يرى حاجة الى ذلك . ولكن المؤتمر التأم وقرر ارسال جند عثماني لاخماد الثورة فابى السلطان ان يجيبهم فاتخذت انكلترا ذلك ذريعة لتداخلها في القوة اما فرنسا فقد عاملت ما كان من تغير سياستها بعد تغير وزارتها واصبحت لا ترى الاشتراك مع انكلترا في أمور مصر وانما هي تشاركها فقط في حماية قناة السويس ولم تشأ مشاركة الانكليز في تحمل تبعة الاحتلال العسكري . ولذلك فامارسا الاسطول الانكليزي في مياه الاسكندرية تفردت انكلترا بالعمل . فاخذ الاميرال سيمور قومندان العمارة الانكليزية يترقب الاسباب لمباشرة العدوان فادعى ان الجهادية يحصنون القلاع في الثغر وينقلون احجاراً ضخمة يلقونها عند فم المضيق لسد مدخل الميناء فيمنع المدد ويحصر الاسطول وقال ان هذا التحصين مناف لحقوقه . فكلف الحكومة المصرية ان تكف عن التحصين حالاً والا اضطر الى اطلاق مدافعه عليها فيدكها عن آخرها فاجابه طلبة باشا عصمت ان لا صحة لما يقول وان الجهادية لم يهتموا قط بتحصين القلاع وشاع ذلك فخافت الناس وأوعز الى الجناب الخديوي بواسطة المستر كوكفن ان يسعى صيانة لحياته فاجابه « لا يليق بي ان اترك الكثيرين من رعيتي الامناء في أوان الشدة ولا يليق بي أيضاً أن أترك البلاد في أوان الحرب » ثم توسطت قناصل الدول في الاسكندرية بين الاميرال سيمور وبين الجهادية المصرية فلم ينجحوا . فتقدم عرابي وسامي الى كاتب سر مجلس النظار أن يكتب تقريراً مفاده « ان الاميرال تجاوز الحدود فيما يطلب وانه لا بد من مقاومته وان عرابي وقومه مفوضون في أمر الدفاع عن البلاد وداروا به على منازل النظار وطلبوا التوقيع عليه فوقع بعضهم اختياراً والبعض اضطراراً ويقال ان الخديوي نفسه صدق عليه أو الجيء للتصديق ثم أرسلوه الى الاميرال سيمور . وأرسل عرابي منشوراً الى المديريين يطلب اليهم أن يكونوا مستعدين

للامداد بالجند والمال

وفي مساء ٢٢ شعبان أو ٩ يوليو جاء المستر كارترايت الى الخديوي وأعلنه رسمياً عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح الثلاثاء في ١١ يوليو وألح عليه ان يترك سراي رأس التين ويلجأ الى سراي الرمل ففعل . ثم كتب رسمياً الى درويش باشا يطلب اليه ان يحافظ على حياة الجناب الخديوي والقى عليه التبعة اذا أصيب بسوء

وفي ٢٣ شعبان او ١٠ يوليو كتب الاميرال سيمور رسمياً الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة يعلمهما بخروج رجال الوكالة الانكليزية من القطر المصري اشارة الى قطع العلائق الودية وأعلنت خارجية انكلترا سائر الدول بذلك « وانها لم تر بداً منه لكنها تصرح ان ليس لها أرب خفي أو نية غير بينة وانما عملها هذا من قبيل الدفاع وحرصاً على مصلحة الجناب الشاهاني » وفي مساء ذلك اليوم سافر الاسطول الفرنساوي متقهقراً تاركاً سفينتين من سفنه فقط

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ ﻫ أو ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ م أطلقت العمارة الانكليزية مدافعها على حصون الاسكندرية وما زالت الى الساعة واحدة ونصف بعد الظهر فهدمت معظمها وانفجر مستودع البارود في قلعة اطه فجاء راغب باشا الى الجناب الخديوي في الرمل وأخبره ان الحصون قاومت أشد مقاومة وان كثيراً من سفن الانكليز قد غرقت وكان يقول ذلك مسروراً . ولكن قوله هذا ما لبث ان نقض بورود الخبر الصحيح . ثم جاء عرابي فوقف بين يدي سموه فسأله عن حالة الحصون فقال « لم يعد في وسعنا المقاومة ولا بد اما من تدابير أخرى أو ان نتساهل مع الاميرال » وبعد المخابرة تقرر ارسال طلبه باشا الى الاميرال وعاد عرابي من حيث أتى . فعاد طلبه باشا من عند الاميرال يطلب احتلال ثلاث قلاع والا فانه يستأنف القتال الساعة ٢ بعد الظهر . ثم قال « ولكنني قلت له ان هذه المدة لا تكفي لاتمام المخابرة بشأن ذلك فطلبت تطويلها فابى فاتيت لاعلم سموكم ملتمساً رأيكم » فعقد مجلس تقرر فيه انه لا يحق للحكومة المصرية الترخيص في احتلال جنود أجنبية بدون مخابرة الباب العالي الا ان الوقت لم يسمح بتبليغ ذلك القرار للاميرال

ولما رأى رجال الحصون المصرية عجزهم عن مقاومة السفن الانكليزية رفعوا العلم الابيض اشارة الى ايقاف العدوان فانقطعت السفن عن قذف النار . وكانت

الحصون قد تهدمت فعلم الثائرون ان ذلك التسليم يعقبه احتلال الجيوش الانكليزية المدينة فوزعوا في غلس ١٣ يوليو فرساناً في احياء المدينة يأمرون الوطنيين بالخروج من الاسكندرية حالاً وكانت هذه الاوامر تصدر من الاميرالاي سليمان داود وامر ايضاً زمراً من الرعاع ان تطوف المدينة وتحرقها فابتدأوا من الساعة الاولى بعد الظهر فكانت الاسكندرية مساء الاربعاء مضطرمة الجوانب منهوبة المخازن لا ترى فيها الا لهباً متصاعدة واناساً حاملين الامتعة والمصاغ فارّين الى داخلية البلاد

ويطول بنا الاسترسال في تفاصيل الوقائع بعد ضرب الاسكندرية فانها مشهورة ويجدها القاريء مدونة في الهلال وتاريخ مصر الحديث وتراجم مشاهير الشرق كما تقدم وانما اردنا ذكر خلاصة الاسباب التي آلت الى تلك الثورة لنبدي بذلك حكمنا على صاحب تلك الحركة

ما الذي حمل عرابي على ذلك

يظهر مما تقدم ان عرابي قام في بدء امره يلتمس الاصلاح لا غرض له الا نصرة اهل الوطن واسترجاع حقوقهم . ولولا سامي باشا البارودي الذي كان ينقل اليه ابحاث مجلس النظار في شأنه وشأن اتباعه مما يثير الضغائن ويهيج العواطف ما بلغت ثورتهم الى هذه الحدة ولا نظرت الحكومة الى عرابي نظرها الى العاصي المتمرد ولا هو نظر اليها نظره الى العدو الطامع

وبعد ان تمكنت الضغائن بين الفئتين واصبحت المقاومة جهارية لم يعد مجال للوم احدى الفئتين الا من حيث غرور عرابي بقواته ورجاله بعد ان رأى الاسطول الانكليزي في مياه الاسكندرية . كيف حدثته نفسه مقاومة هذه الدولة والحكومة المصرية ؟ ألعله كان يتوقع نصرة من الباب العالي ؟ اوهو حسب الانكليز لا يستطيعون مقاومته في البر ؟ او لا يكافئون انفسهم ذلك . او لعله استكثر جنوده واغتر بعددهم وما كان يسمعه من مجاملة كبرائهم واكثرهم خانوه في التل الكبير . على ان انخداعه بتملقهم نعده من الضعف لانه عاشرهم وعرف طباعهم

اما هو فقد كان حسن القصد وخصوصاً في اوائل الثورة ولا يخلو من طمع داخله بعد ذلك بما رآه من فوزه السريع . فربما حدثته نفسه بما تأتى لغيره من مؤسسي الدول المصرية مثل صلاح الدين الايوبي ومن تولى الاحكام من السلاطين المماليك وغيرهم الى مؤسس العائلة الخديوية . وقد فاته ان حال مصر اليوم غير حالها في تلك العصور وان الدول العظمى مصالح في وادي النيل وسائر المشرق لا تدخر

وسعاً في سبيل صيانتها . ولولا ذلك لكان سلطان العائلة الخديوية اعظم مما نراه ومملكتها اوسع وملكها اضخم . لان قيام هذه العائلة لم يكن باضعف من قيام غيرها من الدول العظمى والاحوال لم تكن اقل موافقة لها لولا اختلاط مصالح الدول العظمى في الشرق — ولولا ذلك لكان امر المهدي السوداني غير ما صار اليه — وربما رأيت اعلامه تخفق في مصر والشام والحجاز والعراق ! . .

وكيف يفوت زعيم الوف الالوف مثل هذه الحقائق وما هو بالرجل الخامل وقد نهض من ادنى مراتب الجندية الى اعلاها بجده وذكائه وعلو همته فهل خدعته دولة من الدول بوعد او نصرة او غير ذلك لاندري؟

واما مايزعمه بعض الناس من تواطئه في هذه الثورة مع انكلترا او نحو ذلك — فهو قول لا يستحق الالتفات اليه ولا النظر فيه لان دولة الانكليز اكبر من ان تتخذ هذه الوسيلة وعرابي اعقل من ان يخدع الى هذا الحد لانه لو فعل ذلك لكان شأنه شأن من يخرج البلاد من يد ابيه واخوته ويسلمها الى الغريب ولا نفع له . ولو كان متواطئاً ما ثبت في الحرب الى هذا الحد وقدغادره انصاره بين نادم ومارق وهارب وشارد وظل وحده يتأهب للدفاع حتى دخل الانكليز العاصمة وقبضوا عليه وحاكموه هو وانصاره ونفوهم . ويؤيد ذلك كتاب جاءنا منه وهو في منفاه في سيلان قال فيه بعد الشكوى مما يقاسونه من الذل :

« ونزيدكم الآن اننا اموات في صور احياء او احياء في صور اموات . ولكننا لسنا بآسفين لاعتقادنا اعتقاداً جازماً باننا قمنا بما فرضه الله سبحانه علينا من الواجبات الشرعيــة والحقوق الوطنية بكل نصح وامانة جهد الاستطاعة . ولا عبرة فيما يتقوله بعض اهل الصحافة والناسجون على منوالهم . فانهم يقولون بالسنتهم ويكتبون بيراعهم ما يخالف اعتقادهم

تحريراً في كندي (سيلان) خادم الوطن العزيز
في ١٠ مايو سنة ١٨٩٨ احمد عرابي الحسيني المصري »

ذلك هو اعترافه بنفسه وهو الامر الذي نعتقده فيه لانه قام بما قام له وقصده حسن ووجهته الحق ثم انخدع بمن توسط بينه وبين الحكومة من ذوي الاغراض فتهور في مطاليبه ولم يقف عند حد . وهنا مكان اللوم عليه — فانه يلام لاساءته النظر في العواقب او لانخداعه بالوعود الباطلة وكلاهما من ضعف الرأي

مكتبة الاسكندرية

وعمر بن الخطاب

لما ذكرنا فتح الاسكندرية في الطبعة الاولى من تاريخ مصر الحديث سنة ١٨٨٩ جارينا كتبة الافرنج في انكار ما رواه المؤرخون عن احراق مكتبتها على يد عمرو ابن العاص بأمر عمر بن الخطاب . ولما ألفنا تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ سنة ١٩٠٤ عدنا الى النظر في هذا الموضوع وبحثنا فيه بحثاً تحليلياً لا غرض لنا منه غير تقرير الحقيقة فتبين لنا ترجيح ما قاله المؤرخون واتينا بادلة ظنناها كافية لترجيح تلك الرواية ريثما يظهر لنا ما ينقضها أو يثبتها . ولا نزال نبحث ونفتش

ثم رأينا ارباب الاقلام في مصر والشام عادوا الى هذا البحث وفيهم من اصرّ على انكار ذلك رغبة في تنزيه الامام عمر بن الخطاب رجل الاسلام عن هذه الفعلة . فهم يبنون انكارهم على اجلال ذلك الرجل العادل العاقل عن ارتكاب هذا المنكر في زعمهم . وشددوا النكير على من خالفهم ونسبوه الى التعصب أو الجهل . فرأينا أن نعيد النظر في هذا الموضوع ونحن اشد الناس اجلالاً لعمر واكثرهم تقديراً لمناقبه وفضائله . ونجلّ قلمنا عن ان يجري على القرطاس لغرض غير تقرير الحقيقة . وفي كتاباتنا الماضية ما يؤيد هذا القول

على اننا نعتقد ان احراق مكتبة الاسكندرية اذا ثبت وقوعه بامر الامام عمر بن الخطاب لا يحط من قدره ولا يناقض ما عرف من مناقبه . ومن توهم غير ذلك فقد اخطأ او هو يقيس اعمال تلك العصور على احكام هذا العصر — ولكل عصر احكام تختلف عما لسواه . وربّ عمل يعدّ فضيلة في عصر ورذيلة في آخر . واحراق المكاتب او اعدام الكتب كان معدوداً في عرف الساسة القدماء من ضروريات الفتح والتغلب ولا سيما اذا كان التنازع بين امتين من مذهبين مختلفين . فكان اهل كل شيعة او ملة يحرقون كتب غيرها او يعدمونها كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية كانت لا تزال باقية الى ايامه (سنة ٢١٣ هـ) من مؤلفات المجوس وقد عرضت عليه فلما تبين حقيقتها امر بالقائها في الماء وبعث الى الاطراف ان من وجد شيئاً من كتب المجوس فليعدمه

ولما فتح هولاكو التتري بغداد سنة ٦٥٦ هـ امر بالقاء كتب العلم التي كانت في خزائنها بدجلة وكانت شيئاً لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لاول الفتح بكتب الفرس وعلومهم . وقال آخرون انه بنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن والارجح انه اغرقها انتقاماً من اهل السنة

ولما فتح الافرنج طرابلس الشام في اثناء الحروب الصليبية احرقوا مكتبتها بامر الكونت برترام سنت جيل وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن فامر باحراق المكتبة كلها وفيها على زعمهم ثلاثة ملايين مجلد . وفعل الاسبان نحو ذلك بمكاتب الاندلس لما استخرجوها من ايدي المسلمين في اواخر القرن الخامس عشر

ومن هذا القبيل هدم الهياكل واحراق كتبها فقياصرة الروم حالما تنصروا امروا بهدم هياكل الاوثان في مصر واحراق ما فيها من الكتب وغيرها . وكان خلفاء المسلمين اذا ارادوا اضطهاد المعتزلة واهل الفلسفة احرقوا كتبهم . والمعتزلة كثيراً ما كانوا يتجنبون ذلك تحت خطر القتل فيستترون ويجتمعون سرّاً والخلفاء يتعقبون آثارهم ويحرقون كتبهم . ومن اشهر الحوادث من هذا القبيل ما فعله السلطان محمود الغزنوي لما فتح الري وغيرها سنة ٤٢٠ هـ فانه قتل الباطنية ونفى المعتزلة واحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجامة

فلا غرو اذا فعل المسلمون ذلك في تشييد دولتهم ولا عار عليهم فيه • وخصوصاً ان الاعتقاد العام كان في الصدر الاول «ان الاسلام يهدم ما كان قبله» فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن لانه جاء ناسخاً لكل كتاب قبله ومن الاحاديث الشائعة يومئذ «كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم»

واحراق هذه المكتبة أو غيرها لا ينافي مناقب عمر. واظهر تلك المناقب العدل مع الصرامة وحرية الضمير والشدة والتقوى مع الغيرة الشديدة على الاسلام والرغبة في تأييده ونشره . واحراق المكاتب من قبيل تأييد الدولة بمحو آثار ما قبلها . فاذا صحّ انه امر باحراق تلك المكتبة او غيرها في سبيل التغلب والفتح لا يطعن في فضائله . ويؤيد ذلك ان كتاب المسلمين وفيهم الأئمة والقضاة وعلماء الكلام والفلاسفة لم يتعرض احد منهم للاعتراض على تلك الرواية او انتقادها او انكارها . وقد مضى على اقدم كتاب وصلنا خبرها فيه نيف وسبعمائة سنة ظهر في اثنائها جماعة من اكابر العلماء النقادين البحاثين لم يتعرض احد منهم لانكارها • حتى تصدى المؤرخ ادوارد جبن الانكليزي المتوفى سنة ١٧٩٤ لهذا الموضوع في عرض كلامه عن فتح الاسكندرية في كتابه

« تقهقر الدولة الرومانيــة وسقوطها » وادوارد جبن المذكور اعظم ثقات التاريخ الروماني لكنه كتب كتابه في اواخر القرن الثامن عشر ولم يكن المستشرقون تمكنوا من التوسع في معرفة آداب اللغة العربية او نقلهـا الى السنتهم • ولم يكن جبن مستشرقاً فحكمه على حقيقة تاريخية اسلامية لا يعوّل عليه • ودليل ذلك انه بنى انكار تلك الحقيقة على اعتقاده ان ابا الفرج الملطي المتوفى سنة ٦٨٤ ه اول من ذكرها وانه لم يذكرها سواه قبله . فقال جبن بعد نقل عبارة ابي الفرج « ان شهادة رجل غريب كتب في آخر المئة السادسة على حدود بلاد الفرس ينقضها سكوت مؤرخين اقدم منــه وكلاهما مسيحي ومصري اقدمهما البطريرك افتيخيوس وقد وصف فتح الاسكندرية وصفاً وافياً ... »

فترى من ذلك ان جبن لم يكن يعلم ان ابا الفرج الملطي نقل ذلك الخبر عن قاض مسلم مصري عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والاصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل . نعني ابن القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ﻫ ذكر ذلك في كتابه تراجم الحكماء . وكان ابن القفطي صدراً محتشماً جمع من الكتب مالا يوصف وكانوا يحملونها اليه من الآفاق وكانت مكتبته تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها . وله حكايات غريبة عن غرامه بالكتب ولم يخلف ولداً فأوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب . وله مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة وفي جملتها كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين في ستة مجلدات. وكتاب تراجم الحــكماء الذي نحن في صدده . وقد فات جبن ايضاً ان عبد اللطيف البغدادي الرحالة ذكر ذلك في رحلته الى مصر وقد توفي قبل ابي الفرج بستين سنة

لو عــلم جبن بوجود هذه الكتب لرجع عن رأيه وكفى النــاس مؤونة الجدال بلا طائل • على ان جماعة من كبار المستشرقين البحاثين ناقضوه في دعواه وذهبوا الى صحة الرواية وفي جملتهم الاساتيذ هوايت وسان مرتين وفون هامر وسلفستردي ساسي وكلهم من قهارمة المستشرقين الثقات • لكن بعض زملائنا واصدقائنا في مصر والشام لا يزالون على رأي جبن الذي قاله منذ قرن وبعض القرن توهماً منهم ان ثبوت ذلك يحط من قدر الامام عمر بن الخطاب وقد تقدم انه لا يحط شيئاً • وما كان اجدرهم ان يعدلوا عن مجاراة مؤرخ انكليزي قلما يعرف عن المسلمين وآدابهم ويقتدوا باشهر مؤرخي العرب والمسلمين ممن قرأوا تلك الحقيقة فسكتوا عنها أو نقلوها وايدوها • وفيهم جماعة من اعظم الثقات المقادين

يكفي منهم ابن خلدون وقد توفي سنة ٨٠٨ هـ وهو واضع علم النقد التاريخي واستاذ فلسفة التاريخ للعالم المتمدن • الف تاريخه في آخر القرن الثامن للهجرة اي بعد ابن القفطي بقرن ونصف وقد عقد في مقدمته فصلاً طويلاً ذكر فيه ما يعرض للمؤرخين من المغالط والاوهام فانتقد مبالغات المؤرخين في اخبار التبابعة واسفارهم وفتوحهم وما ذكروه عن ارم ذات العماد ونحوها من المبالغات والاوهام وما روي عن اسباب نكبة البرامكة من حديث العباسة وجعفر • وشدد النكير على من يتهم الرشيد بشرب الخمر وبالغ في انكار ذلك تنزيهاً لبني العباس عن المنكرات • فهو بلاشك اكثر تنزيهاً لعمر بن الخطاب عما يمس سمعته او يقلل من فضله • فلو توهم في حريق المكاتب ايام الفتح عاراً لم يسكت عن نقده وتبيينه ولا يهمه من قاله فان بين الذين انتقد اقوالهم في تلك المقدمة جماعة من كبار المؤرخين والائمة الكبار وفيهم ابو بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين • ولا يقال ان ابن خلدون لم يطلع على ما كتبه ابن القفطي والبغدادي فانه يجل عن هذا التقصير. ويؤيد ذلك انه اورد حكاية الحريق في عرض كلامه عن طبيعة العمران وما فيه من الصنائع والعلوم وانما ذكر محو علوم فارس فقال « اين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح » ولم يعلق على هذا القول كلمة . وهو دليل على انه لم ينكره ولا انكره ولا رأى فيه عاراً على عمر

ولو رأى فيه مساً لكرامته لم يعدم وسيلة لانكاره والطعن على رواته كما انكر اقوال المؤرخين ان العباسيين في صدر دولتهم لبسوا الذهب فقال في مقدمته (صفحة ١٥) « ان جميع من سلف من خلفاء بني امية وبني العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج وان اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضاً في ملابسهم » مع انه قال في مكان آخر من مقدمته ما يخالف ذلك نعني قوله (صفحة ١٤٥) في كلامه عن زواج المأمون ببوران « ان المأمون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت واوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة منّ وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجاً بالذهب مكللاً بالدر والياقوت » والمأمون ثالث الخلفاء بعد الرشيد وليس ثامنهم . وانما تطرق مؤرخنا الفيلسوف الى هذا الوهم وتحمل هذا التكلف لشدة رغبته في تنزيه العباسيين عن الترف ونحوه . فلو عدّ حريق الكتب في سبيل الفتح عاراً لم يسكت عن نسبته الى عمر بن الخطاب واعتبر ذلك في سائر من نقل هذا الخبر من المؤرخين ومنهم ابن القفطي المتقدم

ذكره وعبد اللطيف البغدادي الرحالة النقاد والمقريزي المؤرخ الثقة عن مصر. وحاجي خليفة صاحب كشف الظنون . فقد نقلوا خبر حريق مكتبة الاسكندرية صريحاً بلا ملاحظة ولا ارتياب

ولا يجوز من الجهة الاخرى ان ننكر الحقائق التاريخية ونطعن في ناقليها لانها تحط في نظرنا من قدر بعض الرجال فان المؤرخ الثقة مصدَّق حتى يقوم الدليل النقلي او العقلي على خلاف قوله . ولكن بعض الكتاب يرتكبون هذا الشطط غيرة منهم على سمعة بعض المشاهير كانهم يريدون ان يكون ذلك الشهير كاملاً والكمال لله وحده . ولذلك رأينا بعض العلماء الكتاب من معاصرينا ينكر على رواة الحديث والمؤرخين قولهم « ان عمر كتب الى عامله في العراق ان يختم رقاب اهل الذمة من الفرس بالرصاص » وشدد النكير على رواتها وفيهم ابن الجوزي الامام المشهور . والسبب في هذا الانكار لان ختم رقاب اهل الذمة بالرصاص يعدّ في عرف اهل هذا الزمان بعيداً عن شروط المدنية الحديثة . ولكنه كان جارياً في صدر الاسلام . وليس الغرض منه الاهانة او التعذيب وانما ارادوا تمييز الذمي من المسلم لان بعض الذميين كان يدعي الاسلام للتخلص من الجزية . وقس على ذلك انكارهم عهد عمر لاهل بيت المقدس وبين رواته الطرطوشي من كبار اعلام المسلمين ذكره في كتابه سراج الملوك وهو من اجل كتب التاريخ والسياسة وقد ذكره ابن خلدون واطراه

أما خلو ما بين ايدينا من كتب الفتح اونحوها من خبر ذلك الحريق فلا ينفي صحته لكثرة ماضاع من تلك الكتب . واذا وضعنا القاعدة ان لا نصدق من اخبار الفتح الا ما هو مذكور في كتب الفتوح التي وصلت الينا فاننا نبخس الاسلام حقه وننكر على اصحابه كثيراً من الفضائل. لان ما ضاع من كتب التاريخ والغزوات التي كتبت في القرون الاسلامية الاولى اكثر كثيراً مما بقي . اقرأ مقدمة مروج الذهب للمسعودي فتجد اسماء مئات من كتب التاريخ والفتوح الهامة التي استعان بها المسعودي في تأليف كتابه لم يبق منها الا النذر اليسير . واعتبر ذلك في سائر المؤلفات

وهنالك اعتراضات تؤخذ من نص الرواية لا بد من تدبرها وتفسيرها فان صاحب رواية حريق مكتبة الاسكندرية بأمر عمر يقول :

« وعاش (يحيى النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وماجرى له مع النصارى فاكرمه عمرو ورأى له موضعاً وسمع كلامه في ابطال التثليث فاعجبه وسمع كلامه ايضاً في انقضاء

الدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من الفاظه الفاسفة التي لم يكن للعرب بها انسة ما هاله ٠ وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لا يفارقه ثم قال له يحي يوماً (انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وختمت كل الاجناس الموصوفة الموجودة بها فاما مالك به انتفاع فلا اعارضك فيه واما ما لا نفع لكم به فنحن اولى به) فامر بالافراج عنه ٠ فقال له عمرو (وما الذي تحتاج اليه) قال (كتب الحكمة في الخزائن الملوكية وقد اوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها) فقال له (ومن جمع هذه الكتب وماقصتها) فقال له يحي (ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وامر بجمعها وافرد لها خزائن فجمعت وولى امرها رجلاً يعرف مرة (زميرة) وتقدم اليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في اثمانها وترغيب تجارها ففعل . واجتمع من ذلك في مدة خمسون الف كتاب ومائة وعشرون كتاباً . ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة اترى بقي في الارض من كتب العلم مالم يكن عندنا . فقال له زميرة قد بقي في الدنيا شيء في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم فعجب الملك من ذلك وقال له دم على التحصيل فلم يزل على ذلك الى ان مات وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الامر من الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا) فاستكثر عمرو ما ذكره يحي وعجب منه وقال له (لا يمكنني ان آمر فيها بامر الا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب) وكتب الى عمر وعرفه بقول يحي الذي ذكر واستأذنه ما الذي يصنعه فيها . فورد عليه كتاب عمر يقول فيه (واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها) فشرع عمرو ابن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها . وذكرت عدة حمامات يومئذ وانسيتها فذكروا انها استنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب » (هذه رواية ابن القفطي)

ومن هذه الرواية اخذ ابو الفرج وغيره . فيقول المنكرون ان يحي النحوي هذا كان قبل الفتح الاسلامي ولا يعرف زمانه بالتحقيق واذا صح انه بقي الى ايام الفتح فيكون قد تجاوز سنه ١٣٠ سنة . فهذا يمكن تفسيره انه بلغ هذا السن بدليل قول ابن القفطي في صدر هذا الخبر «وعاش يحي النحوي الى ان فتح عمرو بن العاص مصر» كانه يرى انه عاش طويلاً حتى ادرك الفتح فاستلفت نظر القارىء الى ذلك . او ان

يكون يحيى هذا غير النحوي المعروف والتبس الاسمان على الراوي كما يتفق لكثير من المؤرخين ولا سيما العرب في نقل اخبار غير العرب . فهذا لا ينفي الرواية كلها فاذا قال المؤرخ العربي مثلاً ان العرب لما فتحوا مصر كان فيها المقوقس وانه رومي الاصل ثم ثبت انه قبطي فهل ينفي ذلك حدوث الفتح — ويقال نحو ذلك في المبالغة العظيمة في الرواية من حيث تفريق الكتب على حمامات الاسكندرية اشهراً فانها مبالغة عظيمة لكننا نحملها على رغبة الراوي في تعظيم هذا العمل . ويشبه ذلك مبالغة بعضهم في اخبار بعض الفتوح او تعظيم اعمال بعض القواد وهذا لا ينفي وقوعها

ويعترض آخرون ان مكتبة الاسكندرية لم يبقَ منها شيء لايام الفتح الاسلامي بل احرقت كلها في زمن الرومانيين . لاننكر احتراق هذه المكتبة في اثناء الحروب الرومانية على جاري العادة في الفتوح يومئذ كما قدمنا لكنها كانت تجدد او يبقى بعضها وتزاد . وزد على ذلك انه كان في الاسكندرية في تلك الاعصر مكتبتان احداهما مكتبة المتحف الكبرى والثانية مكتبة السرابيوم . فالحروب كانت تفضي الى حريق احدى هاتين المكتبتين . والمؤرخون مختلفون في تلك الاخبار . ولكن الثابت ان يوليوس قيصر احرق مكتبة المتحف وحدها . ويستند آخرون الى شهادة بول اورز او اوروزيوس المؤرخ فقد ذكروا انه زار مكتبة الاسكندرية في اول القرن الخامس للميلاد فلم يجد فيها كتباً . وقد تحقق الباحثون انه يعني مكتبة المتحف المتقدم ذكرها وليس الاخرى. اما هذه فقد نقل زميلنا الاب شيخو اليسوعي ان صديقنا المستشرق الايطالي الاستاذ جويدي ترجم بالامس تاريخاً سريانيًّا الى اللاتينية جاء في حوادث سنة ٦٠٠ للميلاد منه ان رجلاً اسمه بطرس فتح مدينة الاسكندرية لجيش الفرس ثم قال « وكان بطرس هذا فيلسوفاً يشتغل بدرس الحكمة من صغره وكان قد قرا في ذيل احد كتب المدينة ما سيحل بها من الضنك . . . » وهذا يدل على وجود مكتبة عمومية لمدينة الاسكندرية قبل الفتح باربعين سنة

على ان هذا كله لا يعد برهاناً قاطعاً يقينيًّا على حريق تلك المكتبة على ايدي العرب. وانما هو ترجيح يقبل النقض عند الوقوف على ما يناقضه ولا نزال نوالي البحث والاتكال على الله

المادة قوة

احدث رأي في ماهية المادة

لا شيء يزيد على الكون
ولا شيء ينقص منه
«الرأي القديم»

لاشيء يزيد على الكون
ولكن كل شيء سائر الى الزوال
«الرأي الجديد»

تمهيد

ما برحت ماهية المادة من المسائل التي حارت فيها عقول الفلاسفة والعلماء في كل زمان فتضاربت الاقوال في تحديدها و بيان الفرق بينها و بين القوة . والمشهور ان للعالم ركنين : المادة والقوة

واحدث الآراء في هذا الباب رأي الدكتور جوستاف لوبون العالم الفيلسوف الفرنساوي . فانه وضع مبدأ جديداً لوصح لقلب كل المعتقدات العلمية الحديثة لانه يهدم ركناً من اهم اركانها نعني مبدأ الجوهر الفرد او الرأي الجوهري الذي هو اساس العلوم الطبيعية (ومؤداه ان المادة مؤلفة من اجزاء صغيرة لا تدرك الا بالوهم وغير قابلة للتجزوء) ذلك لانه يقول بانحلال الجواهر الفردة وضياعها . وقد شرح الدكتور المذكور مبدأه في كتاب سماه نشوء المادة [1] ابان فيه ان المادة سائرة الى الزوال مثل سائر المخلوقات الحية ـ اي ان مذهب التغير الذي ينطبق على الاحياء يسري ايضاً على الجماد . ولايخفى ان ذلك مضاد لما هو شائع من ان المادة لا تتلاشى . وقد قرظ علماء اوربا هذا الكتاب احسن تقريظ حتى قالوا انه اعظم كتاب علمي ظهر بعد كتاب اصل الانواع لداروين — وقبل الشروع في شرح هذا الرأي يجدر بنا ان نمهد الكلام في الرأي الماضي ونسميه القديم حتى يتمكن القارىء من المقابلة بين الرأيين

الرأي القديم

العالم بما فيه من جماد ونبات وحيوان مركب في نظر الكيماويين من عناصر بسيطة

(١) L' Evolution de la Matière

لا تقبل الانحلال يربو عددها على السبعين . واكثرها يتركب مع غيره فتتولد المواد المتعددة التي نعرفها على اختلاف اشكالها وقليل منها يبقى على عنصريته . اذا أحرقت ورقة تحولت الى مادة سوداء تختلف بخصائصها عن مادة الورق . لان الورق انحل الى مواده الاصلية (كربون وهيدروجين واوكسيجين وغير ذلك). فاختلف تركيبها فكربونها مثلاً اتحد بعضه باوكسيجين الهواء فتحول الى حامض كربونيك وهو غاز . وهيدروجينها اتحد به ايضاً فتحول الى ماء بصورة بخار وبقي قسم من الكربون لم يتحد بالاوكسيجين وهو المادة السوداء . ففي هذا المثل تغير شكل الورق بانحلاله ولكن الجواهر الاصلية التي يتركب منها الورق لا تزال موجودة بتمامها وان تغير شكلها . وهكذا فكل التغيرات الكيماوية انما تؤثر على الشكل ويبقى الجوهر سليماً

فعلى هذا المبدأ وضع الكيماويون قولهم « ان لا شيء يزيد على الكون ولاشيء يضيع منه » — هكذا ظل العلماء يعتقدون نحو الفي سنة زاعمين ان هذا المبدأ ثابت ابداً لا يتزعزع الى ان قام الدكتور جوستاف لوبون في اواخر القرن الماضي وقاوم هذا الرأي وذهب الى ان المادة قوة متكاثفة . فالمادة والقوة في رأيه اسمان لمسمى واحد في الاصل انما اختلفت مظاهره . فقاومه علماء العالم المتمدن حينئذ — شأن كل رأي جديد عند ظهوره — ثم ما لبثوا ان سلموا باكثر قضاياه لانها مبنية على المشاهدة والتجارب العديدة التي قام بها الدكتور لوبون في عشر سنوات او اكثر

الرأي الحديث

قلنا ان الكون بمقتضى الرأي السابق ذكره مركب : ١ً من مادة قابلة للوزن . ٢ً . من قوة تحرك المادة وهذه القوة غير قابلة للوزن . وهي على اشكالها كالكهرباء والنور والحرارة وغيرها حركات في الجواهر الفردة تنتقل بواسطة سائل لطيف غير قابل الوزن تسبح فيه الجواهر الفردة سموه اثيراً . فكأن الكون يحوي ثلاثة امور : مادة وقوة واثير . وكل من هذه العوالم الثلاثة مستقل في خصائصه عن رفيقيه . اذ لا علاقة ظاهرة بين المادة القابلة للوزن والقوى المختلفة غير القابلة له

ويمتاز الرأي الجديد بانه يهدم الفواصل بين العوالم الثلاثة الآنف ذكرها . ويبين علاقة الواحد منها بالآخر ويرجعها كلها الى اصل واحد . فعنده ان المادة تتحول الى قوة

والقوة الى اثير . ومعلوم ان جل قصد الفلسفة والعلم الرجوع بمعارف الانسان الى ابسط ما يمكن من الاقسام . لان غايتها القصوى توحيد تلك الاقسام . وقد نجح العـلم في مسعاه هذا من حيث الكائنات الحية بفضل مذهب النشوء والارتقاء الذي يرجع الاحياء الى اصل واحد. وها اليوم الدكتور جستاف لوبون يفعل شبه ذلك في عالم الجماد فنسبة الدكتور لوبون لعلمي الكيمياء والفلسفة الطبيعية كنسبة دارون الى علم الحياة

انحلال المادة

من الحقائق الثابتة اليوم ان الراديوم وبعض المواد التي على شاكلته تتلاشى بارسال ذرات صغيرة ذات سرعة عظيمة تفلت منها وتشترك بخصائصها بين المادة والاثير وتجعل الهواء موصلاً للكهربائية وتخترق المواد الصلبة وتقبل تأثير المغنطيس. ولما كانت هذه الظواهر غريبة على العلوم الطبيعية اذ لم يعهد مثلها في ما سبق ولم يمكن نسبتها الى قوة من القوى المعروفة تسابق العلماء عند هذا الاكتشاف بنظرياتهم الى شرح هذا الامر العجيب. ولكن نظرياتهم اضمحلت. ولم يثبت امام النقد العلمي الا نظرية الدكتور لوبون لانها مبنية على المشاهدة والاختبار . فان الدكتور المشار اليه برهن ان هـذا الانحلال المشاهد في الراديوم وما شابهه هو من خصائص كل المواد الا انه في الراديوم أسرع منه في غيره . وقد وافقه اكثر علماء أوربا على هذه النظرية . فكل المواد تنحل انحلال الراديوم بسرعة تختلف باختلاف خواص جواهرها الفردة . وهذا الانحلال بطيء جـداً وتزيد سرعته اذا تعرضت المادة الى احدى القوى الطبيعية كالنور أو الكهربائية أو الحرارة

وبديهي ان تتابع هذا الانحلال لا بد أن ينقص وزن الجسم ـ وان كانت الآلات الوازنة التي بين أيدينا لا تشعرنا بفرق حسي من هذا القبيل . فسبب ذلك ان الذرات المفلتة من الجسم قليلة جداً بالنسبة الى مجموع الذرات المؤلف منها ذلك الجسم . فيعجز ميزاننا (وهو بعيد عن الكمال) عن اشعارنا بالفرق . ومن الثابت ان جزءا من الف من جرام الراديوم وهو أسرع المواد انحلالاً يبقى دهراً وهو يشع ملايين وملايين من تلك الذرات الى أن تتلاشى مادته أخيراً أي تتحول الى قوه

القوة داخل الجواهر والقوى الناشئة عنها

فلما تنحل المادة تتحول الى تلك الذرات الصغيرة . ولكن من اين لتلك الذرات هذه القوة العظيمة التي ترسلها بسرعة تقرب من سرعة النور (٢٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية) ؟ ذلك ان المادة ليست كما كان يظن جامدة بنفسها والقوة مستقلة عنها تتنقل بين اجزائها. وانما هي مستودع لقوة هائلة لم تعرف قبل اليوم سماها الدكتورلو بون القوة داخل الجواهر Energie intra-atomique وقد قاسوا تلك القوة العظيمة التي تضيع في اثناء انحلال المادة فوجدوا انها اشد القوى المعروفة الى اليوم . ولو تمكن العلماء من تعجيل انحلال المادة لحصلوا على قوة مدهشة . لو قدروا مثلاً ان يعجلوا انحلال جرام من الحديد بحيث يتلاشى في ثانية لوجدوا بالحساب الميكانيكي ان هذا الجرام يتحول الى قوة تعادل ٦ مليارات و ٨٠٠ مليون حصان وهذا المقدار كاف لان يجر قطاراً حديدياً حول الكرة الارضية اربع مرات

وقد ارجع الدكتور لو بون اكثر القوى المعروفة اليوم الى هذه القوة الكامنة داخل الجواهر الفردة بمقتضى المبدأ المعروف ان القوى الطبيعية (النور والكهربائية والحرارة والجاذبية) تتحول بعضها الى بعض

فالكهربائية هي نتيجة انحلال المادة لان عند ما تنحل المادة تفلت القوة داخل الجواهر وتتحول الى قوى مختلفة منها الكهربائية . وحرارة الشمس كذلك نجد لها تعليلاً في هذا الرأي الجديد ـ وذلك ان انحلال مواد الشمس سرعته كافية لاستمرار الاشتعال الشمسي . وقد علل بمثل ذلك سائر القوى كالالتصاق والنور وغيرها

الخلاصة

ظهور المادة ونشوءها وزوالها

ولا بد للقارىء بعد ان علم ان المادة قوة متكاثفة ان يسأل نفسه كيف تكونت المادة اولاً . وهو سوءال جدير بالاعتبار الا ان حله نظري اكثر مما هو ثابت . فيقول الدكتور لو بون انه يمكننا ان نعلل ظهور المادة بما يشبه تعليلنا لظهور النظام الشمسي الذي نعيش فيه . فنقول ان الاثير تكاثف في الازمان البعيدة بسبب لا نعلمه فصار مادة

صلبة كما بردت وتكاثفت الغازات التي يتركب منها عالمنا فتكونت الاجرام السماوية

والخلاصة ان الشيء الوحيد الكائن في الحقيقة هو الاثير ومنه ظهرت المادة واليه ترجع بعد ان تتحول اولاً الى قوة . وليست اهمية هذا الرأي بانه يعلل لنا ماهية المادة بل هو ينبئنا ايضاً بوجود مستودع عظيم من القوة لو امكننا استخدامه لاقلب وجه الارض وزادت قوة الانسان وسعادته . وقد يأتي يوم تتحقق فيه هذه الامنية . على ان لنا في تاريخ الكهربائية ما يمهد لنا الامل في ذلك . لانها عند اول اكتشافها لم يكن لها اهمية الامن حيث وجهها العلمي وهي اليوم معينة للانسان في اكثر مشاريعه وحاجاته

هذا ملخص رأي الدكتور لوبون وقد وافقه اكثر علماء اوربا على نقطه المهمة وهو مستغرَب لاول وهلة لانه يقلب اساس معارفنا . وهذا لايطعن في صحته فالحقيقة تتوقف على الامر بحد ذاته لا على وقعه في النفوس

اميل زيدان

الدولة العثمانية وايطاليا

نظراً لاضطراب العلائق بين دولتنا العلية وايطاليا بسبب تعدي الايطاليان على طرابلس الغرب بلاسبب يوجب غير طمعها في الاستعمار والمخابرات جارية ويخشى ان تفضي الى الحرب . رأينا أن نقابل بين قوتي الدولتين بالجندية البرية والبحرية

قوات الدوله العثمانية

ان الجند العثماني نظم على الطرق الحديثة من زمن السلطان محمود الثاني . ثم أعيد تنظيمه سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٥٤ و١٨٧٨ ثم ادخل فيه اصلاح هام سنة ١٨٨٦ حتى يصح ان يقال انه نظم ثانية على يد القائد الالماني الشهير الكولونيل فون درغولتز ومعه ١٤ ضابطاً المانياً بين مدربين ومعلمين . وقد عني العثمانيون في امره على الخصوص بعد الدستور ولا سيما بعد ان تولى الحربية شوكت باشا القائد الباسل

وللجندية العثمانية شروط ونظامات لا محل لها هنا فنكتفي ببيان القوات الحربية كما هي الآن بحيث يعلم القارىء ما هي قوة الدولة العثمانية اذا جرت حرب

يقسم الجند العثماني الى فرق تسمى فيالق واحدها فيلق واسمه في التركية « اوردو » وقد عربوه « عرضي » فالفيلق او العرضي مؤلف من فرق والايات وطوابير و بلوكات وغيرها. ويؤلف الجند العثماني من سبعة فيالق مفرقة في المملكة العثمانية على هذه الصورة

الفيلق الاول	مقره	في	الاستانة والاناطول
» الثاني	»	»	سلانيك
» الثالث	»	»	مكدونية
» الرابع	»	»	ارمينيا
» الخامس	»	»	سوريا
» السادس	»	»	بغداد
» السابع	»	»	اليمن

وهناك جند خارج الفيالق في الحجاز وطرابلس الغرب

ويختلف عدد الفرق والآلايات والطوابير في كل فيلق عن سواه ويختلف عدد الانفار في كل منها . ولكن مجموع جند هذه الفرق في حال السلم يبلغ ٣٦٥ ٠٠٠ مقاتل يضاف اليها ست فرق من الفرسان عدد رجالها ٢٧ ٠٠٠ فارس. وفرقة الفرسان الحميدية ١٦ ٠٠٠ غير النظامي وغير ذلك . فيبلغ مجموع ما عند الدولة العثمانية من الجند في حال السلم ٤٢٠ ٠٠٠ مقاتل . واما الرديف تحت الطلب فعدده ٣٧٥ ٠٠٠ مقاتل يجردون عند الحاجة . فضلاً عن المستحفظ وعدده نحو ٩٠ ٠٠٠ وغير الفرق المقيمة في القلاع من المهندسين ونحوهم وعددهم ٣٥ ٠٠٠ فجملة ما تجرده الدولة العثمانية في حال الحرب يجتمع على هذه الصورة :

عدد	
٣٦٥ ٠٠٠	جند نظامي اعتيادي
٢٧ ٠٠٠	ست فرق الفرسان
١٦ ٠٠٠	الفرسان الحميدية
٣٧٥ ٠٠٠	الرديف
٩٠ ٠٠٠	المستحفظ
٣٥ ٠٠٠	الجند المقيم في الحصون
٩٠٨ ٠٠٠	الجملة

اما قواتها البحرية فهي الآن تحت التجديد والتنظيم على ايدي أميرالية من الانكليز فقلبوا نظامها وجعلوه على آخر طرز. وهاك آخر ما بلغت اليه القوات البحرية

عدد	
١١	دوارع حربية كبرى
١	دارعة كبيرة تحت البناء
٣	طرادات
٧	مدمرات جديدة اوصت عليها في المانيا وغيرها
٤	نسافات طوربيد كبيرة
٨	مدمرات صغرى
١٤	نسافات طوربيدية صغرى
٤٨	

قوات ايطاليا

وجنود ايطاليا البرية تختلف في نظامها عن الجنود العثمانية ولكنها اقل منها عدداً فانها لا يزيد مجموعها في حال السلم على ٢٣٧٠٠٠ مقاتل. وعندها فرقة أفريقية خصوصية يسمونها فرقة ارثيرا مؤلفة من ثلاثة طوابير من البيض و٤ من السود. وجملة قوته ٤٦٠٠ وعندها فرقة من الصومال لا يزيد مجموع جندها على ٣٠٠٠ فلا يزيد مجموع الجند الايطالي على ٣٥٠٠٠٠ مقاتل. اماقواتها البحرية فانها اكبر مما للدولة العثمانية. وهذا احصاء دوارعها الحربية وما يتبعها:

عدد	
٩	دوارع حربية حديثة
٣	» » تحت البناء
٢١	طرادات مدرعة ومحمية
١٣	سفن طوربيد
٢١	مدمرات
٣٧	سفن طوربيد حديثة من الدرجة الاولى
٥٤	سفن قديمة
١٩	غواصات
١٧٧	الجملة

باب السؤال والاقتراح

النــوبة

(الاسكندرية) امين افندي خليل احمد النوبي

نظراً لما لكم من المعرفة بتاريخ حياة الامم ارجوان تتكرموا بشذرات من تاريخ النوبيين وحياتهم في الزمن الغابر اي قبل الاسلام وبعده . ومنتهى املي معرفة تاريخ هذه الامة التي انا منها ولك من عموم النوبيين الشكر

(الهلال) النوبة من البلاد التي عمرت قديماً وكانت في عهد الفراعنة قسماً من اثيوبيا . ويراد بها غالباً البقعة الواقعة بين مصر من الشمال والحبشة وسنار وكوردفان من الجنوب والبحر الاحمر من الشرق وصحراء ليبيا من الغرب . ويشتمل ذلك على وادي النيل من اصوان الى الخرطوم مسافة نحو ٥٦٠ ميلاً في نحو مثلها . اقدم سكان تلك البقعة اقوام يسمون « واوا » جاء ذكرهم في آثار الفراعنة نحو سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد . وتوالي ذكرهم على تلك الآثار الى ايام البطالسة . وكانوا اقوى الامم التي توطنت جنوبي اصوان ولهم آثار بنائية باقية هناك الى هذه الغاية مبعثرة بين اصوان ومروي

وما زال الواوا مستقلين باحوالهم وآدابهم واجتماعهم الى القرن الثالث للميلاد اذ تعدى عليهم البجة من الشرق في زمن الامبراطور ديوقليطيانوس . وكانت مصر يومئذ في سيادة الدولة الرومانية ولها حامية على الحدود جنوبي اصوان . فعجز الرومانيون عن رد هجمات البجة فسحبوا حاميتهم واستقدموا قوماً من زنوج نبتة (مروي) لحماية الحدود . واصل اولئك الزنوج من بلاد كوردفان فنزلوا الى الواحات الخارجة في اعالي الصعيد ثم توطنوا وادي النيل بين الشلال الاول والثاني . فاختلطوا بالسكان الاصليين وتصالحوا مع البجة . ثم اجتمعت الامتان على مناواة الرومانيين فحاربهم مكسيمينوس وتغلب عليهم سنه ٤٥١ م وكانوا الى ذلك العهد على الوثنية ثم تنصروا سنة ٥٤٥ م وجنحوا الى المدنية الرومانية وانشأوا دولة مسيحية رئيسها اسمه سيلكو وقصبتها دنقلا

وسمي نفسه ملك النوبيين والاثيوبيين ويشمل ذلك النوبة والبجة ولكن هؤلاء ظلوا على وثنيتهم فطردهم النوبيون عن ضفاف النيل شرقاً فاقاموا في الصحراء الشرقية

فلما كان الفتح الاسلامي بمصر سنة ٦٤٠م دخلت النوبة في حوزة المسلمين ورحل العرب الى قسمها الشمالي واختلطوا بسكانها فسرى في عروقهم دم العرب . على ان ملوك دنقلا اوقفوا العرب عن التقدم جنوباً واخضعوهم حيناً . وطال النزاع بين الامتين سبعة قرون والنوبيون على نصرانيتهم . ثم اسلموا في زمن السلطان الناصر بن قلاوون سنة ١٣١٨ م وهاك سبب اسلامهم كما رواه ابن خلدون . قال « قد تقدم لنا غزو الترك الى النوبة ايام الظاهر بيبرس والمنصور قلاون لما كان عليهم من الجزية التي فرضها عمرو بن العاص عليهم وقررها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يماطلون بها اويمتنعون من ادائها فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنقلا ايام سارت العساكر من عند قلاون اليها سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨٢ م) واسمه بيت مامون ثم كان ملكهم لهذا العهد اسمه آي لا أدري اكان معاقباً لبيت مامون او توسط بينهما متوسط وتوفي آي سنة ٧١٦ هـ (١٣١٧ م) وملك بعده في دنقلا اخوه كربيس . ثم نزع من بيت ملوكهم رجل الى مصر اسمه نشلي وأسلم فحسن اسلامه وأجرى له السلطان الناصر بن قلاون رزقاً واقام عنده فلما كانت سنة ٧١٦ هـ امتنع كربيس من اداء الجزية فجهز السلطان اليه العساكر وبعث معها عبد الله نشلي المهاجر الى الاسلام من بيت ملكهم فخاف كربيس من لقائهم وفر الى بلاد الابواب ورجعت العساكر الى مصر واستقر نشلي في ملك النوبة على حاله من الاسلام وبعث السلطان الى ملك الابواب في كربيس فبعث به واقام بباب السلطان . ثم ان اهل النوبة اجتمعوا على نشلي وقتلوه بممالأة جماعة من العرب سنة ٧١٩ هـ وبعثوا الى كربيس ببلد الابواب فالفوه بمصر وبلغ الخبر الى السلطان فبعثه الى النوبة فملكها وكان قد اعتنق الاسلام فاسلمت جميع رعيته وانقطعت الجزية باسلامهم »

وكان لهم مع امراء مصر وخلفائها وسلاطينها شؤون وحروب يطول شرحها وقد ذكرها مؤرخو المسلمين كالمقريزي والمسعودي والبلاذري والقزويني وابن خلدون وغيرهم مما يطول شرحه . وقد نقلها ورتبها نعوم بك شقير في كتابه تاريخ السودان من صفحة ٣٩ — ٥٥ من الجزء الثاني

وكان النوبيون في اثناء ذلك فرقاً لكل طائفة منهم رئيس او ملك حتى قامت دولة الفنج في سنار في اول القرن السادس عشر وملكوها الى الشلال الثالث . ثم حمل

العثمانيون على مصر بقيادة السلطان سليم الفاتح في سنة ١٥١٧ فبعث جنداً من اهل بوسنه الى النوبة السفلى بقيادة حسن قوسي فملكوها من اصوان الى الشلال الثالث وعرفوا بالغز . واول حكامهم في ذلك العصر حسن قوسي المذكور شبه امير مستقل يؤدي جزية لمصر وتوالت ذريته بعده وعرفوا بالكشاف لان الكاشف في اصطلاح تلك الايام كالمدير اليوم . وما زالت النوبة مقسومة بين ملوك الفنج والكشاف حتى حمل اسماعيل باشا بن محمد علي باشا على السودان وفتحها سنة ١٨٢٠ وكان على النوبة يومئذ حسين بن سليمان كاشف . فاراد مقاومته فمنعه اخوه حسن ففر حسين الى كردوفان وولى اسماعيل حسناً على ما بين اصوان وحلفا ووهبه اطياناً . وكان الكاشف الى ذلك الحين يتزوج من بنات النوبة ما شاء فمنع اسماعيل ذلك . وبعد وفاة حسن كاشف تعين ابنه سليمان وخلفه اخوه محمد. ولم تزل الاراضي التي وهبهم اياها اسماعيل بيد كبير ذريتهم الى الآن

معكرونة

﴿ ندوة العلماء بالهند ﴾ السيد فضل الرحمن مدرس في دار العلوم
من اي لغة لفظ « معكرونة » وما هو اصلها ومعناها

﴿ الهلال ﴾ هي لفظ ايطالي Maccaroni (ماكروني) مشتق من اصل لاتيني Macerare معناه سحق اوفتت يريدون معالجة الدقيق حتى يصنعوا منه عجين المعكرونة المعروفة . وقد اخذ العرب اللفظ الايطالي وادخلوا العين في قلبه اعتباطاً فقالوا معكرونة كما قالوا « شعرى » من سيريوس وكعك من « كيك »

نوروز

﴿ اسنا ﴾ عبد اللطيف افندي نصيف
ما هو اصل لفظ نيروز او نوروز هل هو فارسي او يوناني او عربي وما هو معناه

﴿ الهلال ﴾ هو فارسي الاصل وكب من لفظين « نو » جديد و « روز » يوم اي اليوم الجديد ويراد به رأس السنة

باب الاخبار العلمية

﴿ وقاية الخشب من الحريق ﴾ اخترع احد الاميركان طريقة يعالج بها الخشب فيقوى على مقاومة النار . وذلك ان يبل الخشب بلاً مشبعاً بسلفوبورات الامونياك بواسطة الكهربائية فيصير الخشب غير قابل الاحتراق . وجربوا ذلك في الواح ثخانتها اقل من سنتمترين فقاومت فعل النار ساعتين . ويذكرنا هذا الاختراع بطلاء كان عند العرب اذا طلي به الخشب نجا من الحريق . ذكره ابن الاثير في عرض كلامه عن احراق قصر صاحب الزنج سنة ٢٦٩هـ قال « فامر الموفق ان تسقف الشذا بالاخشاب ويعمل عليها الجبس ويطلى بالادوية التي تمنع النار من احراقها »

﴿ عبور المانش سباحة ﴾ تمكن السباح برجيس من قطع خليج المانش بين انكلترا وفرنسا خوضاً في الماء . برح مكاناً قرب دوفر من اواخر الساعة الحادية عشرة من صباح ٥ سبتمبر الماضي فوصل قرب راس كريزنيه في آخر الساعة العاشرة من صباح ٦ منه . فقطع المانش في ٢٣ساعة ولكن القبطان ويب الانكليزي قطعه في ٢٥ افريل سنة ١٨٧٥ باثنين وعشرين ساعة الا ربع ولم يستطع احد بعده ان يجاريه

﴿ مدفع لتدمير الطيارات ﴾ يشتغل الالمان في اصطناع مدفع يحمل على اوتوموبيل لمحاربة المركبات الهوائية وتعطيلها وقد اصطنعوا منه مثالاً افلحوا به

﴿ اعلى ابنية الارض ﴾ يشتغل بعض اهل نيويورك في انشاء بناء ضخم لم يسبق له مثيل اسمه وولورث بيلدن سيبلغ علوه ٢٣٣ متراً فوق سطح الارض وسيكون مؤلفاً من ٥٥ طبقة و٢٦ رافعة وسيدخل في بنائه من الحديد اكثر من ٢٠٠٠٠ طن

﴿ الماء المالح والصحة ﴾ وجدوا بالتجارب الطبية العديدة ان الماء الذي يخالطه بعض املاح الكلس وخصوصاً كبريتات الكلس من احسن المقويات للاطفال اذا شربوه فانه يقوي عظامهم وخصوصاً الاسنان ويكسبهم متانة ونشاطاً

﴿ اعلى وابعد ما بلغ اليه الطيارون ﴾ بلغ الموسيو لوريدان في تحليقه بطيارة هرمان في ٨ يوليو الماضي علو ٣٢٨٠ متراً وهو اعلى ما بلغ اليه الطيارون الى الان وطار لوريدان هذا في ٢١ يوليو فمكث طائراً ١١ ساعة و٤٥ دقيقة قطع فيها ٧٥٠ كيلومتراً

﴿ الآلة الكاتبة للعميان ﴾ اصطنع بعضهم آلة الكتابة (تايب رايتر) يستخدمها

العميان كما يستخدم المبصرون الآلة الاعتيادية

❊ تلفون فونوغرافي ❊ كثيراً ما يتمنى المخاطبون بالتلفون ان يحفظ ما يسمعونه او يقولونه للمراجعة عند الاقتضاء . وقد فكر مخترع ايطالي اسمه بيروتي في الوصول الى هذا الغرض بان يضيف الى التلفون آلة فونوغرافية تلحق بجانب آلة السماع . بحيث يكون لكل تلفون بوقان احدهما يوضع على الاذن للسماع كالعادة والآخر يوصل بانبوب الى آلة الفونوغراف فيؤثر على صحيفته ما دار من الكلام

❊ سرعة الشمس ❊ ان للشمس حركة في الفضاء قدروها باربعة وعشرين كيلومتراً في الثانية

❊ مؤتمر تشريعي الملاحة الجوية ❊ اجتمع في ٣١ مايو الماضي اول مؤتمر تشريعي للملاحة الجوية وكانت نتيجة اعماله ١٧ مادة جعلوها اساساً للقانون الهوائي الجديد

❊ اكتشاف آثار عربية ❊ قدم الموسيو فيوليت المرسل من قبل الحكومة الفرنساوية للتفتيش عن الآثار بين النهرين تقريراً عن قصر نخيم ناه في اوائل القرن التاسع احد ابناء الرشيد على ضفاف دجلة شمالي بغداد . وقد وجد فيه نقوشاً عديدة على الرخام والفخار ورسوما بالفسيفساء . وهذا القصر نموذج من الهندسة العباسية التي نشأت ايام خلفاء بغداد وانتشرت على شواطيء البحر المتوسط حتى بلغت الاندلس — وقد درس المكتشف هذه الهندسة ونسبتها الى غيرها فوجد انها مأخوذة عن الهندسة الساسانية

❊ طوربيل هوائي ❊ اخترعت معامل كروب الشهيرة آلة طائرة للطوربيل فيها سهم حساس ينفجر حالما يحتك بغلاف منطاد هوائي مهما كانت رقته

❊ التلفون في الولايات المتحدة ❊ يدل التقرير الاخير لشركة التلفون والتلغراف الاميركية على سرعة انتشار التلفون في الولايات المتحدة . فان عدد الآلات المستعملة يقرب من ستة ملايين اي آلة لكل ١٦ شخصاً . وطول الاسلاك التلفونية نحو ٢٠ مليون كيلو متر . وطلبات المخابرة ٠٠٠ ٢٨٤ ٢٢ يومياً وعدد مستخدمي الشركة ٣١١ ١٢٠ ومجموع ما دفعه المشتركون في السنة الماضية ٨٢٩ مليون فرنك

❊ مادة مظلمة في السماء ❊ ان فكرة وجود مادة مظلمة في السماء قديمة الا انها وجدت اثباتاً علمياً في الصور الفوتوغرافية المأخوذة من مرصد مونت ويلسون ومن المعلوم ان السيارات والنيازك اجرام مظلمة ليس لها نور في نفسها . ويظن ان في السماء مادة مظلمة بصورة سديمية يستدلون بها على خلو بعض البقع من النجوم

﴿ احصاء سكان الارض ﴾ كانوا يقدرون سكان الارض سنة ١٨١٠ بنحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٨٢ وصاروا ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٠٨ ١ سنة ١٨٧٠ و٠٠٠ ٠٠٠ ٦٢١ ١ سنة ١٩٠٤ و٠٠٠ ٠٠٠ ٧٠٠ ١ سنة ١٩٠٨ وعدد النساء على الاجمال اقل من عدد الرجال يقابل الالف رجل ٩٨٨ او ٩٩٠ امراة

كتاب تاريخ آداب اللغة العربية

ترجمته الى اللغة التركية

كتب الينا صديقنا زكي بك مغامز الكاتب العربي التركي الشهير مترجم تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة التركية يقول « سيصدر ترجمة الجزء الرابع من كتابكم تاريخ التمدن الاسلامي الى التركية بعد قليل ثم يصدر الجزء الخامس فتتم ترجمة الكتاب . وفي عزمي حالما افرغ من ترجمته ان اشرع في ترجمة كتابكم الجديد تاريخ آداب اللغة العربية . وكتابيكم الاخرين المتعلقين بالعرب ولغتهم وهما تاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ اللغة العربية فارجو ان تصرحوا لي بذلك »

فنشكر لحضرته حسن ظنه بمؤلفاتنا ونثني على علو همته في اخراج مشروعاته الى حيز العمل اي انه لا يقول الا وهو واثق باقتداره على العمل . وهذا نادر بيننا فان اكثرنا يقول جزافاً ولا يقدر خطواته قبل المسير فيقف في اواسط الطريق . فصديقنا زكي بك مغامز قدوة حسنة في ذلك لادبائنا وكتابنا . ويسرنا ان يكون هو الآخذ بنقل مؤلفاتنا الى اللغة التركية نظراً الى بلاغة انشائه في هذه اللغة بشهادة الذين قرظوا ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي من كتاب الاتراك. فضلاً عن اقتداره في الانشاء العربي

رواية العباسة اخت الرشيد

ترجمتها الفرنساوية تنشر في الفيغارو

انبأنا حضرة ميخائيل افندي بيطار نزيل باريس وهو من المتضلعين باللغة الفرنساوية وآدابها انه اشترك مع المسيو شارل موليه الكاتب الفرنساوي في نقل روايتنا « العباسة اخت الرشيد » الى اللغة الفرنساوية وقد وقعت وقعاً حسناً عند صاحب جريدة الفيغارو الفرنساوية الشهيرة فوافق على نشرها ذيلاً لها من اول اكتوبر الجاري وستنشر ايضاً في كتاب على حدة

فتاة القيروان

الحلقة السادسة عشرة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام

هي الرواية التي ستصدر ملحقة بهلال هـذه السنة وستتضمن فتح الفاطميين مصر في اواسط القرن الرابع للهجرة على يد القائد جوهر مع ايضاح الاسباب التي بعثت على ذلك وساعدت عليه . ووصف احوال البربر في شمالي افريقيا وعاداتهم واحوال مصر في ذلك العصر وغير ذلك

مراكش (استدراك)

جاء في صفحة ٢٦ من هذا الهلال ان المانيا عمدت الى احتلال اغادير لان بعض رعايا قتلوا والصواب انه لم يقتل احد

مطبوعات جديدة

١ — كتب تاريخية وادبية

مدنيت اسلامية تاريخي : صدر الجزء الثالث من ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة التركية بقلم زكي بك مغامز وهو اتقن من طبعته العربية ومن ترجمة الجزئين السابقين . وقد زينه بكثير من الرسوم الجميلة فبلغت صفحاته ٤٢٠ صفحة ثمينة على ورق صقيل فجعل ثمنه ٢٠ غرشاً غير اجرة البريد . وقد تلقته جرائد الاستانة ومجلاتها بلهفة وقرظته واحسنت الظن في مؤلفه واثنت على مترجمه احسن الثناء . وفي مقدمتها جرائد اقدام وطنين وصباح وهمراه وصراط مستقيم وعلوم اقتصادية مجموعه سي . فنثني على زملائنا اصحاب هذه الجرائد لما أبدوه من الاستحسان وحسن الظن . وسيصدر الجزء الرابع من هذه الترجمة قريباً ويليه الخامس وبه يتم الكتاب

Mohammadanism ---: لصديقنا الاستاذ مرجليوث شهرة في تاريخ الاسلام تغني عن التعريف تشهد بذلك مؤلفاته الكثيرة في هذا الموضوع . وآخرها كتاب الاسلام (Mohammadanism) صدر بالامس بالانكليزية وفيه بحث فلسفي في الاسلام

والقرآن والدولة الاسلامية والآراء الاسلامية والآداب والعلوم الاسلامية على اسلوب موجز قريب المأخذ جامع مانع يغني عن مطالعة المؤلفات الضخمة

تاريخ الفنون الجميلة اليونانية : تأليف الاستاذ ب . والترز ونقله الى العربية شكري افندي صادق وزينه بالرسوم وهو كتاب فني جميل . ويطلب من حضرة المترجم بمصر وثمن النسخة عشرة غروش

الصهيونية : هو ملخص تاريخ هذه الطائفة وغايتها وامتدادها الى سنة ١٩٠٥ تأليف نجيب افندي الخوري نصار صاحب جريدة الكرمل في حيفا ويطلب من حضرته

٢ — كتب طبية وعامية

التشخيص الجراحي : الاطباء بيننا كثيرون وفيهم طائفة حسنة من الماهرين واسعي الاطلاع ولكن المشتغلين في التأليف منهم قليلون . ولعل السبب في ذلك ان اكثرهم تلقوا العلم في اللغات الافرنجية فيصعب عليهم التأليف في العربية . فندرت المؤلفات الطبية العربية منذ صارت مدارسنا تعلم الطب بغير العربية . وقد تمضي سنوات عديدة لا يظهر في اثنائها كتاب طبي عربي يستحق الذكر . ومن هذه النوادر الثمينة كتاب التشخيص الجراحي للدكتور محمد عبد الحميد حكيم اسبتالية قليوب . لخصه من اربعة مؤلفات انكليزية ذكرها في مقدمته وقد احسن التلخيص . وهو يهم الاطباء على الخصوص ويطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسون غرشاً والبريد خمسة غروش

التمريض والاسعافات الاولية : هو كتاب صحي يراد به ارشاد الجمهور الى ملافاة ما قد يطرأ عليهم من العوارض المرضية ريثما يحضر الطبيب . تأليف الدكتور احمد رشيد عبدالله حكيمباشي مستشفى اصوان الاميري . وفيه ارشادات ثمينة عن طريق استعمال الادوية واخذ الحرارة والمعالجات الوضعية والحمامات الطبية والوقاية من الامراض المعدية ومعالجة الجروح وتطهيرها وخياطتها وملافاة السموم ونحوها ويطلب من حضرته

نصائح للشبان : كتاب ادبي صحي يشتمل على خلاصة آراء الاطباء وعلماء الاجتماع في العزوبة والزواج والمضار التي تنجم عن بعض العادات تأليف شكري افندي صادق ويطلب من مكتبة التأليف بمصر وسائر المكاتب وثمن النسخة ٣ غروش والبريد نصف غرش

حياة الرضيع : هو كتاب صحي في تدبير حياة الرضيع الصحية من ولادته الى

يوم الفطام • تأليف الدكتور نجيب قناوي طبيب عيادة اللادي كرومر للاطفال بالاسكندرية ويطلب من حضرته وثمنه ثلاثة غروش

زراعة القطن : هو كتاب زراعي يبحث في زراعة القطن ومقاومة آفاته وتحسين انواعه تأليف احمد افندي الالفي بمزارع البرنس عمر باشا طوسون ويطلب من حضرته

اختزال الكتابة : هو كتاب في فن الاختزال اي اختصار الكتابة الذي يسميه الافرنج ستينوغرافيا ويراد به مجاراة الخطباء في تدوين اقوالهم وهم يخطبون • تأليف عبد الرزاق افندي عوض مدرس بمدرسة الناصرية • وقد وضع له رسوماً اختصارية تنوب عن الالفاظ او المقاطع وجعله دروساً وهو اول كتاب تعليمي ظهر في هذا الموضوع

امراض القلب : كتاب في امراض القلب المتأتية عن الروماتزم تأليف الدكتور لوريا الطبيب بمصر ويطلب من حضرته وثمن النسخة غرش

مجموعة القوانين : تحتوي على أهم القوانين الجنائية والملكية والشرعية وغيرها مما صدر بمصر ويهمّ المحامين واهل القضاء واصحاب الاشغال وقد طبعت بنفقة المكتبة الشرقية بمصر في جزئين ثمنهما ٢٠ غرشاً والبريد ٣ غروش

الخزنة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية : لمؤلفه الياس افندي انطون الياس للمدارس المصرية حسب بروغرام المعارف صدرت طبعته الثالثة منقحة ومكبرة • وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش والبريد غرش

الروايات التاريخية العربية : هي رسالة في اللغة الروسية للمستشرق الروسي صديقنا الاستاذ كرانشقوفسكي في بطرسبورج ذكر فيها تاريخ تأليف الروايات التاريخية في اللغة العربية بالنهضة الاخيرة في سوريا ومصر • وانتقد مؤلفيها وبين حسنات كل منهم مما يدل على سعة اطلاعه وعنايته في هذا الموضوع • وبلغنا ان بعض الادباء عارفي اللغة الروسية اخذ في ترجمتها الى اللغة العربية وهي خدمة حسنة • وسنعلن صدور تلك الترجمة متى صدرت

تاريخ مصر الحديث

صدرت الطبعة الثانية من كتابنا تاريخ مصر الحديث في جزئين كبيرين وهي تمتاز عن الاولى بامتداد الحوادث الى اليوم وبالتوسع في اكثر المواد الهامة وخصوصاً من ايام محمد علي الى الآن وبكثرة الرسوم فان فيها نيفاً ومئتي رسم لمشاهير الرجال من كل العصور فضلاً عن صور الحصون والآلات والنقود والخرائط ويلي ذلك فهرس ابجدي عام • وثمن النسخة مجلدة اربعون غرشاً والبريد خمسة غروش

الفصل الاول

الشيعة العلوية في المغرب والدولة الفاطمية

قاسى الشيعة في زمن بني أمية في الشام عذاباً شديداً من القتل والصلب . وكذلك في الدولة العباسية ولا سيما في ايام المنصور والرشيد والمتوكل فحملهم ذلك على الفرار الى اطراف المملكة الاسلامية فهاموا على وجوههم شرقاً وغرباً . وكان في من جاء منهم نحو المغرب ادريس بن عبدالله بن الحسن المثنى اخو محمد بن عبد الله الذي بايعه المنصور ثم نكث بيعته . فاتى ادريس مصر وهي يومئذ في حوزة العباسيين فاستخفى في مكان أتاه اليه بعض الشيعة سرًّا ومنهم صاحب البريد فحمله الى المغرب في ايام الرشيد فتلقاه الشيعة هناك وبايعوه فأنشأ دولة في مراكش عرفت بالدولة الادريسية من سنة ١٧٢ — ٣٧٥ ﻫ على ان هؤلاء لم يسموا انفسهم خلفاء

اما ظهور الشيعة وتغلبهم وارتفاع شأنهم حقيقة فالفضل فيه للدولة الفاطمية نسبة الى فاطمة بنت النبي لان اصحابها ينتسبون اليها ونسمى ايضاً الدولة العبيدية نسبة الى مؤسسها عبيد الله المهدي . وكان شأن الشيعة قد بدأ بالظهور في المشرق على يد بني بويه في اواسط القرن الرابع للهجرة

ولما تغلب البويهيون على بغداد كانت الدولة الفاطمية قد اشتد ساعدها في المغرب وهمت بفتح مصر. وكان آل بويه يغالون في التشيع ويعتقدون ان العباسيين قد غصبوا الخلافة من مستحقيها فاشار بعضهم على معز الدولة البويهي ان ينقل الخلافة الى العبيديين او الى غيرهم من العلويين فاعترض عليه بعض خاصته قائلا « ليس هذا برأي فانك اليوم مع خليفة تعتقد انت وأصحابك انه ليس من اهل الخلافة لو امرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد انت واصحابك صحة خلافته فلو امرهم بقتلك لقتلوك » فرجع معز الدولة عن عزمه

على ان ظهور الشيعة في الشرق هوّن على الدولة العبيدية فتح مصر والانتقال اليها وكانت قصبتها اولاً المهدية بافريقية وخلفاؤها ينتسبون الى الحسين بن علي وللمؤرخين في انتسابهم اليه اقوال متناقضة فالذين يتعصبون للعباسيين ينكرون ذلك عليهم . ويغلب في اعتقادنا صحة انتسابهم اليه وان السبب في وقوع الشبهة طعن العباسيين فيه تصغيراً لشأنهم

والمصريون كانوا يحبون علياً من صدر الاسلام وكانوا من حزبه يوم مقتل عثمان ولكن قلما كان لهم شأن في الشيعة العلوية لان العلويين استنصروا اولاً اهل العراق وفارس . فلما قامت الدولة العباسية وتأثرهم المنصور بالقتل والحبس وقتل محمد ابن عبد الله الحسني وبعض اهله من بني حسن وفرّ سائر العلويين من وجه الدولة العباسية كان في جملتهم علي بن محمد بن عبد الله فجاء مصر بامر دعوته بعض رجال الشيعة لكنه ما لبث ان حمل الى المنصور واختفى

وكان حال الشيعة العلوية بمصر ينقلب بين الشدة والرخاء بتقلب احوال الخلفاء في بغداد فان تولى خليفة يكره العلويين ضيق على الشيعة واضطهدهم والعكس بالعكس فلما تولى المتوكل واضطهد الشيعة العلوية كتب الى عامله بمصر باخراج آل ابي طالب الى العراق فاخرجهم سنة ٢٣٦ ﻫ ولما قدموا العراق ارسلوهم الى المدينة واستتر من بقي في مصر على رأي العلوية . لان عمال المتوكل كانوا يبالغون في اظهار الكره للشيعة تزلفاً من الخليفة — يحكى ان رجلاً من الجند اقترف ذنباً أوجب جلده فامر يزيد بن عبد الله عامل مصر يومئذ بجلده فأقسم عليه بحق الحسن والحسين الا عفا عنه فزاده ثلاثين ضربة . ورفع صاحب البريد الى المتوكل ذلك الخبر فورد كتابه الى العامل ان يضرب الجندي المذكور مئة سوط فضربه . وتتبع يزيد المشار اليه آثار العلويين فعلم برجل منهم له دعاة وانصار فقبض عليه وأرسله الى العراق مع اهله وضرب الذين بايعوه

ولما تولى المنتصر بن المتوكل سنة ٢٤٧ ﻫ كتب الى عامله بمصر ان لا يضمن علويٌّ ضيعة ولا يركب فرساً ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من اطراف مصر وان يمنعوهم من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد . واذا كان بينهم وبين احد الناس خصومة قبل قول خصمهم فيهم بغير ان يطالب ببينة . فقاسى العلويون عذاباً شديداً بسبب ذلك

ولما استقلّ احمد بن طولون بامارة مصر سنة ٢٥٤ ﻫ اضطهد الشيعة لانه تركي ولانه على رأي الخليفة العباسي فاقتصّ آثار العلويين وحاربهم مراراً . حتى اذا ضعف امر بني طولون بمصر واختلت احوال الدولة العباسية في بغداد وتغلب آل بويه عليها في القرن الرابع للهجرة اخذ حزب الشيعة ينتعش ويتقوى فلما جاءهم جند المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٨ ﻫ بقيادة جوهر الصقلي كانت الاذهان متأهبة لقبول تلك الدعوة ففتح جوهر مصر على اهون سبيل

الفصل الثاني

القيروان والمنصورية

القيروان من المدن الاسلامية التي اختطها العرب بعد الفتح كالبصرة والكوفة والفسطاط . اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة ٦٠ للهجرة بما يقرب من تونس وهو الذي افتتح اكثر المغرب . وكانت القيروان في زمن روايتنا هذه (في اواسط القرن الرابع للهجرة) قصبة بلاد المغرب وقد تقاطر اليها الناس من انحاء العالم لتعميرها فقطنها العرب من قريش ومن سائر البطون من مضر وربيعة وقحطان واصناف من العجم من اهل خراسان واصناف من البربر والروم واشباه ذلك . وكان شربهم من ماء المطر ينصب من الاودية الى برك عظام يقال لها المؤاجل فنها شرب السقاة ولهم واد يسمى وادي السراويل في قبلة المدينة

وكان بنو الاغلب لما نزلوها في القرن الثالث قد ابتنوا على ميلين منها قصوراً لانفسهم ثم ابتنوا محلة على ثمانية اميال منها سموها رقّادة . حتى اذا نزلها الفاطميون في اول القرن الرابع للهجرة ابتنوا لانفسهم حصناً مستديراً بالقرب منها سموه صبرة ويسمى ايضاً المنصورية جعلوه مستقرّاً لهم ولاهلهم . كما فعل المنصور ببناء بغداد قبل ذلك بقرنين فالمنصورية بلد مستدير الشكل قرب القيروان بناها اسماعيل بن القاسم بن عبيد الله المهدى سنة ٣٣٧ هـ واستوطنها وجعل قصره في وسطها والماء يجري فيها وانشأ بها اسواقاً جميلة وجامعاً وعرض سورها ١٢ ذراعاً وهي منفصلة عن القيروان بعرض الطريق . ومن ابوابها باب الفتوح وباب زويلة وباب وادي القصارين وكلها مصفحة بالحديد [1]

واول الخلفاء الفاطميين عبيد الله المهدى بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق من نسل الحسين بن فاطمة الزهراء . قام له بالدعوة رجل شيعي اسمه ابو عبد الله الشيعي بمساعدة قبائل البربر وخصوصاً كتامة وصنهاجة كما قام ابو مسلم الخراساني في المشرق بدعوة العباسيين بمساعدة الخراسانيين . ولما استقر لعبيد الله المهدي الملك قتل ابا عبد الله الشيعي كما قتل المنصور ابا مسلم [2]

وكان عبيد الله في اول الدعوة يقيم في المهدية على ساحل تونس ثم نقل الى القيروان وتوفي سنة ٣٢٢ هـ فخلفه ابنه ابو القاسم محمد القائم بامر الله وتوفي سنة ٣٣٤ هـ

(١) ياقوت ج ٣ والمقدسي واليعقوبي (٢) ابن خلدون ج ٤

نخلفه ابنه المنصور ابو طاهر وتوفي سنة ٣٤١ هـ نخلفه المعز لدين الله وعلى عهده فتحت مصر على يد قائده جوهر الصقلي. وفي ايامهما جرت حوادث هذه الرواية

الفصل الثالث

المعز لدين الله وقائده جوهر

خرج المعز في ليلة مقمرة من ليالي سنة ٣٥٧ هـ الى حديقة قصره في المنصورية قرب القيروان وفي الحديقة بركة واسعة يصب فيها الماء من نبع جرّ ماءه المعز اليها من جبل بقرب المنصورية وفرقه بانابيب الرصاص الى قصور المدينة ومسجدها واسواقها. وينصرف ما بقي من ذلك الماء الى القيروان . وقد علمت ان المنصورية خاصة بالخليفة واهله وحاشيته واعوانه لايشاركهم فيها احد . وقد احاطوها بسور ضخم عال فهي اشبه بالحصون منها بالمدن . وهو هناك في مأمن من غدر الغادرين لانها محاطة بسور منيع ابوابه مصفحة بالحديد تقفل وتفتح عند الحاجة

خرج المعز في تلك الليلة وهو مطمئن الخاطر لا يخاف غدراً . حتى اذا توغل في الحديقة ولاشيء فيها من زخارف المدنية اشرف على تلك البركة وليست هي مما يستجلب النظر او يستلفت الانتباه لكن لها حديثاً يطرب له المعز ولا يطرب له سواه الا قائده جوهر البطل الصقلي. وكان قد اسكنه في مدينته واختصه بقصر من قصورها وبالغ في اكرامه ورفع منزلته

وصل البركة والقمر قد تكبد السماء فاسرع البستاني الى مقعد معدّ لجلوس الخليفة اذا نزل في تلك الساعة واهل القصر نيام حتى الخدم. وانما ارقه امر شغل خاطره واخذ بمجامع قلبه لم يكاشف به احداً من اعوانه لانه كان حريصاً على سره لا يطلع عليه احداً الا اذا نضج وآن اخراجه الى حيز الفعل ــ شأن رجال العمل واهل الحزم . على انه ضاق ذرعاً في تلك الليلة عن الاحتفاظ بذلك السر نخطر له ان يكاشف به قائده جوهر

وكان المعز عالي الهمة عظيم الهيبة واسع المطامع ادرك الاربعين من عمره وقد لبس في تلك الليلة رداءً ابيض بسيطاً والتف بالعباءة وجعل على رأسه عمامة صغيرة . فلما استقر به الجلوس صفق ونادى « خفيف » وهو غلام صقلبي كان قد اختصه

بخدمته فحضر فقال « ادع قائدنا جوهر »

فمضى خفيف وما لبث ان عاد ومعه جوهر . وهو كهل في السادسة والخمسين من عمره وقد وخطه الشيب وكان طويل القامة ثابت الجأش عظيم الهيبة . وكان لما جاءه رسول المعز قد ذهب الى فراشه فنهض وارتدى ثيابه وبادر الى ملاقاة مولاه . فلما شعر المعز بقدومه تحفز للنهوض ورحب به وبش له فخجل جوهر من ذلك الاكرام فاكب على يدي الخليفة فقبلهما وقبل ركبتيه واوشك ان يقبل قدميه فانهضه المعز ودعاه للجلوس بجانبه فجلس متأدباً فبادره المعز قائلاً « مرحباً بقائدنا الحازم وحبيبنا الباسل »

فتأدب جوهر وقال « اني عبد مولانا امير المؤمنين ضارب بسيفه وافديه بروحي »

قال « بل انت سيفنا المسلول وحامي دولتنا اني لا اجلس الى هذه البركة وأرى السمك يسبح فيها الاذكرت بلاءك في سبيل الحق . ان هذا السمك يشهد بما لك من الافضال على هذه الدولة . أليست هذه الاسماك من نسل ما حملته الينا من سمك البحر المحيط في القلل يوم جردت سيفك وفتحت افريقيا واخضعت قبائلها . لا انسى يوم جئتنا بتلك القلل وفيها السمك من ذلك البحر العظيم اشارة الى ما ادركته من تلك الفتوح العظيمة التي لم يسبق اليها سواك فلا غرو اذا اختصصتك بصداقتي وفضلتك على سائر بطانتي واهلي . . »

فخجل جوهر من هذا الاطراء وقال « العفو يا مولاي اني لم افعل شيئاً الا باسمك . والله انما نصرني بك لانك سلالة احق الناس بالخلافة ابن عم الرسول (صلعم) وصهره — انت ابن فاطمة الزهراء فكيف لا ينصرك الله ولو قام بهذه الدعوة غلام لافلح لان الحق يعلو ولا يعلى عليه »

فاسكته المعز قائلاً « ان الحق لا يعلو دائماً وكم ظل اجدادي العلويون يجاهدون وقد ذاقوا انواع العذاب ممن استأثر بالسيادة دونهم . ولو اتيح لهم سيف مثل سيفك لغلبوا — ألم تفتح هذه البلاد من هنا الى البحر المحيط وقد اخضعت اهلها بارك الله فيك . وهذا ما لا ريب فيه فاذا رفعنا منزلتك فقد اعطيناك حقك . . » وسكت وقد بدا الاهتمام في وجهه وجوهر ينتظر ما يبدو منه لاعتقاده انه لم يدعه في تلك الساعة الا لامر هام . فاعتدل في مجلسه وتوجه بكليته نحوه كانه يستفهم عما يريده

أما المعز فمد يده واستخرج من تحت العباءة قضيباً من عود طوله شبر ونصف مكسو بالذهب . فلما رآه جوهر علم انه قضيب الملك فتأدب احتراماً له فابتدره المعز

قائلاً « أليس هذا قضيب الملك يا جوهر ؟ »

قال « نعم يا مولاي انه قضيب الحق وصاحبه صاحب الخلافة الحقة »

قال « هل يكون في الدنيا خليفتان على حق ؟ »

فادرك جوهر انه يشير الى خلافة العباسيين في بغداد انها على غير الحق ولحظ ما وراء ذلك من الامور فقال « كلا يا سيدي ان النبي واحد وخليفته واحد »

قال « الى متى نترك أولئك القوم في ظلمائهم ؟ »

فاجاب جوهر على الفور « نتركهم حتى يأمر مولانا امير المؤمنين »

فاكبر المعز هذا الجواب الدال على حزم جوهر واستهلاكه في سبيل نصرة العلويين فابتسم وقد اشرق وجهه وكان القمر مواجهاً له بحيث يظهر ذلك لجوهر وقال « بارك الله فيك هذا ما كنت ارجوه منك وقد جال هذا الفكر في خاطري منذ اعوام وانا اتردد فيه استطلع المنجمين ولا ابيح به لاحد حتى اذا كانت الليلة رايت ان اسره اليك وكنت احسبه جديداً عليك فاذا انت اكثر تفكيراً به مني . اما وقد اطلعت على سري وانت الوحيد الذي اطلع عليه مني فارجو ان تشير عليّ »

قال « ليس لهذا العبد ان يشير وانما عليه ان يطيع . . فوالله لو امرتني ان اركب الاسنة واذهب في الارض فاتحاً لفعلت لعلمي اني ذاهب في نصرة الحق »

قال « لله درك من قائد باسل وصديق حميم . ولكن الامور مرهونة باوقاتها . فالآن اكتم ما دار بيننا واخبرني عن رأيك في قوادنا »

قال « انهم نعم الرجال يستهلكون في نصرة مولانا ولا سيما شيوخ كتامة فانهم قاموا بنصرة امير المؤمنين خير قيام وعليهم المعوّل في امرنا . . »

الفصل الرابع

ابو عبد الله الشيعي

فسكت المعز برهة وعاد الى الاهتمام واخذ يلاعب قضيب الملك بين اصابعه وهو يتأمله ثم قال « ولكنني اخاف عليهم الخروج الى الترف فيأخذهم ما اخذ اعداءنا في بغداد من اسباب المدنية حتى صاروا الى ما صاروا اليه من الذل فغلبهم مواليهم الاتراك

والديلم ولم يتركوا لهم من الخلافة الا اسمها ـ ولا اخفي عنك اني لم اطمع بهم الا لما بلغني من ترفهم وانهماكهم واسترسالهم في الملذات فاذا اصاب رجالنا ما اصابهم صرنا الى مصيرهم »

قال « ليس هذا ما اخافه يا سيدي فان قومنا بعيدون عن الترف . وكيف نخاف عليهم ذلك وهم يرون امير المؤمنين ابن بنت الرسول يتولى الدولة بنفسه . يجلس في برد الشتاء على اللبود وعليه جبة وحوله ابواب مفتحة تفضي الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب لا يأكل ولا يشرب ولا يتقلب في الديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر كما يفعل ارباب الدنيا [1] ـ كيف يرونه في مثل ذلك لا يفضل احداً منهم في احوالهم بل هو مشغول بكتب ترد عليه من المشرق والمغرب يجيب عنها بخطه لا يشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما يصون ارواحهم ويعمر بلادهم ويذل اعداءهم . هل يجسرون على شيء غير ذلك ؟ »

فاعجب المعز بما سمعه منه فقال « ان هذا لا يكفي يا ابا الحسين اني اخاف على رجالي الاستكثار من النساء . اني لا ارى للواحد منهم ان يقتني غير المرأة الواحدة لئلا يتنغص عيشهم وتعود المضرة عليهم وتنهك ابدانهم وتذهب قوتهم . وكثيراً ما اوصيتهم بذلك ليقرب الله منا امر المشرق كما قرب امر المغرب »

قال « ان سهر مولاي على دولته بمثل ما تقدم كفيل بالنجاة من الوقوع في ما تخوفه ولكنني اخاف . . » وسكت وهو يتشاغل باصلاح عمامته وخماره

فلحظ المعز في وجهه شيئاً يكتمه فقال « وما الذي تخافه يا جوهر ؟ قل »

قال « اخاف الدسائس السرية »

قال « وما تعني ؟ اي الدسائس ؟ »

قال « اخاف قوماً لا نعرفهم ولا نعرف نياتهم »

قال « من تعني . . كيف نخافهم ونحن لا نعرفهم ؟ »

قال « لو عرفتهم لبددت شملهم ولكنني اتوسم خطراً من جماعة يزعمون انهم موتورون . . لا اعرف من هم ولكنني اتنسم رائحة ذلك من بعض الاحاديث . »

قال « صرح يا جوهر . . انك في مأمن »

قال « ألا تعلم يا سيدي ما اصاب ابا عبدالله الشيعي الذي قام بالدعوة في اول امرها ومهد الدولة لجدك المهدي رحمه الله ؟ . »

(١) المقريزي ج ١

فلما سمع اسم ابي عبدالله تغير لونه ولكنه اظهر الاستخفاف وقال « اظنك تعني ان ذلك الرجل قتل مظلوماً »

قال « لا اعني ذلك ولكن بين اصحابه الذين اعانوه في نصرة دعوة مولانا المهدي من يتوهم انه ظلم لانه جمع القبائل لنصرة مولانا ولما استتب له الامر قتله وقتل اخاه ابا العباس . اما انا فاعتقد انه قتل حقاً بعد ان غيرنيته وطمع بالامر لنفسه فلا بد ان يكون لاصحابه مطمع في افساد امرنا وان كنت لا اخاف فوزهم . ولو سألتني عن واحد منهم لاعترفت اني لا أعرف احداً وانما هو سوء الظن لا بد منه في مثل هذه الحال »

فاعتدل المعز في مجلسه وقال « صدقت ولكن لا خوف من ذلك غير اني اسمع ان ذلك المقتول كان عنده مال خبأه في مكان لا اعرفه وقد تعجل جدي في قتله قبل معرفة مستودع المال . سمعت انه مال كثير — ولا يخفى عليك شدة الحاجة الى المال في هذه الاحوال . »

قال « نعم يا سيدي سمعت بخبر المال المخبأ لكنني لا اعرف مكانه ولو عرفته لاستخرجته ولا يبعد انه قد تبعثر وسأوالي البحث عنه »

قال « ومع ذلك لا يهمنا المال وعندنا صناديق منه قد شذ عني ترتيبها لكثرتها قد اذخرتها للقيام بذلك العمل لعلمي ان اعداءنا قد اصابهم الفقر حتى تغيرت قلوب الناس عليهم .. »

قال جوهر « صدق مولاي ولكنني أري مع ذلك ان نحتاط وسيء الظن حتى برجالنا وأمراء القبائل البربرية ولا سيما الذين كانوا حكاماً وعرفوا الدسائس . أخص منهم حمدون صاحب سجلماسة فان هذا الرجل حاربناه وهو صاحب دولة فاخضعناه وسلم لكنني أحسبه سلم مكرهاً فاذا رأى مولاي ان نقيده برهن كان ذلك اقرب الى الصواب »

قال « وما هو الرهن ؟ »

قال « لهذا الامير ابنة اسمها لمياء هو عالق بها وشاهدت منها في اثناء حربنا معه بسالة وانفة لم اعهدها بفتاة فلها فقد كانت تحارب كاكبر القواد على جواد من خير الجياد . ولم نستطع القبض عليها الابعد الجهد الكثير . وقد أراد الفارس الذي قبض عليها ان يتخذها سبية فمنعته وانقذتها من السبي واكرمتها . ولاريب ان والدها يحبها ويضن بها فاذا اتخذناها رهناً على تصرفه في طاعتنا لا يقدم على الخيانة »

قال « قد رأيت حسناً واين هي الآن ؟ »

قال « هي في فسطاط ابيها المضروب في هذا السهل خارج القيروان »

قال « ولكنني أخاف ان ننبهه الى الحقد اذا طلبناها منه الآن »

قال « لاخوف من ذلك فاني اطلبها منه لتكون مكرمة معززة في قصر امير المؤمنين في خدمة ام الامراء (زوجة المعز) وهذا الشرف لا يتأتى لاحد سواه . وانا على يقين ان مولانا ام الامراء ستر تاح الى رؤيتها . فان في وجهها مهابة وجمالاً مع تعقل وبسالة وقد تحققت مع ذلك انها من أشد الناس غيرة على دعوة الحق فانها تجل مقام الامام علي وتنصر شيعته مما لم اره في سواها من جماعة البربر كافة ومن الجهة الاخرى أرى ان نصاهره فنكتسب حزبه »

قال « وكيف ذلك ؟ »

قال « سأجعل القصد من نقل ابنته الى قصر ام الامراء اني اريد ان اتخذها زوجة لابني الحسين • وهو بلا شك سيكون سعيداً بهذا الاقتران فنكسب الفتاة ونكسب قلب ابيها »

قال « حسناً . افعل بارك الله فيك ولا حرمنا من سعيك الحميد » وتزحزح الخليفة فنهض جوهر واستأذن في الانصراف

الفصل الخامس

حمدون

خرج جوهر من حضرة المعز وقضى بقية ليلته مفكراً بما سمعه وكان شديد الاهتمام بامور الدولة كثير الغيرة على الدعوة العبيدية • وان ما لمح به للمعز عن الدساسين شيعة ابي عبد الله لم يكن وهماً بل هو حقيقة • ولكن تلك الاحزاب لم تكن تستطيع الظهور لتغلب القوة فهي تتربص فرصة للوثوب بالدولة — وكان يخاف صاحب سجلماسة على الخصوص لانه صاحب سطوة وله حزب كبير وهو مجازف لا يقدر العواقب • فرأى من حسن السياسة ان يقيده بالرهن على تلك الصورة ثم يقربه بالزواج فيخطب ابنته لابنه فيكتسب ثقته ومساعدته او يتخلص من شره على الاقل

ولم يكن صاحب سجلماسة يشعر بشيء مما في خاطر جوهر عليه بل كان يحسبه في غفلة عن حركاته وخطواته • ففي صباح ذلك اليوم جاءه غلام جوهر يدعوه اليه في قصره بالمنصورية فبادر الى ذلك • وكان حمدون هذا كهلاً طويل القامة دقيقها اسود العينين غائرهما لا تستقر حدقتاهما على حال • ولم يكن عنده من الولد غير لمياء • وماتت والدتها فتزوج غيرها وترك تربية الابنة الى رجل من خاصته كان شديد التشيع لاهل البيت • فشبت على ذلك • وأما حمدون فلم يكن تشيعه الا ظاهرياً جرياً مع تيار القوة • ولو ترك لنفسه لاختار ان يكون مهدياً يدعو الناس الى نفسه فكانت مطامعه أعلى ما يخطر للبشر • وكان قد همّ ان يدعي المهدوية وهو في سجلماسة ولكنه غلب على امره وقيد أسيراً الى القيروان فاظهر الطاعة على دخل وشعر جوهر بشيء من ذلك كما رأيت

وكان حمدون مع سعة مطامعه ليس من أهل الدهاء لكنه كان اذا خطر له امر بادر الى تنفيذه لا يبالي بما قد يكون في سبيله من الخطر • وكان عرش سجلماسة قد اتصل اليه بالارث من اجداده واتصل بخدمته شيخ اسمه ابو حامد زعم انه من اهل الكرامة نزل عليه منذ اعوام ومعه شاب جميل الصورة اسمه سالم قال انه ابن اخيه وهو فارس شجاع • نزل كلاهما في دار صاحب سجلماسة وهو في ابان امارته • وكان سالم يرى لمياء وهي تذهب وتجيء او تركب الجواد والبربر اقل حجباً لنسائهم من سائر المسلمين فوقعت من خاطره موقعاً جميلاً وتعارفا وتحابا فتقدم ابو حامد الى حمدون في خطبة لمياء الى ابن اخيه سالم فاجابه • وقبل ان يحين الاقتران اتى جوهر القائد بجيشه وفتح سجلماسة واسر اميرها واهله وفي جملتهم لمياء وابو حامد ولم يقفوا لسالم على خبر فظنوه قتل في المعركة فبكته لمياء وهي في ريب من امره

اما حمدون فكان يعتقد ان سالماً قتل لا محالة وكأنه شاهد شبحاً مثله ملقى على الصعيد في اثناء القتال . ولم يمض على قيامهم في القيروان ايام قليلة حتى خطر لجوهر ماخطر له فبعث اليه في ذلك الصباح • فاتاه الى قصره وحده فبالغ في اكرامه وتقديمه وهو لا يعلم سبب ذلك الاكرام • ثم قال جوهر « أتعلم لماذا دعوتك ايها الامير . »

قال « كلا يا سيدي ؟ »

قال « أنت تعلم اننا كنا بالامس اعداء يستحل احدنا دم الاخر فصرنا الان اخواناً نتعاون في نصرة الحق وخدمة امير المؤمنين • واحببت ان تزيد تلك الروابط متانة فارجو ان توافقني على ذلك »

فلم يفهم حمدون قصده لكنه بادر الى الثناء على هذه الرغبة فقال « ان ذلك

غاية مناي وفيه شرف لي »

قال « لا شرف ولا تشريف . . . أتعرف ولدنا الحسين ؟ »

قال « نعم اعرفه حفظه الله . . »

قال « وانا اعرف ابنتك لمياء — وقد شهدت منها في اثناء حربنا ما حبب الي ان تكون زوجة لابني الحسين وانت تعلم مقدار حبي له فبهذا المقدار سيكون حبي لها »

فلما سمع حمدون ذلك الطلب اطرق هنيهة يفكر ثم ابرقت اسرته ليس رغبة في الشرف الذي سيناله من مصاهرة اكبر قواد المعز الفاطمي ولكنه توسم من ذلك عوناً على امر قام في نفسه فقال « ان مثلي يا مولاي لا يطمع بمثل ذلك فكيف باكثر منه »

فأثنى جوهر على قبوله وقال له « لكنني زيادة في رفعة قدرها احب ان يكون العقد عليها في منزل ام الامراء زوج امير المؤمنين وخصوصاً لان لمياء يتيمة الام هل ترى بأساً من ذلك ؟ »

فنهض وهو يظهر الامتنان وقال « اي بأس ارى فيه ؟ انه شرف عظيم »

قال « اني مرسل الساعة غلامي اليك في الفسطاط فترسل معه لمياء الى دار امير المؤمنين »

قال « سمعاً وطاعة » وخرج وقد ادهشه توفيقه الى فرصة طالما تمناها وسار تواً الى صديقه ابي حامد فقص عليه مادار بينه وبين جوهر واظهر انه يستشيره فصاح فيه « يعرض عليك ان تكون لك يد وعينان في قصر المعز وقائده وتستشيرني ؟ اقبل . . » قال ذلك وهو يحك ذقنه ليخفي ما خامره من الفرح بتلك البشارة وله في ذلك غرض يشبه غرض حمدون

فقال حمدون « لم اتردد في قبول ذلك الطلب لحظة . ولكنني توقفت اولاً لان ولدنا سالماً اولى بها و . . »

فقطع ابو حامد كلامه قائلاً « دع سالماً الان انه بعيد ولا ندري اي متى يعود »

فاطمأن حمدون اذ ظهر له من ذلك القول ان سالماً لا يزال حيا وكان يحسبه قتل فقال « واين هو سالم الان ؟ »

قال « ليس هو قريباً . . وسأخبرك بمكانه . اما الان فلا ترفض ما عرضه عليك ذلك القائد القائم . . » وتنحنح

فذهب حمدون للحال وقص الخبر على ابنته وحسن لها الذهاب فامتنعت في بادىء

الراي لانها عالقة القلب بسالم فاكد لها ان سالماً قتل اوهرب ولا امل برجوعه .
ونظراً لما يعلمه من تعلقها باهل البيت ضرب لها على وتر الدين فقال « انك تكونين
هناك قرب امير المؤمنين ابن بنت الرسول »
فرضيت وذهبت مع الرسول الى المنصورية حتى اتت قصر المعز

الفصل السادس

لمياء فتاة القيروان

وكان المعز قد بات تلك الليلة وخف بلباله بعد ما دار بينه و بين فائده من الحديث •
وفي صباح اليوم التالي قام بفروض الصلاة ثم ذهب الى العمل . وبينما هو جالس في
ديوانه ينظر في اعماله ويقرأ كتب العمال ويجيب عليها بنفسه جاءه غلامه خفيف
الصقلبي واستأذنه في كلمة فقال « ما وراؤك ؟ »
قال « ان مولاي القائد بعث فتاة قال انها لعصر مولانا »
فقال المعز « ادخلها . . . اين هي ؟ »
فدخلت الفتاة وهي تنظر الى ما في تلك القاعة من صناديق الكتب وليس فيها
غير الخليفة وكاتب يده . وكانت لمياء طويلة القامة اشبه في مشيتها بالرحل مما بالنساء مع
جمال وهيبة • سمراء اللون كبيرة العينين اذا نظرتَ فيهما توهمتَ انهما تخاطبانك بصيغة
الامر • مقوسة الحاجبين متناسبة الملامح غليظة الشفتين قليلاً عريضة الوجنتين مما
يدل على القوة • حول رأسها عصابة تدلى منها خيوط في اطرافها كرات من الذهب أو
قطع أخرى من المصوغات • وقد ارسل شعرها على كتفيها متجعداً واحاط به رداء
كالخمار عقد في أعلى الصدر بعروة من الذهب • وحول عنقها عقود من الجزع ونحوه
كما ترى في الشكل
فلما وقع نظر المعز عليها لم يتمالك عن الاعجاب بها وخصوصاً بعد ما سمعه عنها من
قائده فاستدناها وهش لها تلطفاً وقال « تقدمي يا فتاة • • ما هو اسمك ؟ »
قالت « لمياء يا امير المؤمنين »
قال « العلك ابنة نصيرنا صاحب سجلماسة ؟ »
قالت « نعم يا مولاي »
قال « وهل سرك ان تكوني في قصرنا ؟ »

قالت « هذا شرف لا استحقه » وابتسمت بامتنان

قال « بل انت اهل لاكثر من ذلك . العلك متزوجة ؟ »

فلما سمعت سؤاله اطرقت وبان الخجل في محياها من الدم التي تصاعد الى وجنتيها ولم تجب



لمياء فتاة القيروان

فعلم انها عذراء فاكتفى بذلك الجواب وقال لها « اذهبي مع غلامنا هذا الى ام الامراء فاني اوصيتها بك خيراً وستحسن وفادتك . لكني ارجو ان تكوني حسنة الاعتقاد بنا »

فرفعت بصرها نحوه وقالت « اذا كنت تعني غير الاعتقاد بصحة خلافة آل البيت فلا . . »

فاعجب بصراحة جوابها وقال « انك لنعم الفتاة العلوية لولا ما اراه من كثرة الحلي على رأسك وصدرك فاننا لا نرى الجنوح الى شيء من اسباب الترف »

ولم يتم كلامه حتى اسرعت بيدها الى رأسها وصدرها واستخرجت ما كان عليهما من الحلي والعقود ورمت بها الى الارض وقالت « لم اكن اعلم ذلك يا سيدي . . وقد

كان لي بما شاهدته من بساطة ردائك عبرة وعظة . . . . هذه جواهري ارميها تحت قدميك . . »

فازداد المعز فرحاً بها وابتسم لها ابتسام الرضا والاعجاب وقال« بورك فيك انك ستنالين اضعاف ما تزعنه من الجواهر • فصلاً عن سرور ام الامراء بك » واشار الى الصقلبي فمشى بها وعاد المعز الى عمله

الفصل السابع

ام الامراء

وكانت ام الامراء امرأة عاقلة حكيمة ذات مبرات وحسنات ولها رأي وحزم . وكثيراً ما كان المعز يباحثها ويستشيرها وكان قد اخبرها في ذلك الصباح عن لمياء واوصاها بها

دخلت لمياء قصر ام الامراء ولو كانت ممن دخل قصور الامراء في مصر او بغداد في ذلك العهد لحسبته منزل بعض الخدم • لانه كان من البساطة بحيث يقرب من حال البداوة — تلك كانت سياسة المعز خوفاً من عواقب الترف لعلمه ان الترف والرخاء من اكبر العوامل في سقوط الدولة كما علمت من كلامه لقائده

وكانت ام الامراء جالسة في غرفتها على بساط من السجاد بلا وشي ولا تطريز وعليه مساند من الديباج البسيط وقد لبست لباساً بسيطاً واتشحت بمطرف وارسلت شعرها مضفوراً بابسط ما يكون . فسرت لمياء لسرعها في نزع حليها قبل الدخول على تلك الاميرة . فتقدم خفيف الصقلبي اولاً فانبأ ام الامراء بمجيء لمياء • فامرتها ان تتقدم فتقدمت ولم يقع نظر لمياء على ام الامراء حتى استأنست بها كانها ربيت في منزلها واشارت اليها ام الامراء ان تقعد فقعدت متأدبة وانصرف خفيف . فقالت ام الامراء « اهلاً بالصيفة الجديدة »

فقالت « اشكرك ياسيدتي على هذا اللطف •• انما انا جارية في قصرك »

قالت « بل انت ضيفة مكرمة فان قائدنا جوهر اثنى كثيراً على ادبك وتعقلك وقال انه لم يرض لك العبودية فاطلق سراحك »

قالت وهي تنظر في البساط مبالغة في التأدب « ان ذلك فضل كبير له لا انساه في عمري . أما فضل مولاتي زوج امير المؤمنين فلا اقدر على القيام بشكره »

فتجاهلت ام الامراء عند سماع ذلك الاطراء وغيرت الحديث فقالت « لم افعل شيئاً بعد ولعلي استطيع ان افعله في المستقبل اذ يكون لك قصر مثل هذا القصر تعيشين فيه آمرة ناهية • لان مثلك ينبغي ان يكون لها احسن نصيب من كبار الرجال »

ففهمت لمياء انها تشير الى رغبتها في تزويجها من احد الامراء فلم يعجبها ذلك لانها عالقة القلب بسواه فبدا ذلك في وجهها وساقطت من عينيها دمعتان تدحرجتا على خديها فمسحتهما بكمها وهي تبتسم اخفاء لما ظهر من عواطفها • فادركت ام الامراء ذلك فبادرتها قائلة « يظهر انك مشغولة القلب بسوانا »

فلم تمالك لمياء عن البكاء وهي تخجل من بكائها فغطت وجهها بيديها وكأنها استضعفت نفسها وانفت من ظهور ضعفها فتجلدت وتشاغلت بالابتسام وهي تنظر الى ام الامراء والدمع يتلألأ في عينيها . فاحست ام الامراء معها فارادت استطلاع حقيقة حالها لعلها تنفعها في شيء فدنت منها وهي تظهر الاهتمام بها وقالت « لا يشق عليك تعرضي لك في امر تريدين كتمانه • وانما اردت ان اباسطك . ونظراً لما توسمت فيك من اللطف اردت ان اكرمك باحسن رجالنا والظاهر انك مشغولة الخاطر بسواه . الا تجدين فيّ الثقة لتطلعيني على سرك وان كانت هذه اول مرة رأيتني فيها »

فغلب الخجل على لمياء بعد هذا التنازل وقالت « العفو يا سيدتي انك تتنازلين كثيراً في مخاطبتي وما انا اهل لشيء من ذلك . . »

فاحست ام الامراء انها ضايقتها في الحديث لاول مقابلة فرأت ان تتركها على ان تعود الى هذا البحث في فرصة اخرى فقالت « بل انت خير لاحسن منه . . والآن قد آن لك ان تستريحي » وصفقت فاتتها قيمة الدار فامرتها ان تعدّ غرفة خصوصية للضيفة وان تساعدها في تبديل ثيابها وتؤانسها . فنهضت لمياء ومشت مع القيمة وقد تنبهت عواطفها وهاجت اشجانها

فاخذتها القيمة الى غرفة من القصر تطل على الحديقة التي فيها البركة من ناحية وعلى المسجد الجامع من جهة أخرى فساعدتها في تبديل ثيابها فالبستها ثوباً من أثواب الاميرات وهو مع غلاء قيمته بسيط في زيه بلا زركشة ولا تأنق . وقد اعجبت لمياء بكل ما شاهدته هناك من ادلة البساطة والجنوح الى العمل • وقلما وجدت شيئاً يراد به الزخرفة فقط • مع ان قصر ابيها في سجلماسة لم يكن يخلو من الترف والرخاء يقلد بهما حضارة بغداد او مصر او الاندلس فيأتي من كل بلد بافخر مصنوعاتها -- واما المعز فكان يخاف ذلك الرخاء فيميل الى التمسك بالبساطة والبعد عن الترف

الفصل الثامن

المناجاة

ولما خلت لمياء في تلك الغرفة تصورت ما اصابها من الانتقال في ذلك اليوم . باتت امس في فسطاط ابيها خارج القيروان وهي الان في قصر الخليفة المعز لدين الله معززة مكرمة • وتذكرت ان المعز من نسل الامام علي وفاطمة الزهراء فاختلج قلبها من الفرح لحصولها على الحظ بالتقرب من ذلك الدم الطاهر والشرف العظيم — ومشت الى شرفة مطلة على الحديقة ولم تكد تجلس حتى تقاذفتها الهواجس وتذكرت خطيبها سالماً وكانت قد احبته ووطنت النفس على الاقتران به • فلما آن وقت العقد اخذت اسيرة مع ابيها ولم تعد ترى سالماً ولاعلمت اين هو • وكانت تعلم من اسراره ما لا يعرفه عمه وكان في ما اطلعها عليه من اغراضه امور تنكرها عليه ولا يعلم عمه ابو حامد باطلاعها على تلك الاسرار ولعله لو علم لم يسمح بتقربها من المعز

فاطرقت حيناً وهي غارقة في التفكير وجعلت تناجي نفسها قائلة « اين انت ياسالم . لا اصدق انك قتلت .. لا . لم تقتل بل انت مختبىء او متنكر .. اولعلك تفكر في ذلك الامر . . يا ليتني استطيع ان اراك لاطلعك على امورتهون عليك العدول عن عزمك . . والتخلص مما يعرضونه علي . . اني لا احب الزواج الا بك لاني لم احب سواك ولكنني مع ذلك لا اوافقك على عزمك لان فيه خطراً . آه اين انت ؟ »

وهي في ذلك سمعت حركة وحديثاً في الحديقة فتحولت مجاري افكارها نحو ما سمعته وجلست تتوقع ان ترى احداً وكانت قد ضفرت شعرها ضفيرتين جانبيتين ولفت راسها بخمار كبير كالحبرة يغطي كتفيها وجنبيها • وما لبثت ان سمعت خفق نعال على مقربة من النافذة فتراجعت وهي لا تزال تنظر نحو الحديقة • واذا هي برجلين عرفت منهما القائد جوهر وبجانبه شاب في مقتبل العمر يظهر من ملامحه انه ابنه الحسين وتذكرت ماقيل لها عن رغبته فيها فاحست بنفور وانزوت مخافة ان يقع نظره عليها

اما جوهر فكان ماشياً وعليه الجبة والقفطان وفوق رأسه العمامة الصغيرة وحولها الخمار وقد تقلد السيف • وفي مشيته وثبات قدميه ما يدل على انه قائد عظيم واما ابنه فكان في مثل لباسه لكنه لا يزال يانعاً وفي محياه نضارة الشباب مع هيبة القواد والبسالة بادية في عينيه وجبينه

ثمن النسخة مجلدة ١٠ غروش والجزء [illegible] غروش (نولزانشا وما م على بعده)

(علاوة اجرة [illegible]) هو كتاب [illegible] ٤٠٠ صفحة و ٣٩ رسماً بورق جيد ١٠ غروش

مدارس لبنانية انكليزية داخلية

مجيء رئيسها لمصر

انشأت هذه المدارس منذ ٣٥ سنة في قصبة الشويفات للبنين والبنات وهي قائمة على اكمة بمحل جميل بديع ذات بناء شاهق متقن يطل على البحر والبر وكثير من قرى لبنان والجبال العالية وامامها تماماً غابة الزيتون الكبيرة الشهيرة المعروفة بصحرا الشويفات وورائها احراج الصنوبر والرمل والبحر المتوسط الكبير ومن محسناتها انها على مسافة ساعة من بيروت وتعلم جميع اللغات والعلوم التي تلايم روح العصر ويوجد سيدات فاضلات تعتني عناية خصوصية بالصغار تفتح ابوابها لقبول الطلبة في ١٤ اكتوبر من كل سنة ومن اراد زيادة الايضاح فليخابر هذه الادارة او ادارة الشركة الوطنية في الاسكندرية بشارع محمد علي تلفونها ٦٧٢ المستعدة لتسفير التلامذة او ان تخابر رأساً في الشويفات رئيسها طانيوس سعد

وقد أتى منذ بضعة ايام رئيس هذه المدارس وهو مستعد ان يأخذ معه الطلبة المصريين فمن أراد مخابرة حضرته يكتب له بواسطة ادارة الهلال بمصر

محمد علي وشركاه بزنجبار

يتعاطى جميع اشغال التجارية ويشتغل بالقمسيون



تلفون نمرة ١٣٠١ العنوان التلغرافي «الهلال»

وهي من اشهر المكاتب العربية لاشتمالها على انفس الكتب من علمية وادبية وتاريخية ومدرسية وروائية . وفيها ادوات الكتابة ومعمل تجليد ومطبعة . ولها قائمة كتب ترسل مجاناً لمن يطلبها وعنوانها باللغة الافرنجية

LIBRAIRIE AL-HILAL, Faggalah, Caire



مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN *M. R. A. S.*

SUBSCRIPTION: 26 P^TS, OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XX. No 2

1 November, 1911

AL-HILAL Printing Office, Cairo

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر

محمد علي وشركاه بزنجبار

يتعاطى جميع الاشغال التجارية و يشتغل بالقمسيون

عيادة الدكتور **نقولا بيطار** والدكتور **امين بهيت**

بشارع عبد العزيز نمرة ٢٩ تلفون نمرة ١٣٥٦

من الساعة ٨ صباحاً الى الظهر ومن الساعه ٣ الى ٦ عدا ايام الاحاد والاعياد

لقد تخصص كل منا بقسم من الاعمال للتسهيل والاتقان فالدكتور بيطار باشغال الاسنان على الكاوتشوك ومعالجة امراض الاسنان وخلع مايلزم خلعه منها بواسطة التبنيج الموضعي والعمومي عند الطلب والدكتور بهيت يقوم باشغال ملي الاسنان بالطريقة القانونية المضمونة المشهورة في اوربا وتلبيس الاسنان بالذهب وكافة المعادن وغير ذلك مما شهد له كل من جربه وهذه الطريقة سرعة في العمل كي لا يحصل ملل من الانتظار لكثرة من يشرفنا وعلى الله الاتكال

The Gresham Life

Assurance Society Limited

شركة جريشام ليمتد لضمانة الحياة

تأسست في لندره عام ١٨٤٨

حالة الشركة في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٧

راس مالها الاحتياطي	٢٤٥,٥٠٦,٦٦٤	فرنك
مدخولها السنوي	٣٥,١٤٨,٧٥٦	»
المدفوع للمؤمنين	٥٨٧,٦٢١,٨٥٠	»

مجلس الادارة في القطر المصري

رئيس . السيرجون روجرس ك . س . م . ج .

ف . ه رسل من محل الخواجات رسل وكر وقيمات

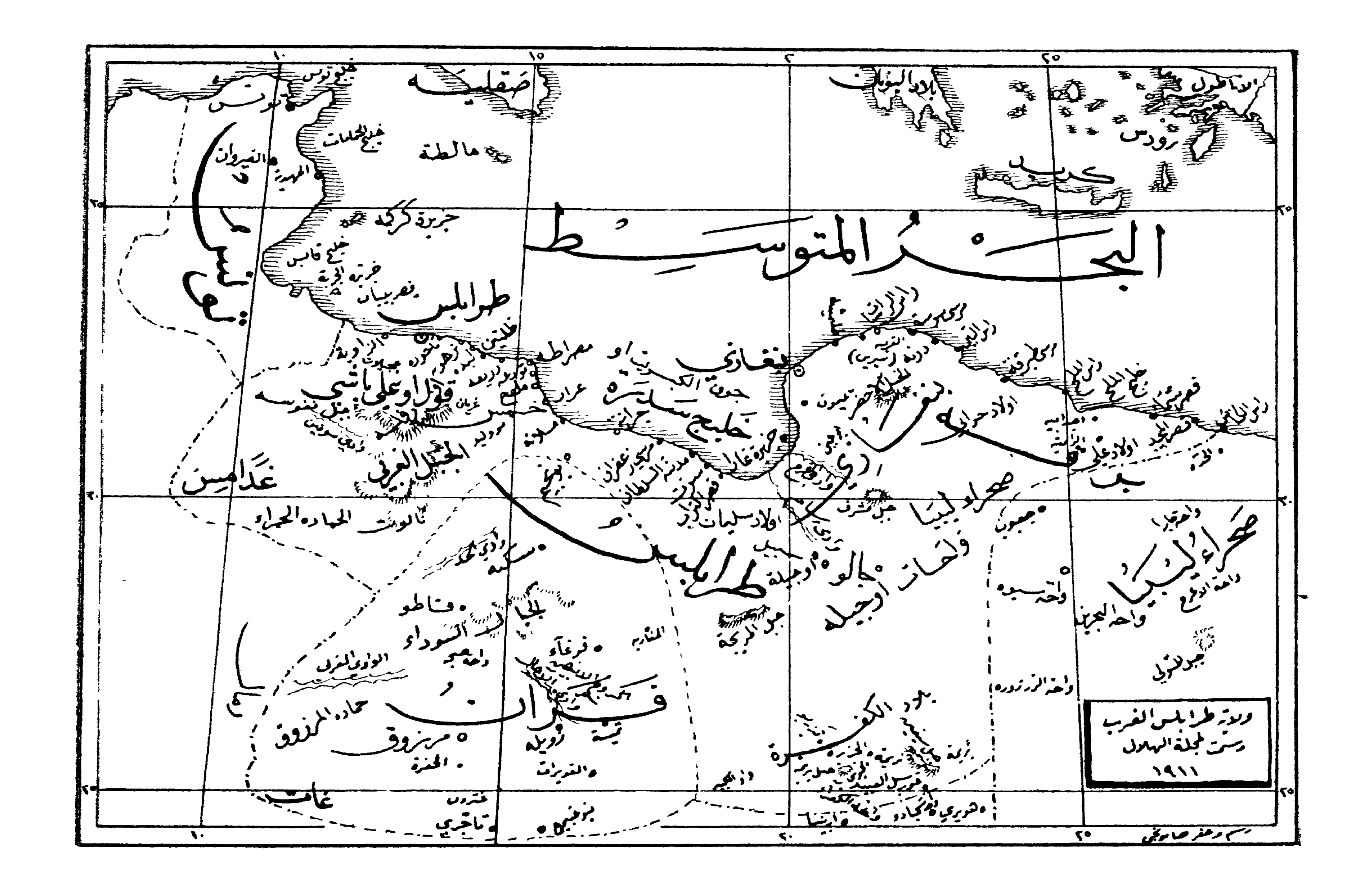
الدكتور هربرت ملتن . ج هيوم . نائب حاكم البنك الاهلي المصري

اذا دفعت مبلغاً جزئياً كل سنة لهذه الشركة فهي تضمن لك ذخيرة لشيخوختك أو مهراً لابنتك او رأس مال لابنك .

وهي تعطي أيضاً سلفيات مع تامين على الحياة على رهن عقارات بفوائد منها ودة جداً .

وجميع الاستعلامات تطلب من فرع الشركة للقطر المصري فلسطين والشام الكائن بشارع سليمان باشا بالقاهرة

١٠ — ١٩ — ٧



البحر المتوسط
صقلية
مالطة
تونس
القيروان
المهدية
خليج الحمامات
جزيرة كركنه
خليج قابس
جزيرة جربة
بلاد اليونان
الاناطول
رودس
كريد
طرابلس
بنغازي
خليج سدرة
مصراطه
درنة
غدامس
الجبل الغربي
الجبال السوداء
فزان
مرزوق
صحراء ليبيا
واحات اوجيله
جالو
واحة سيوه
جغبوب
ولاية طرابلس الغرب
رسمت لمجلة الهلال
١٩١١

الهلال

الجزء الثاني من السنة العشرين

اول نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩١١ و١٠ القعدة سنة ١٣٢٩

اشهر الحوادث واعظم الرجال

طرابلس الغرب

جغرافيتها وتاريخها وسائر احوالها

كثر تحدث الناس وتناقلت الجرائد اخبار طرابلس الغرب على أثر حمل ايطاليا عليها واحتلال قصبتها ومعاداة الدولة العلية بلا سبب يوجب ذلك غير الطمع في الاستيلاء وحب الاستعمار.

وقد اعلنت الحرب بين الدولتين فرأينا ان نأتي على جغرافية تلك البلاد وتاريخها وسائر احوالها ليكون قراء السياسة على بينة من امرها فنقول:

١ — جغرافيتها

اقسامها الجغرافية واحصاؤها

طرابلس الغرب ونريد بها الولاية التابعة للدولة العثمانية في شمالي افريقيا بلدٌ كبير يمتد من البحر المتوسط في الشمال الى الصحراء الكبرى في الجنوب ومن حدود مصر في الشرق الى حدود تونس في الغرب . وهي لا تقتصر على طرابلس الغرب وحدها ولكنها تشمل بلاداً أخرى لها استقلال جغرافي . فهي بهذا الاعتبار تقسم الى خمسة اقسام كبرى (١) طرابلس الغرب الاصلية (٢) بلاد برقة (٣) واحات اوجيلة (٤) فزان (٥) واحات غدامس وغات . فمن هذه البقاع وما بينها من البوادي الرملية المجدبة تتألف ولاية طرابلس الغرب التي نحن في صددها

وفي حدها من الشمال وهو البحر الابيض المتوسط كما قدمنا خليجٌ كبير له شهرة قديمة بشدة العواصف يسمى خليج سدرة او السرت الاكبر والعرب يسمونه جون الكبريت . وتنتهي طرابلس في الجنوب بخط السرطان ويقدرون مساحتها بنحو ٤٠٠٠٠٠ ميل مربع اي نحو أربعة اضعاف مساحة ايطاليا . لكن سكانها لا يزيدون في اكبر تقدير على مليوني نفس . وسكان ايطاليا يناهزون ٢٩ مليوناً . على ان هذه الولاية لم تعين حدودها الا من الغرب لاتصالها بتونس واحتكاكها بفرنسا هناك فتعينت الحدود سنة ١٨٨٦ وتم تحديدها سنة ١٨٩٢ اما في الشرق والجنوب فان حدودها لم تعين بعد

أما حاصلاتها فالحبوب والزيتون والزعفران والتين والتمر وزيت الخروع وهي كثيرة الاثمار

وقد وجد علماء الآثار البشرية ان هذه البلاد عمرت في أقدم أزمنة التاريخ من العصر الحجري ويؤخذ من بقايا سكانها الاصليين انهم كثيرو الشبه بالامم التي عمرت اسبانيا وجزائر بريطانيا قبل ازمنة التاريخ ثم سكنها البرابرة فالعرب ومن خالطهم من الامم

وسكانها الآن اخلاط من البرابرة الاصليين والعرب والاتراك والقول اوغلي وهم الاتراك المولدون من أمهات بربريات واليهود والافرنج والزنوج وغيرهم

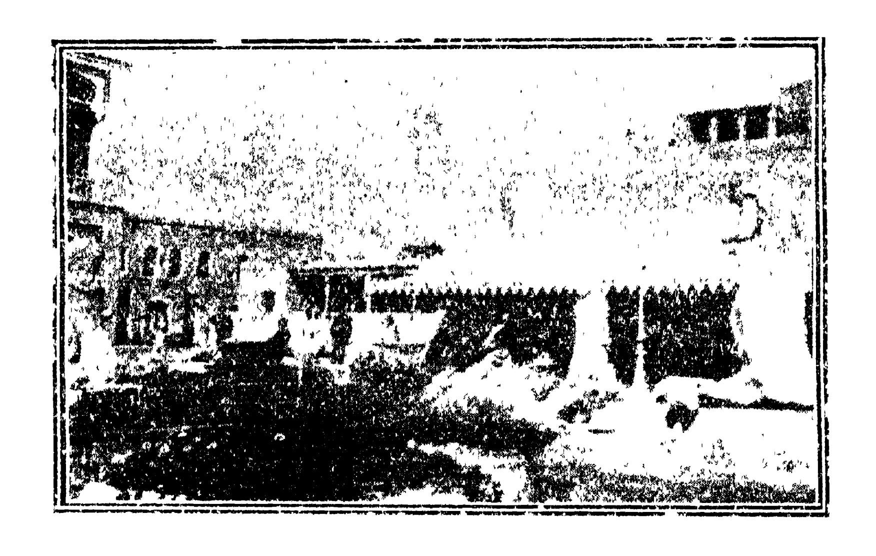
واذا اعدنا النظر في اقسامها الجغرافية رايناها تختلف في طبيعتها واقليمها . منها

قسمان على شاطيء البحر المتوسط هما برقة وطرابلس وثلاثة اقسام في الصحراء نحو الجنوب . وهاك اشهر مدائن هذه الولاية :

١ ـــ طرابلس (القصبة)

هي قصبة الولاية واقعة على الشاطيء في اقصى الغرب على مرتفع بارز داخل في البحر يتألف من بروزة جون صغير كانت محاطة بسور مخمس الاضلاع لكنه تخرب معظمه ولم يبق من ابراجه أوقلاعه الا القليل . وجزء من السور يحمي جانباً من الميناء وداخل السور تكنات الجند . وفيها حدائق البرتقال والنخل . ويتصل طرفها الغربي بالصحراء . أما في الشرق فتنتهي بغوطة خصبة عصة فيها قبور بعض الاولياء وفي المدينة سبعة مساجد ستة منها ذات ماذن على النسق التركي . شوارعها ضيقة غير مرصفة وفي بعض اطرافها آثار قديمة اهمها قوس نصرني سنة ١٦٤م على عهد ماركس اوريليوس وليس للافرنج فيها حي خاص بهم . عدد سكانها نحو ٣٥٠٠٠ نفس

حاصلاتها عديدة وينمو النخل فيها نمواً عجيباً وقد يبلغ علو النخلة مئة قدم



قراءات خانه عسكرية

وكانت طرابلس في أواخر ايام عبد الحميد منفى الاحرار العثمانيين من الضباط وأهل الادب حتى اجتمع فيها مئات منهم وهم من ارقى العثمانيين ادباً وخلقاً . فاضطرتهم طبيعة الحال ان يدخلوا فيها بعض اسباب المدنية فانشأوا غرفة للقراءة سموها « قراءات خانه عسكرية » أقاموها في الحديقة العسكرية اجمل بقاع المدينة وجهزوها بما تحتاج

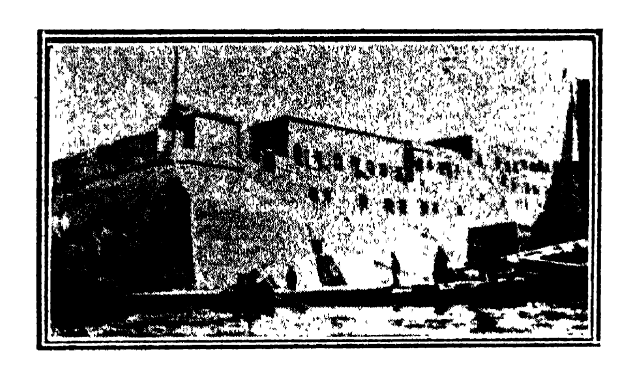
اليه من معدات اللهو كالبلياردو ونحوه . وفي قاعة القراءة نحو ٦٠٠ مجلد عربية وتركية
وفي طرابلس مكتبة ايطالية ومكتبة اسرائيلية فيها نحو ٨٠٠ مجلد. وظهرت فيها الصحافة بعد اعلان الدستور من عهد قريب وأول صحفها جريدة « طرابلس الغرب ». وللايطاليان مرافق عديدة بطرابلس اهمها بنك رومية . ولهم مطبعة ينشرون فيها دليلاً سنوياً . وكان للاتراك تقويم بالعربيـة والتركية يحرره ادباء الاحرار المنفيين . وتعد طرابلس من أهم المراكز التجارية على البحر المتوسط وكان لها شأن تجاري في التاريخ القديم . وقد انحطت تجارتها عن ذي قبل . ومع ذلك فان قوافلها الضاربة في اواسط افريقيا لا تزال ذاهبة قادمة . فضلاً عن خطوط البحر على الشواطيء بين مدنها المختلفة من طرابلس غرباً الى حدود تونس وشرقاً الى مصراطة وسرت وغيرها . على ان الانواء في ذلك الجون شديدة تحول دون انشاء ملاحة منظمة



جمهور من احرار الاتراك في طرابلس العرب

اما التجارة الداخلية في البر فتنقل على الجمال في القوافل . بعضها قصيرة المسافة قاصرة على داخلية الولاية ترد على طرابلس مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع . واصحابها من اليهود وجمالتها من العرب. تسافر من طرابلس الى الجبل الغربي وتعود في بضعة ايام والطريق آمن . وأما القوافل البعيدة فانها تخترق اواسط افريقيا ومسافاتهـا طويلة وطرقها خطرة . وهي تمرُّ بفزان وما وراءها الى وداي في اواسط السودان واصحابها غالباً من البرابرة وقـد يكونون من المالطيين وذلك نادر . وهي تحمل الى السودان المنسوجات الافرنجية وادوات الزينة للمنازل ونحوها ممـا يبهج السوداني من صنائع

المدنية وتعود بعد بضعة اشهر بالعاج والماشية والجواري . وقد يزيد عدد جمال القافلة الواحدة على ٢٠٠ جمل يعهد بها الى طائفة من الجمالة عليهم رئيس يثق التجار بامانته فيعهدون باموالهم اليه



سجن طرابلس الغرب

والقوافل ذات المسافات البعيدة يندر ان يرافقها اليهود أو المسيحيون خوفاً من تعدي المتعصبين من اهل تلك البوادي واخصهم جماعة السنوسية والطوارق . على ان اليهود المولدين في تلك البقاع يعرفهم الوطنيون ويحالفونهم اويحمونهم . وفي غات باقصى الجنوب جماعة من اليهود المولدين قديماً يزعمون انهم من سلالة الفلسطينيين القدماء الذين فرّوا مع جالوت لما غلبه داود منذ نحو ٣ آلاف سنة . ولليهود شأن في تاريخ هذه البلاد

سائر البلاد المهمة على الشواطىء

﴿ الزاوية ﴾ بلدة صغيرة واقعة غربي طرابلس ولها تاريخ قديم وفيها بقايا مرسح روماني والرومانيون يسمونها « زوارا». بينها وبين مدينة طرابلس الحاضرة انقاض طرابلس القديمة التي بناها الرومانيون

﴿ تاجورة ﴾ هي مجموع قرى على اربع مراحل شرقي طرابلس وفيها نخيل كثير. والى شرقيها « ترهونة» وهي شعبة من جبل غريان . ثم « لبدة » وهي خصبة وقد تسمى خمس وبعضهم يلفظها حمص و «مرسى اوغرا » ثم « ظلتين» وهي بلد كبير فيها مرفأ للسفن يعرف بمرسى ظلتين وفيها آثار رومانية . ومن ظلتين طريقان احدهما يؤدي الى بني وليد والآخر الى مصراطة في فم الجون . والشاطىء من طرابلس الى مصراطة مكسو بالاغراس والاعشاب وهناك ينتهي الخصب

﴿ مصراطة ﴾ قصبة قضاء ينسب اليها وهي حسنة الانتظام في ابنيتها بالنسبة الى

سواها من تلك البلاد والارض في جوارها قاحلة واليها تنتهي القوافل القادمة من فزان وتومبكتو . ولذلك كانت لها اهمية تجارية . وهي بموقعها الجغرافي كالراس الداخل في البحر ويليها على الشاطئ نحو الشرق جرافة وعرار وزعفران وسرت ومدينة السلطان ونجيم واليهودية وقرطبّة وكركورا وغيرها الى بنغازي في الجهة المقابلة لمصراطة في الشرق . وبينهما جون الكبريت أو خليج سدرة او السرت الاكبر المتقدم ذكره . عرضه ٢٤٦ ميلاً جغرافيًا ومحيطه ٤٢٢ ميلاً اكثرها بلاد رملية

﴿ بنغازي ﴾ هي قصبة لواء بهذا الاسم ومنها نحو الشرق يتغير الاقليم . فهي الحد الفاصل بين طرابلس الغرب وبرقة . واقعة قرب البحر في سهل خصب يتصل بسلسلة جبال في الجنوب الشرقي . ابنيتها متينة في مدخلها من البحر قصر الحاكم (البيك) او هي قلعة قائمة على انقاض بناء قديم سكانها نحو ١٨٠٠٠ نفس من المسلمين اكثرهم من اصحاب الاملاك والمزارعين والتجار . وهم يقسمون على الاجمال الى طبقتين كل منهما ترجع الى ستة اصول او قبائل من البربر كالحاشية والكوافي وزمورة وخدام الزروق وعدكبران وسور جابر والشويخات . والسكان من بنغازي الى حدود مصر اهل بادية يشتغلون بالزراعة

اكثر تجارتها الماشية تحمل بحراً الى مالطة . وكان مكانها قديماً مدينة يونانية اسمها بريس عمرت في ايام البطالسة ولم يبق لها أثر الآن . ولواء بنغازي يخاطب الاستانة رأساً وله نوع من الاستقلال عن الولاية

وبعد بنغازي على الشاطئ بلدة سماها العرب « طلميثة » وهي تعريب بطلوميتة . وبينهما ارض خصبة لكنها قليلة الغرس . والمسافة بين البلدين نحو ٥٧ ميلاً . ووراءها جبال مكسوة باحراج الصنوبر وهناك آثار بنائية كالابراج ونحوها تدل على عمران قديم

﴿ سيرين ﴾ وبعدها رأس الراسات ثم القرينة في الداخل وبينهما سلسلة آكام . والقرينة بلد قديم كان مدينة عامرة ذات شأن في عهد اليونان والرومان اسمه سيرين (Cyrene) واليها نسب مقاطعة كبيرة تكاد تشمل برقة كلها كانوا يسمونها « سرينيكا » . وقد رأينا بعض الكتاب يعربون سيرين « القيروان » وهو تساهل يفضي الى الخطأ لان القيروان بلد آخر في ولاية تونس بناها العرب في القرن الاول للهجرة . وفي القرينة وجوارها آثار فخيمة ليس لاهل تلك البلاد الآن عناية بها . ولكنها تدل على عمران قديم . وكانت سيرين في الدول القديمة اعمر شواطئ افريقيا القديمة بعد قرطاجة

وبعد القرينة على الشاطئ شرقاً : مرسى سوسة ورأس الهلال ودرنة وهي قديمة كان يسميها اليونان درنيس . وراس التين وطبَرقة ولها فرضة تسمى مرسى طبَرقة ورأس الملح وخليج الملح وقصر شماء وقصر المجيد واخيراً رأس الكنائس الفاصل بين برقة والقطر المصري

هذه اهم البلاد الساحلية في طرابلس وبرقة فلنصف سائر الاقسام الجغرافية في الداخلية :

البلاد الداخلية

﴿ برقة ﴾ تشتمل لواء بنغازي وغيرها وهي عبارة عن سهل مرتفع ينحدر حدّه الشمالي مائلاً نحو البحر المتوسط حتى ينتهي بالمدن التي تقدم ذكرها . وهي من البلاد التي عمرت قديماً وفيها سيرينيكا التي ذكرناها . سكنها اولاً جماعة من جالية المصريين في زمن الفراعنة ثم خلفهم اليونان من اواسط القرن السابع قبل الميلاد وعرفت يومئذ ايضاً باسم بنتابوليس اي المدن الخمس لاشتهار خمس من مدنها في ذلك العهد . والعرب سموها انطابوليس

وينتهي سهل برقة المشار اليه من الغرب بخليج سدرة . ومن الجنوب بمنحدر في صحراء ليبيا يفضي الى منخفض واحات اوجيلة الآتي ذكرها . وفي وسط السهل المذكور جبل اسمه الجبل الاخضر علوه ٣٥٠٠ قدم عن سطح البحر وفيه ولد محمد المهدي السنوسي صاحب الطريقة التي تنسب اليه . وتنتهي برقة في الشرق بصحراء ليبيا

﴿ واحات اوجيلة ﴾ هي واحات خصبة واقعة في صحراء رملية جنوبي برقة شكلها كالوادي المستدير . تتصل بخليج سدرة بواسطة واد اسمه وادي الفرج . وأهم الواحات هناك اوجيلة وجالو . ومنها نحو الشرق في صحراء ليبيا واحات سيوة وجغبوب والبحرين وجارا الى بحيرة النطرون

﴿ واحات الكفرة ﴾ والى جنوبي اوجيلة بمسافة بعيدة مجموع واحات تعرف بواحات الكفرة اوبلاد الكفرة وهي : تيزربووسيغان وبريمة وأربينا وكبادو وغيرها منتشرة على طول ٢٠٠ ميل . ومساحتها ٧٠٠٠ ميل مربع . وعدد سكانها عدة آلاف من البربر وعرب البادية يستقون من آبار يخزنون فيها الماء . وقد عرفوا بهذا الاسم من تسمية المسلمين قديماً للوثنيين من سكان تلك البلاد . وفي كبادو زاوية كبيرة الاهمية لاتباع الشيخ السنوسي يقيم فيها كبير السنوسيين اليوم الشيخ احمد الشريف السنوسي لاتعلوها بالاهمية من زواياهم الاّ جغبوب . وسنتكلم عن السنوسيين في فصل خاص من

هذا الهلال . وهذه الواحات محطة للقوافل بين برقة ووداي

﴿ فزان ﴾ هي بلاد قديمة العمران والمظنون انها كانت آهلة في اقدم ازمنة التاريخ . تولتها الدولة القرمنتية وكان لها فيها شأن وصولة حتى غلبهم عليها الرومان في زمن اوغسطس قيصر . ثم جاء العرب فاخرجوها من ايدي الروم في القرن السابع للميلاد . ثم دخلت في حوزة الاتراك في القرن السادس عشر مثل طرابلس — وسنعود الى ذلك

وتقسم فزان الى عدة مقاطعات عاصمتها الكبرى « مرزوق » وفي كل مقاطعة عدة واحات أكثرها في البقعة التي فيها العاصمة . وفي شمالها في صحراء الآجال واد مستطيل يمتد شمالاً شرقيا نحو الخروج الابيض . وفي القسم الغربي منه الوادي الغربي وهو اخصب تلك البقاع لكثرة ينابيعه واحراجه وفيه الماشية واسراب الطير . وفيه حوض اسمه بحر الدود طوله نحو ٦٠٠ ميل وعمقه ٢٥ قدماً . و« قرما» او« جرما » القديمة عاصمة القرمنتية . والطريق غربي مرزوق يؤدي الى واحة غات الآتي ذكرها . ومن الشرق الى واحات تراغن وزويلة وتميسة . وأخيراً الى واو الكبيرة. ومن الجنوب يؤدي الى بحيرة تشاد

﴿ غات ﴾ هي واحة كبيرة في غربي فزّان تعلو ٢٤٠٠ قدم عن سطح البحر في واد اسمه وادي اغلاد . وهي تعد قسماً من الصحراء الافريقية الكبرى . عدد سكانها نحو ١٠٠٠٠ نفس اكثرهم من عرب الطوارق

﴿ غدامس ﴾ هي بلد قديم عاصرت الدولة القرمنتية ودخلت في سيادة الروم ثم العرب . اهمها واحة في سهل تنغرت على ٣٠٠ ميل من طرابلس تعلو ١٢٠٠ قدم عن سطح البحر . يحيط بها سور مستدير طوله ثلاثة اميال . في الزاوية الجنوبية الغربية من هذه البقعة داخل سور بلد عدد سكانه ٧٠٠٠ نفس اخلاط من البربر والعرب والزنوج لا يزالون على عاداتهم ولغاتهم واخلاقهم لكنهم يستخدمون اللغة البربرية وسيلة التفاهم بينهم . وهي خصبة كثيرة الفاكهة ولاسيما التمر والتين والمشمش والخضر والحبوب ومركز تجاري هام للقوافل بين تونس وطرابلس والسودان . وسيادة الحكومة هناك اسمية بالاكثر

اقسام ولاية طرابلس الادارية

تقسم ولاية طرابلس رسميًّا الى خمسة الوية تحتها اقضية على هذه الصورة :

١ — لواء قول اوغلي باشي
غريان
اورفله
ترهونة
الزاوية
عجيلات
نالوت
فساطو
حوض

٢ — لواء خمس وبعضهم يسميها حمص
ظلتين
مسلاتة
مصراطة
سرت

٣ — لواء الجبل الغربي
غدامس

٤ — لواء فزان
غات
سوكنة او سكنة
شاطى

٥ — لواء بنغازي
مرج
درنة
طبرقة
اوجيلة

٢ — تاريخها

لهذه الولاية تاريخ طويل لما علمته من قدم عهدها في المدنية فنقسمه الى قديم ينتهي بالفتح الاسلامي وحديث لا يزال الى الآن

تاريخها القديم

يبدأ تاريخها القديم بأقدم ازمنة التاريخ ولا فائدة من تفصيله وانما يقال بالاجمال ان هذه البلاد تداولتها اهم الدول التي تسلطت حول البحر المتوسط . فاستعمرها الفينيقيون فالرومانيون — ومن آثارهم قوس نصر من رخام لا يزال قائماً قرب باب مرينا من مدينة طرابلس . ثم نزلها الفاندال فاليونان . ولا تنس ما تقدم عن برقة وما كان فيها من اسباب المدنية وما هنالك من الآثار في سرينيكا — واخيراً فتحها المسلمون سنة ٦٤٧ للميلاد — فتحوا اولاً برقة ثم طرابلس

قال البلاذري في فتح برقة « لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة وهي مدينة انطابلس (بنتابوليس) فصالح اهلها على الجزية وهي ١٣٠٠٠ دينار يبيعون فيها من ابنائهم ما احبوا بيعه . وكتب لهم بذلك

كتاباً . وكان اهل برقة يبعثون بخراجهم الى والي مصر من غير ان يأتيهم حاث او مستحث . فكانوا اخصب قوم في المغرب ولم تدخلها فتنة . وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لولا ما لي بالحجاز لنزلت برقة فما اعلم منزلاً اسلم ولا اعزل منه »

واما طرابلس فقد ذكروا في كيفية فتحها « ان عمرو بن العاص غزا طرابلس سنة ٢٣ ﻫ حتى نزل القبة التى على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرين لايقدر منهم على شيء . فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو بن العاص متصيداً مع سبعة نفر فجمعوا غربي المدينة واشتد عليهم الحر فأخذوا راجعين على ضفة البحر وكان البحر لاصقاً بالمدينة ولم يكن في ما بين المدينة والبحر سور . وكانت سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم . ففطن المدلجي واصحابه واذا البحر قد غاض من ناحية المدينة فدخلوا منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع الا سفنهم . واقبل عمرو بجيشه حتى دخل عليهم فلم تفلت الروم الا بما خف في مراكبهم . وغنم عمرو ما كان في المدينة وانما بنى سورها مما يلي البحر هرثمة بن أعين حين ولايته على القيروان . ومن طرابلس الى نفوسة مسيرة ثلاثة ايام »

تاريخها الحديث

فأصبحت برقة وطرابلس وما يليهما جنوباً في اواسط القرن السابع للميلاد بلاداً اسلامية ولا تزال كذلك الى الآن . وقد توالت في اثناء ذلك دول اسلامية عديدة كانت طرابلس ولاية من ولاياتها او تابعة لاحدى اماراتها من الخلفاء الراشدين فالامويين فالعباسيين . ثم في الدول التي حكمت في افريقيا مستقلة . فدخلت في سيادة الاغالبة في اواخر القرن الثاني للهجرة وقد شادوا فيها معاقل وقصوراً لايزال بعضها باقياً الى الآن . وفي سنة ١١٤٦م (٥٤١ ﻫ) غزاها روجر الثاني النورماني واستولى عليها . وبعد ١٣ سنة دخلت في حوزة بني عبد المؤمن الموحدين وظلت بضعة قرون تابعة لمملكة تونس وليس من اخبارها في ذلك العهد ما يستحق الذكر

وغزا الاسبان مدينة طرابلس بقيادة بيار دي نافار وسبوا اهلها جميعاً واخربوها. فاليهود منهم افتداهم اهلهم من يهود ايطاليا بالمال . واما المسلمون فأذن لهم شارلكان بالرجوع الى بلادهم وسمح لهم ان يرمموا مدينتهم بشرط ان لا يعيدوا بناء سورها

وفي سنة ١٥٣٠ م (٩٣٧ ﻫ) تنازل شارلكان عن طرابلس هدية الى جماعة القديس يوحنا المالطيين . ولكنهم لم يتمتعوا بتلك الهبة الا قليلاً . فجاءهم بربروسا

القائد البحري العثماني الشهير فأخرجهم منها وجعلها تابعة للعثمانيين فعاد شارلكان واعادها للمالطيين



بربروسا القائد العثماني

وفي سنة ١٥٥١ حمل عليها سنان باشا القائد الحربي العثماني وفتحها عنوة واصبحت من ذلك الحين ولاية عثمانية واصبح شأنها شأن سائر ولايات الدولة العثمانية . ولكن لها شأناً خاصاً بما اشتهر يومئذ من القرصانية (لصوص البحار)

القرصانية

كانت مياه افريقيا الشمالية في القرن السابع عشر مرسى لسفن القرصان . يقطعون السبيل على السفن الافرنجية التي تمر فيه ويصادرونها وينهبونها ويقتلون اهلها . فآل ذلك الى مداخلة الدول الاوربية في شؤونها ومطالبتها بما كان يأتيه قرصان طرابلس من الاذى لرعاياهم وكثيراً ما افضى ذلك الى نزاع واحتجاجات يطول شرحها

وكانت فرنسا وانكلترا يومئذ قابضتين على زمام التجارة في البحر المتوسط . فعقدتا معاهدات تجارية مع الباب العالي لحماية سفنها . على ان تلك المعاهدات لم تكن تنفذ فاضطر كرومويل صاحب انكلترا ان يجرد عمارة بحرية ١٦٥٦ لضرب طرابلس وفعلت انكلترا ذلك ايضاً بعد عشرين سنة

وكذلك فعلت فرنسا رغم ما كان بينها وبين سلطان العثمانيين من العلائق الودية في ذلك العهد. فانها حملت على طرابلس سنة ١٦٨٣ وحطمت كثيراً من سفن القرصان في ميناها. ولم ترجع حتى تعهدت لها الدولة بمبلغ ٥٠٠٠٠٠ فرنك. وعجزت تركيا أخيراً عن ابطال القرصانية. ثم خرجت طرابلس من حوزتها كرهاً وتولاها قائد مسلم اسمه «حامد القرماني» في اوائل القرن الثامن عشر وأورثها لابنائه كما فعل محمد علي باشا بمصر وما زالت في سلطانهم حتى استرجعتها تركيا سنة ١٨٣٥ وللاسرة القرماني هذه تاريخ طويل نلخصه في ما يلي:

سيادة الاسرة القرمانية على طرابلس

بلغت الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر غاية الضعف حتى طمع بها الاجانب واستخف بها ولاتها وأخذوا يسعون في الاستقلال من سلطانها — كذلك فعل علي باشا تبه دلنلي في البانيا ومحمد علي باشا بمصر وحامد القرماني في طرابلس الغرب. ولم يثبت الاستقلال لاحد منهم كما ثبت لمحمد علي باشا مؤسس الاسرة المحمدية العلوية وان تشابهت مطامعهم ووسائلهم

اما الاسرة القرمانية فمؤسسها حامد كان قائداً لجند الفرسان في طرابلس الغرب تحت امر الوالي العثماني محمد خليل باشا سنة ١٧١١ م فأساء الوالي الجند فكرهوه وذهبت هيبته من قلوب الناس فتمرد اهل غريان فكلف حامداً ان يذهب لاخضاعهم. وفي أثناء ذلك استدعي الوالي الى الاستانة فذهب اليها وهو يحسب ثورة غريان تشغل حامداً مدة طويلة. لكنه لم يكد يبرح طرابلس حتى دخلها حامد واخذ الجند بناصره واطاعهم اهل المدينة فولوه عليهم مع لقب «بيك طرابلس» اي امير طرابلس

على انه ما زال خائفاً من زملائه الضباط العظام لئلا يخونوه كما فعل هو مع اميره فعزم على التخلص منهم — نحو ما عزم عليه محمد علي بعد ذلك بمئة عام في اهلاك الامراء المماليك. اما القرماني فدعا زملاءه الضباط والقواد الى وليمة في قلعة طرابلس وهم ٣٠٠ نفس فجاؤا وقلوبهم مطمئنة. وكان قد أوصى خاصته ان يستقبلوهم واحداً واحداً ويقتلوهم ففعلوا ولم ينج منهم احد. ثم اخذ يفكر في استرضاء الباب العالي فجمع ما صار اليه من اموال اولئك المقتولين وبعثها هدية في سفينة الى السلطان احمد الثالث. فحازت قبولاً وصدر الفرمان بتوليته على طرابلس مع لقب باشا

فاخذ في تحصين مملكته فاعاد بناء الحصون التي كان شارلكان قد هدمها. وبنى جامعاً فخيماً واعلن نفسه حامياً للقرصانية. فاشتد أزر القرصان وعادوا الى تعدياتهم

فعادت دول أوربا الى الاحتجاج فارسلت فرنسا سنة ١٧٢٨ عمارة ضربت طرابلس وافتدت من أميرها هذا ثم عقدت معه معاهدة ظل مفعولها الى سنة ١٧٦٦

وتوفي حامد سنة ١٧٤٤ فخلفه ابنه محمد واشتهر هذا بحماية القرصان وتشجيعهم . وتوفي سنة ١٧٥٤ فخلفه اخوه علي وكان ضعيف الارادة فاتسعت دائرة اللصوصية في ايامه وتكاثر القتل والنهب في البر والبحر واصبح الناس في اشد حالات الضنك . وعجز هو عن التدبير فولى مكانه ابنه احمد فملّ الاعيان من تلك الحال واقروا على ارسال وفد يطلب من السلطان اخراج الحكومة من اسرة القرماني وارسال وال عثماني كالعادة

يوسف القرماني وعلي برغل

فأحسّ القرمانيون بالخطر الذي يهددهم فلاح ليوسف بن علي واخي احمد ان يسعى في تخليص تلك الدولة لنفسه . فاخذ في تقريب العامة من الوطنيين اليه واقنعهم ان رجوع الحكومة الى صاحب القسطنطينية تعود عليهم بالخراب والذل . وتمكن من اكتساب ثقة الشيخ خليفة بن عون زعيم قبيلة شديدة البطش تقيم في جبل طرابلس . فجعل الشيخ عدداً كبيراً من رجاله البرابرة والعرب تحت امر يوسف . فتمكن بذلك من محاربة ابيه واخوته وحاصر طرابلس وابوه فيها سنة ١٧٩٠ وآل ذلك طبعاً الى قتل الانفس وسلب الاموال . فبعث الطرابلسيون المحصورون بالمدينة وفداً سرياً الى الاستانة يلحون في طلب وال منها يحكمهم وينقذهم من ذلك النزاع

فبلغ ذلك الى القرمانيين فافضى الى تصالحهم . وكان يوسف قد قتل اخاه فاجتمع به ابوه علي وعفا عنه التماساً للاتحاد على الدولة . ولكن ذلك الوفاق جاء متأخراً ولم يمض وقت طويل حتى اتاهم وال عثماني اسمه علي باشا برغل . ولكنه كان اقبح حالاً من القرمانيين مجهول النسب مثل كثيرين من اهل المطامع في ذلك العصر عصر البطش والدسائس . وكان في بادىء امره وكيلاً لاحد امراء البحر في جزائر الغرب . فاكتسب من القرصانية مالاً كثيراً . ولما علم بالشقاق بين ابناء القرماني وعزم الطرابلسيين على طلب من يحكمهم من الاستانة سافر اليها . وكان له اخ نافذ الكلمة عند السلطان فتوسط له حتى ولاه امارة طرابلس وانفق في سبيل ذلك اموالاً طائلة . وتعهد للسلطان باعادة السكينة وسيادة الدولة الى تلك البلاد ولا يكلف الحكومة شيئاً . فولوه اياها مع لقب باشا

فاوصى على تسع سفن تجارية بناها من جيبه وحشد رجالاً للحرب استأجرهم

من المورة وزانتة وغيرهما من جزائر اليونان ومن الاتراك والاسبان . وفي سنة ١٧٩٢ (١٢٠٧ هـ) رسا اسطوله في مياه طرابلس وعليه ٢٥٠ تركيًّا و٥٠ يونانيًّا . لكنه خاف النزول الى البر واستحسن ان يبدا باحتلال قلعة بيت الريس ببعض جنده . ففعل فجاءه كبار الموظفين يستقبلونه فدفع اليهم الفرمان وفحواه عزل القرمانيين وتوليته مكانهم وجاء في آخره « ومن يخالف نص هذا الفرمان يعد عاصياً على جلالة السلطان » فخاف الموظفون غضب السلطان فسلموا المدينة الى الوالي الجديد فجمع القرماني اهله وخرج يطلب حماية صديقه حموده باي تونس ومعه وزيره مصطفى باشا

فلم يطمئن برغل باشا بذلك وخاف ان يتحد الموظفون والاهلون عليه . فرأى ان يرهب الناس بالقتل والحبس والسلب فضرب على اليهود ضريبة مقدارها ٢٤٠ ٠٠٠ فرنك وهددهم بالقتل ان لم يدفعوها فاضطروا الى بيع أملاكهم في سبيل ذلك . ولسوء حظه كان في جملتهم جماعة من اهل تونس ولكي ينتقموا لانفسهم عمدوا الى السعي في ارجاع بيت القرماني الى السلطة وكان لهم زعيم اسمه رحمين لتي يوسف الفرماني واخبره عن عزمهم واشترط عليه ان يصالح أخاه احمد ليتحدا ويتمكنا من الغرض المقصود . فاطاعه واجمع الاخوان وتصالحا وزحفا على طرابلس . فالتف حولهما الاهلون من كل جانب فخافهم برغل باشا وأقفل المدينة عليه . وطال حصارها حتى جاع اهلها وقاسوا عذاب النار . وشدد القرمانيون الحصار عليها حتى منعوا أهلها من اخراج موتاهم فصاروا يدفنونهم فيها . وأجبر الناس على الاشتغال في بناء الحصون كباراً وصغاراً حتى ابناء المدارس

وأخيراً نفدت المؤونة وقلت الذخيرة فارسل الباشا سفينة تسطو على شواطىء تونس لجلب الذخيرة . فعدت تونس ذلك تعدياً على حقوقها . والخلاصة ان هذه المتاعب انتهت بفرار برغل باشا ودخل القرمانيون طرابلس وتولاها احمد بك بدلاً من ابيه علي باشا

فعاد اخوه يوسف الى منازعته وقد تضعضعت الافكار وانقسم الاهلون وتفرقت الاحزاب وخاف احمد من اخيه ففرّ الى مسلاتة وذهب منها الى مالطة . ونودي باخيه يوسف أميراً على طرابلس ونال الفرمان بتثبيت امارته من السلطان . وطالت حكومة يوسف هذا على طرابلس واجمع الناس على انه اكثر سائر اسلافه القرمانيين عملاً ونشاطاً وان اعترفوا باستبداده وشدته لكنهم يغتفرون له ذلك بما كانت عليه الاحوال من الخلل والاضطراب والفوضى فتمكن بحزمه وشدته من اعادة النظام اليها فبالغ في

القصاص قتلاً وصلباً ووكل بتنفيذ احكام الاعدام الى اليهود وقد عرف لهم فضلهم على أسرته فاكرمهم وقدمهم

وعمل على ترميم القلاع وبناء القصور في طرابلس ونظم ضابطة وطنية . فانفق في ذلك أموالاً لم يجد وسيلة الى استرجاعها الاّ من القرصانية . فعمد الى تنشيطها وجمع اصحابها تحت جناح حمايته فاصبحت لصوصيةً منظمة لها مركز وفروع وصندوق وحسابات مما لم يكن لها من قبل — فعل ذلك في أواخر القرن الثامن عشر وأوربا في شاغل ببونابرت وحروبه . فاستفحل أمر القرصان وزعيمهم يوسف القرماني صاحب طرابلس . فانشأ لذلك أسطولاً كبيراً اشتهر من قواده وربانه جماعة كان اسمهم فزاعة في البحر المتوسط . منهم فرج وادانفسكي والمغربي والزريق والعجيم والروماني وأصبحت طرابلس مجتمع القرصان ومخزناً لمسلوباتهم وأسراهم . وللقرماني حصة الاسد من الغنيمة

وقد زار طرابلس في أثناء ذلك علي بك العباسي الرحالة فوصفها ووصف اميرها وهم يسمونه « سيدي يوسف » وتحته الخازندار والكخيا ورئيس الحرس . وذكر للباشا حرساً مؤلفاً من ٣٠٠ تركي ومئة مملوك كلهم من الفرسان . وانه يستعين عند الحاجة بعرب البادية وقد يحشد منهم عشرة آلاف فارس . وذكر أسطوله القرصاني بما فيه من المدافع وهذا نصه :

	عدد	عدد المدافع فيها
مدرعة	١	٢٨
»	١	١٦
سفن أخرى	٤	٣٨
غليون	٢	١٢
سفن صغيرة	٣	٩
(الجملة)	١١	١٠٣

وكان العمل جارياً في انشاء سفن أخرى . على ان هذا العدد من المدفعيات لايستخف به في تلك الايام

ظلت الدول مشغولة عن ذلك تكتفي بان تأخذ قناصلها من الامير جوازات لسفنهم الى سنة ١٧٩٦ فالتمست أسوج جوازاً لسفنها . فطلب القرماني منها ٨٠٠٠ فرنك كل سنة فاستكثرت الطلب واظهرت العدوان . فامر يوسف قرصانه فصادروا سبع سفن أسوجية واستولى على ما تحويه من البضائع والاموال . وبلغ ذلك الى اسوج

فلم تحرك ساكناً . على انه كان ميالاً الى مصادقة فرنسا فلما حمل بونابرت على مصر سنة ١٧٩٨ لم يعارض سفنه بل أعانه في بعض الاحوال . ولما يئس ملك أسوج من مقاومة يوسف وسّط بونابرت في امر السفن التي دخلت في حوزته فردها وقبض ٨٠٠٠٠ فرنك غير ٨٠٠٠٠ فرنك يستولى عليها كل عام

وغضبت انكلترا من مصادقته فرنسا وهي يومئذ عدوتها اللدودة فشكته الى السلطان فاجبره على معاداتها والقبض على من في طرابلس من الفرنساويين . ففعل لكنه اظهر ذلك مرضاة للباب العالي واضمر صداقة الفرنساويين . وفي سنة ١٨٠١ طلبت الولايات المتحدة منه جوازاً لسفنها فبالغ في الضريبة على ذلك فابت فامر ربان سفنه ان يصادر سفنها فقبض على كثير منها فحملت عليه بعمارتها سنة ١٨٠٢ وضربت طرابلس فاجابتها بطاريات القلاع فاغرقت دارعة وفرّت الدوارع الباقية تطلب عرض البحر . وأتت سفينة أميركية أخرى في السنة التالية اسمها فيلادلفيا الى مياه طرابلس وجنحت فاستولى الرئيس الزربق احد رجال القرماني على ما فيها

فعظم ذلك على الاميركان فاخذ اميرال اسطولهم يسعى في محاربة يوسف القرماني بالدسيسة . وكان قد علم بوجود اخيه احمد في مالطة فحمله على اسطوله الى درنة وانزله هناك فاستقبله اهلها بالترحاب . وانقسم اهل بنغازي الى حزبين احدهما مع يوسف والآخر مع احمد وثارت الخواطر وظهرت الفتنة في بلاد برقة كلها . فاضطر يوسف الى توسيط قنصل انكلترا وحسين باشا صاحب جزائر الغرب . فتوسط وانتهى الخصام بينه وبين الاميركان بمعاهدة . فانسحبوا وسحبوا معهم احمد وأرسلوه الى مصر

وبعد سقوط بونابرت انتبهت أوربا من دهشتها وحوّلت اذهانها الى البحر المتوسط . فتصدت انكلترا ليوسف القرماني وقام النزاع بينهما واضطر لموافقتها على ما فيه مصلحتها . وحاولت سائر الدول الحصول على جوازات من هذا القبيل ولم تفلح منها الا فرنسا وانكلترا والنمسا وبروسيا وتوسكانا وولايات البابا وسردينيا. على ان هذه العهود لم تكن تنفذ الا اذا شاء الامير ولذلك لم تبطل المنازعات بينه وبين الدول ولا سيما الصغرى

فلم تجد انكلترا بدًّا من الاجهاز على القرصانية في ذلك البحر وكانت قد تفرغت واشتد ساعدها فأخذت تطارد القرصان مطاردة متواصلة وساعدتها فرنسا وغيرها فانحط شأن القرصانية . فضعف أمر يوسف القرماني لقلة الوارد عليه من المال وقد تعود جنده السعة في الانفاق . فلم يجد سبيلاً لجمع المال الا بظلم الاهلين فأكثر من

الضرائب ووقع جانب كبير منها على اليهود . وضرب نقوداً ليس فيها من الفضة الا جزء صغير وتداولت هذه النقود وهبطت قيمتها حتى صارت الى جزء من ١١ ورفض الناس التعامل بها . وجرّ هذا كله الى نقمة اليهود على يوسف لانه حمّلهم ما لا يطاق من الضرائب . ولم ينج المسلمون ولا غيرهم من ذلك وسادت الفوضى . فاستقال يوسف وخلفه ابنه علي وتوسطت انكلترا فأشارت على الباب العالي ان يرسل جنداً يستولي على ولايته . وبعد تردد كثير ارسل عمارة عليها ٦٠٠٠ مقاتل بقيادة نجيب باشا

عود طرابلس الى الدولة العثمانية

نزل نجيب باشا طرابلس سنة ١٨٣٥ واخرج علي بك القرماني واهله منها . فعادت الى كنف الدولة وظل اهل داخلية البلاد في حال الفوضى لبعدهم في البوادي وهم قبائل يصعب اخضاعهم ولكنهم اخذوا يعودون اليها رويداً رويداً

وتوالى على طرابلس الغرب منذ رجوعها الى حيازة الدولة العثمانية حتى اعلن الدستور ٢٧ والياً اولهم نجيب باشا المتقدم ذكره وآخرهم رجب باشا كما ترى :

اسم الوالي	سنة ولايته	اسم الوالي	سنة ولايته
نجيب باشا	١٨٣٥	مصطفى عظم باشا	١٨٧٥
محمد رئيف باشا	١٨٣٥	مصطفى باشا	١٨٧٦
طاهر باشا	١٨٣٧	علي راملي بك	١٨٧٨
حسن باشا	١٨٣٧	محمد صبري باشا	١٨٧٨
علي عسكر باشا	١٨٣٩	محمد جلال الدين باشا	١٨٧٨
محمد امين باشا	١٨٤١	عزت باشا (ثالثة)	١٨٧٩
محمد رايوط باشا	١٨٤٥	محمد لطيف باشا	١٨٨٠
علي حاج احمد عزت باشا	١٨٤٨	احمد راسم باشا	١٨٨٢
مصطفى نوري باشا	١٨٥٢	نامق باشا	١٨٨٥
عثمان باشا	١٨٥٥	هاشم باشا	١٨٨٩
عزت باشا (ثانية)	١٨٥٧	حافظ باشا	١٩٠٠
محمد نديم باشا	١٨٦٠	احسان حسني باشا	١٩٠٣
علي رضا باشا	١٨٧٣	رجب باشا	١٩٠٤
سامح باشا	١٨٧٤		

وفي ايام رجب باشا تقاطر اليها الاحرار فراراً من عبد الحميد . وله مآثر مذكورة من انشاء المدارس والحدائق والشوارع والوسائل الصحية وغيرها . وفي ايامه اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ ولم تكد هذه الولاية تتنفس الصعداء على اثر خروجها من اثقال الاستبداد حتى طمع بها الايطاليان فجردوا عليها واحتلوها في الشهر الماضي ظلماً وعدواناً

والمخابرات السياسية جارية بشأن ذلك . واما الاسباب الظاهرة التي بنت ايطاليا تهجمها على املاك الدولة فيفهم من صورة الانذار الذي ارسلته للباب العالي وهذا نصه مع فحوى جواب الباب عليه :

انذار ايطاليا

« ما انفكت الحكومة الايطالية منذ سنين تذكر الباب العالي بضرورة وضع حد لسوء النظام واهمال الحكومة العثمانية في طرابلس وبنغازي وبوجوب امتاع هذه البلاد بما تمتع به سائر اقسام افريقيا الشمالية . وهذا التغيير (المشار اليه من حيث تأييد الامن وترقية البلاد) الذي يقتضيه التمدن يجعل المصالح الحيوية بحسب ما تستلزمه مصلحة ايطاليا في اول درجة بالنظر لقصر المسافة بين تلك البلاد وشواطىء ايطاليا

« وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الايطالية التي كانت دائماً موالية ومساعدة لتركيا في كثير من المسائل السياسية في العهد الاخير . وبالرغم من اعتدالها وصبرها حتى الآن كانت الحكومة السلطانية (العثمانية) تجهل رغائبها في طرابلس وفوق ذلك ان جميع مشروعات الطليان في تلك الاصقاع كانت تصادف دائماً مقاومة مضطردة لا تحتمل

« فالحكومة السلطانية (العثمانية) التي كانت حتى الآن تبدي عداء دائماً نحو الحركة الايطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي وما زالت كذلك حتى الساعة الحادية عشرة (يعني حتى الساعة) اقترحت على الحكومة الملكية (يعني الطليانية) ان تتفاهم معها . واعلنت انها ميالة ان تمنح اي امتياز اقتصادي يتفق مع المعاهدات النافذة ومع شرف تركيا الاعلى ومصالحها . ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الان انها في احوال موافقة للدخول في المفاوضة بهذا الموضوع — المفاوضة التي برهن الاختبار الماضي على عدم نفعها — وهي لا تشتمل على ضمانة للمستقبل ولا تكون الا سبباً للاحتكاك والنزاع

« ومن جهة أخرى فقد وردت الاخبار الى الحكومة الملكية من قنصليها في طرابلس وبنغازي تفيد ان الحالة هناك خطرة جداً بسبب التحريض العام ضد الرعايا الطليان التحريض الذي زاده الضباط وسائر موظفي الحكومة . فهذا التهيج خطر

شديد ليس على الطليان فقط بل على سائر الاجانب على اختلاف جنسياتهم . ولما اصبحوا قلقين على حياتهم شرعوا يهجرون البلاد بلا ابطاء . ووصول النقالات العسكريه العثمانية الى طرابلس زاد الحالة خطراً وحرجاً مع ان الحكومة الملكية نبهت الحكومة العثمانية الى نتائجه السيئة من قبل . ولهذا تضطر الحكومة الملكية ان تتخذ الاحتياطات اللازمة دفعاً للخطر الناجم منه

«ولما وجدت الحكومة الايطالية نفسها مضطرة الى الحرص على شرفها ومصالحها قررت ان تحتل طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً — هذا هو الحل الوحيد الذي تعول عليه ايطاليا والحكومية الملكية تنتظر ان الحكومة السلطانية تصدر اوامرها حتى لا تصادف ايطاليا في الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية وان لا تجد صعوبة في انفاذ ما تريد انفاذه وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة

« وقد صدرت الاوامر للسفير الايطالي في الاستانة ان يلتمس جواباً جازماً في هذه المسألة من الحكومة العثمانية في ٢٤ ساعة منذ تسلمه هذا البلاغ . فاذا لم تجاوب عليه كانت الحكومة الايطالية مضطرة ان تنفذ المشروعات المدبرة لضمانة الاحتلال . وترجو ان يبلغ جواب الباب العالي المنتظر في ٢٤ ساعه لنا عن يد السفير العثماني في روميه

الامضاء . سان جليانو »

جواب الباب العالي

« ان طرابلس الغرب ولاية عثمانية لا يتخلى عنها الباب العالي ولابحاله من الحالات والايطاليان المقيمون فيها لا خطر عليهم البتة ولا لزوم مطلقاً لارسال جنود ايطالية اليها فان حماية الايطاليان فيها هي من واجبات الحكومة العثمانية كما انه لاخوف على مصالح الايطاليان التجارية هنالك

« ولما كانت العلائق الدولية لاتزال متصلة بين الدولتين فالتجهيزات التي قامت بها ايطاليا بالبر والبحر تخالف عواطف الولاء وتضاد تلك العلائق بل هي تعاكس التأكيدات التي قامت بها حكومة ايطاليا مؤخراً بتصريحها بلسان وزير خارجيتها باعترافها بسلامة الاراضي العثمانية وبانها لاتنوي احتلال طرابلس الغرب

« وعلى كل فالباب العالي مستعد للدخول بالمخابرات بشأن مطالب ايطاليا واذا رفضت ذلك فلها متابعة مقاصدها واذ ذاك تقوم الحكومة العثمانية بما يفرض عليها »

وهذا الجواب سلم الى سفارة ايطاليا الساعة السادسة من صباح الجمعة في ٢٩ سبتمبر

السنوسيون

شيخهم وطريقته وقواتهم وزواياهم

كثر ذكر السنوسيين في عرض الكلام عن دفاع الطرابلسيين وتعويلهم عليهم في قهر الايطاليان . وقد كتب الينا غير واحد يسأل من هم السنوسيون حتى يتوقع الناس منهم هذه النصرة وجواباً على ذلك نقول :

السنوسيون حزب سياسي ديني ينسب الى زعيم اسمه محمد السنوسي يعدّ في جملة من ادعى المهدوية في الاسلام . ولذلك فهو يسمى ايضاً « محمد المهدي السنوسي » ويتصل نسبه بالحسن بن علي بن ابي طالب ويبدأ تأسيس طائفة السنوسية من عهد والده

السنوسي الوالد

واسم والده الاستاذ محمد بن علي السنوسي ولد سنة ١٢٠٤ ﻫ في بادية مستغانم من اعمال الجزائر ونشأ فيها ثم رحل في طلب العلم بمدينة فاس عاصمة مراكش . وانتظم في سلك الطريقة الدرقاوية وهي من الطرق الاسلامية الرائجة هناك . ثم رحل الى مكة واجتمع فيها بالاستاذ احمد بن ادريس الفاسي وهو مشهور بالاصلاح على الطريقة الصوفية . فتصوف على يده وبرع في الصوفية فأحبه استاذه وقدمه وجعله خليفته واذن له في اعطاء العهد وتلقين الذكر على اصطلاحهم . فبنى زاوية في جبل أبي قبيس بمكة

ثم رحل الى الاسكندرية وانشأ فيها زاوية فحرمه شيخ الاسلام ففرّ الى شمالي افريقيا . ونزل الجبل الاخضر قرب بنغازي من اعمال برقة سنة ١٢٥٥ ﻫ (راجع الخارطة في صدر هذا الهلال) و بنى هناك عدة زوايا وجعل يقضي نهاره في الصلاة والتلقين . ورزق في ذلك الجبل ولدين احدهما محمد المهدي الذي نحن في صدده ولد سنة ١٢٦١ﻫ والثاني محمد شريف سنة ١٢٦٣ﻫ ورجع في تلك السنة الى مكة واقام في زاويته في جبل ابي قبيس سبع سنين وهو يقرىء الحديث والفقه . وله طريقة حسنة في الاقراء فذاعت شهرته في الافاق وتقاطر الناس اليه يلتمسون علمه . ثم رحل استاذه احمد بن ادريس الى اليمن فصحبه اليها فتوفي احمد هناك فدفنوه وبنوا على مقامه قبة يتبرك احزابه بزيارتها وعاد السنوسي الى مكة

واتفق في اثناء ذلك ان عبد المطلب شريف مكة شقّ عصا الطاعة على الدولة العثمانية فاتُّهم السنوسي بنصرته سرًّا . وبلغه ان الحكومة تنوي القبض عليه ففر يطلب زاويته في الجبل الاخضر . فمرّ بمصر وعليها عباس باشا الاول فعرف قدره واكرم وفادتهُ وبنى له زاوية بضاحية القاهرة عند الشيخ القللي . فابى النزول هناك ونزل في قرية بالجيزة اسمها كرداسة وقد ذاعت شهرته في وادي النيل فتقاطر طلاب الكرامة الى زيارته والتبرك به والاستفادة من علمه . ولم يطل الاقامة بمصر خوفاً من حرم آخر فشخص الى الجبل الاخضر واستقرّ في قصر قديم من بقايا مملكة السيرينيكا اليونانية فرممه وسماه العزبات واقام به وهو يبث طريقته وتعاليمه

وتكاثر اشياعه في شمالي افريقيا وخصوصاً في الواحات بصحراء ليبيا . وآنس من الحكومة عيناً ساهرة وترصداً متواصلاً ففضل البعد عن المدينة والاقامة بين مريديه في الصحراء . فاشاروا عليه ان يقيم في واحة جغبوب على مسافة عشرة ايام من العزبات وثلاثة ايام من واحة سيوة . فرحل اليها سنة ١٢٧٣ ﻫ وبنى فيها زاوية للصلاة والتعليم وطفق ينشر طريقته بين اهل البادية من العرب والبربر لا يحاذر حكومة ولا جنداً الى ان توفي سنة ١٢٧٦ ﻫ ودفن هناك . وخلف آثاراً كتابية لها شأن عند اصحابه كلها ديني صوفي منها ايقاظ الوسنان في العمل بسنة القرآن والسلسبيل المعين في الطريق الاربعين والمنهل الرائق في الاسانيد والطرائق والشموس الشارقة في سماء مشائخ المغاربة والمشارقة

محمد المهدي السنوسي

فلما توفي السنوسي الوالد كان ابنه الاكبر محمد المهدي السنوسي في السادسة عشرة من عمره فخلف اباه في الطريقة وبايعه مريدوه فاخذ في نشر تعاليمه وطريقته واخوه محمد الشريف السنوسي معه . فتضاعف عدد الاتباع والمريدين على يده وانتشرت طريقته نحو الجنوب وامتدت في الصحراء الكبرى وما وراءها الى ودّاي وكانم وباجرمي ودارفور فضلاً عن انتشارها في طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش ومصر والحجاز . وتعددت زواياه في تلك الاصقاع حتى صارت تعد بالمئات

والزاوية بناء كالمسجد أو المدرسة يقيم فيها شيخ يدير شؤونها يسمونه خليفة يبايع الناس عن السنوسي . وفيها مدرسة للتعليم واهم علومها القرآن ومبادىء العلوم اللسانية . ولكل زاوية مزرعة أو عزبة في عهدة شيخها تسرح فيها الماشية ويتولى امرها تلامذته الذين انتظموا في تلك الطريقة على يده . وينفق على نفسه وعلى زاويته من

ريع تلك المزرعة ويرسل ما يفيض منها الى شيخه واستاذه السنوسي في جغبوب .
فاصبح هذا الرجل اشبه بملك عظيم الشان واسع الملك كثير الاتباع يجبى اليه الخراج
من اقصى الارض . على ان مقامه عند اتباعه ارفع شأناً من مقام الملوك والسلاطين .
واهل الواحات في اواسط الصحراء لا يعرفون سواه حاكماً عليهم . اذا استصرخهم
لبوه وافتدوه بالاموال والارواح . وانما يخضعون لحكامهم على يده . وهم يعتقدون انه
المهدي المنتظر ويحج اليه الناس من اطراف البلاد يتبركون به . وتحمل اليه القوافل
من الريش والعاج واحمال من السلاح والذخيرة

فلما قام محمد احمد المهدي السوداني كان على بينة من منزلة السنوسي وما له من الانصار
والاتباع . فرأى من حسن السياسة ان يكتسب حزبه فبعث اليه سنة ١٨٨٣ رسولاً
معه كتاب يدعوه فيه الى نصرته على ان يكون في جملة خلفائه . وهذا نص قوله بعد
مقدمة طويلة في اثبات مهدويته (نقلاً عن تاريخ السودان لنعوم بك شقير) :

« واعلم يا حبيبي قد كنا ومن معنا من الاعوان ننتظرك لاقامة الدين قبل حصول
المهدية للعبد الذليل وقد كاتبناك لما سمعنا باستقامتك ودعايتك الى الله على السنة
النبوية وتأهبك لاحياء الدين ونجمع معك ولم ترد لنا المكاتبة وأظن ذلك من عدم
وصولها اليكم حتى اني ذاكرت جميع من اجتمعت معه من اهل الدين والشيوخ
والامراء المشهورين فأبوا ذلك لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم
وقلة توحيدهم حتى بايعني الضعفاء على الفرار بالدين واقامته على ما يطلب رب العالمين
وقنعت نفوس من بايعناه من الحياة الدنيا لما يرون للدين من الممات . ولا زال المساكين
الذين لم يبالوا بالله بما فاتهم من المحبوب يزدادون وفيما عند الله يرغبون . حتى هجمت
المهدية الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير . فاخبرني سيد الوجود (صلعم) باني
المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء
الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام ... ولا زال التأييد يزداد من الله ورسوله
وانت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبي (صلعم) انك من الوزراء لي . ثم
ما زلنا ننتظرك حتى أعلمنا النبي الخضر عليه السلام باحوالكم وبما انتم عليه . ثم
حصلت حضرة عظيمة عن النبي (صلعم) فيما خلفه من اصحابه ومن اصحابي فاذ
أجلس احد اصحابي على كرسي ابي بكر الصديق وأحدهم على كرسي عمر وأوقف
كرسي عثمان فقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى ان يأتيكم بقرب أو طول وأجلس
احد اصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم ولا زالت روحانيتك تحضر معنا

في بعض الحضرات مع اصحابي الذين هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . . »
وختم كتابه بقوله :

« فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهاتك الى مصر ونواحيها ان لم يسلموا . واما ان تهاجر الينا ولكن الهجرة احب الينا كما علمت من فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت وعلى كل حال ترد الينا منك الافادة بما سيصير اليه عزمك من جهاد أو هجرة ومثلك تكفيه الاشارة » اه .

فلم يجبه السنوسي على كتابه بل قال للرسول شفاهاً « قل لمحمد احمد اننا كلانا لا نساوي التراب الذي كان يطأه عثمان بن عفان »

وأوعز الى ملك وداي ان لا ينصر ذلك المهدي السوداني

وكان في جملة مساعي السلطان عبد الحميد في اصطناع الاحزاب لمقاومة الاحرار ان يستقدم السنوسي اليه كما استقدم أبا الهدى الصيادي وغيره. فخاف السنوسي وأوغل في الصحراء حتى نزل بلاد الكفرة (راجع الخارطة في صدر هذا الهلال) وبنى في واحة كادو فيها زاوية . فجاءه الطلبة من تونس وطرابلس ومصر والشام وبادية العرب . ثم ارتحل منها الى قرو وراء واحة الكفرة وعاصمة وداي وانتشبت وهو هناك حرب بين اتباعه والفرنساويين

وتوفي السيد محمد المهدي السنوسي هذا في واحة قرو سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م) ودفن فيها ثم نقلت جثته الى بلاد الكفرة وخلفه ابن اخيه السيد احمد الشريف ونقل زاويته الى واحة الكفرة ولا يزال هناك الى هذه الغاية

الزوايا السنوسية

ولبيان عظمة السنوسيين وسعة سلطانهم نذكر اشهر الزوايا الواقعة في برقة بين بنغازي وحدود مصر وبعض زواياهم في الجنوب البعيد . وهذه اسماؤها مع اسماء شيوخها أو خلفائها والقبيلة التي ينتسب اليها كل واحد منهم :

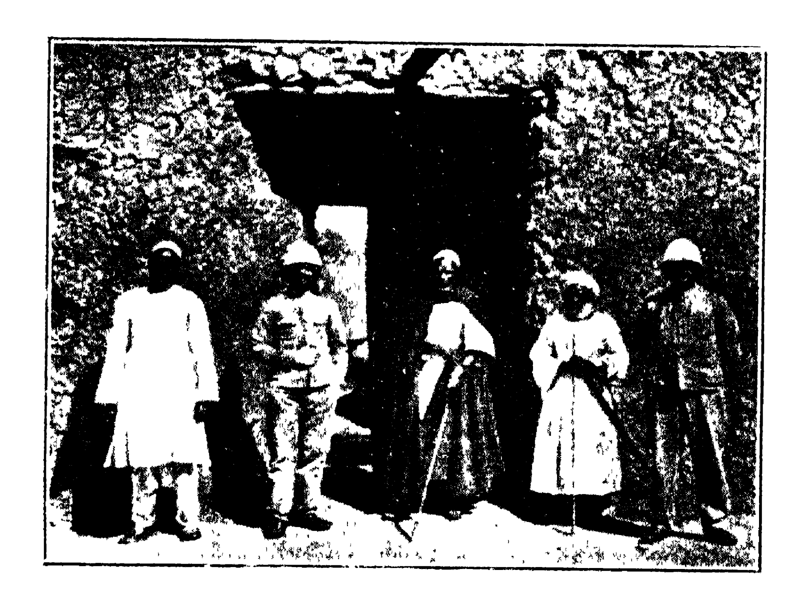
اسم الزاوية	اسم خليفتها	اسم قبيلته	اسم الزاوية	اسم خليفتها	اسم قبيلته
بنغازي	صالح العوامي		ام شيخنه	محمد ابن علي	فوارس
درفنه	محمد الغمري	غفيفة	توقره	عبد الله الفضيل	برغثة
سقة	علي الغمري	عبادلة	طولميثة	الامين الخليلي	عائلة الشلماني
الهويس	تواتي الخليلي	عائلة داغر	سدوت	ابو زيد	دورسة

اسم الزاوية	اسم خليفتها	اسم قبيلته
هانية	احمد العيساوي	دورسة
حمامة	السنوسي الغمري	«
سوسة	حاج مذكور	حسا
مرج	عمران الشكوري	عرفة
كسرين	محمد العربي	دورسة
كوسور	عمر المنفي	عبيد
بيت عمار	حبيب	عبيدات
ارغوب	جاد الله بن عمور	دورسة
مارا	احمد بن ادريس	عبيدات
بشرى	ابن عمور	عبيدات
تارت	محمد الغزالي	«
شاهات	محمد الدردفي	حسا
الفدفا	صالح بن اسماعيل	براسة
البيضاء	رفاعه العامي الغمري	«
غفنته	حميده بن عمور	«
درنة	محمد الخوجه	ابي منصور
مرتوبا	عبد الله فرقاس	بزيرات
دفنه	حصن الغرياني	عبيدات
المخيلي	الامين الغمري	«
الازيات	الحسين	«
امرجل	بوكعبه موسى	«
حجاج اغابا	صالح الجرري	قطعان
~~جغبوب~~	~~سيدي المدني~~	~~«~~
المتنان	محمد علي	«
امكابا	رفاعة	«

اسم الزاوية	اسم خليفتها	اسم قبيلته
نخيله	صالح الخوجه	حواطه
اغبا	موسى	أولاد علي
زميمة	عبد الله نخري	« «ستور
طورفافا	عبدالله بوعامر	عشيبات
الحوش	محمد المحسن	أولاد علي
تامون	مصطفى محجوب	عواجر
أم سوس	سنوسي	«
كتفية	عبد الله نعاس	اعاربه
سرت	محمد بن الشفيع	«
أوحيله	صالح بوشوشة	—
جالو	عبد الله طواني	
بنسر	محمد علي	—
جفارة	عبدالكريم بن احمد	زاوية
الكفرة	احمد الشريف المهدي	« مغبرا
أوجيقا الغربية	عبد ربه	عبيد
« الشرقية	عبد الرزاق	«
فارو	محمد سقفة	«
عوان	عبد الحفيظ	«
عراصة	القادر محمد وعبيد	«
القلعة	البراني	«
كافي ورسي	صالح	«
حرسي	الاشعث	«
المساليط	محمد المنفي	«
وداي	محمد الفضيل	«
~~كانم~~	~~اخذها الفرنساوية~~	

وبعض هؤلاء الشيوخ كالملوك في بلادهم يحاربون الدول ولا يبالون . وممن يلقب بالسنوسي سلطان داركوت واسمه السلطان السنوسي حاربه الفرنساويون في أوائل هذا العام في وداي وقاسوا في حربه شدة حتى تمكنوا من قتله وترى رسمه في وسط هذه الصورة والى جانبه الايمن اليوزباشي مودات الضابط الفرنساوي وبعده ادوم ابن السلطان المذكور . والى يساره السلطان احد رؤساء القبائل وبعده الملازم مرشان من الضباط الفرنساويين

ففوات السنوسي لا يمكن تقديرها لكنها عظيمة جدًّا والله اعلم



السلطان السنوسي وابنه ادوم واحد رؤساء القبائل وضابطان فرنساويان

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال

العدد ٣ من سنة ١٥ و١ و٢ و٦ و٩ من سنة ١٦ و١ و٨ و٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و٣ من سنة ١٨ و١ و٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

الحرب

هل تبطل من الارض

مهما بلغ شأن هذه المدنية من الارتقاء بكثرة الاختراعات والاكتشافات . وان تربع اصحابها على الرياش الوثير وركبوا البخار واستضاؤا بالكهربائية والجوا الهواء . ومهما انشأوا من الصحف وشكلوا من الجمعيات والاندية أوالفوا الاحزاب ونادوا بالحرية والاستقلال — لا يهمك دفاعهم عن الفرد وسعيهم في تحرير الرقيق فانهم مهما يكن من امرهم لا يزالون بعيدين عن المدنية الصحيحة طالما كان فيهم الميل الى الحرب لانها من بقايا الهمجية تمثل لك الانسان في افظع احواله الوحشية

اصل الحرب

كان الانسان في اقدم ادواره يقتات بالاثمار يقتطفها من اشجار انبتتها الطبيعة لا يغرس ولايحرث. واذا نفد الثمر عمد الى طير صغير او حيوان ضعيف التقطه وقتله واكله نيئاً قبل اختراع الطبخ . ولا يزال يقتات بما يجده من ذلك في البقعة التي احتلها باهله حتى تخلو من الثمر والحيوان فينتقل الى سواها . وهو يفضل المقام بجوار الينابيع او على ضفاف الانهار لانه يجد اكثر حاجاته فيها . وقد يكون هناك جماعة سبقوه الى الماء فينازعهم عليه فيفوز القوي ويملك الماء -- ذلك هو اول اسباب الخصام بين القبائل

ثم اهتدى الى الاختزان مما في يده خوفاً من الجوع في غده . واضطر بتوالي الاعوام الى الزرع وتربية الماشية واقتناء الطيور الداجنة. وبعد ان داهمه الجوع مراراً اصبح يخاف القحط قبل وقوعه باعوام فعمد الى التوسع في الارضين الخصبة . فجره ذلك الى التنازع مع معاصريه من بني الانسان واصبح كل كبير منهم يستكثر من أهل عصبيته ليتقوى بهم على سلب جاره ما بيده من اسباب الحياة — وهذا هو الغزو بابسط أحواله

فتألفت بذلك العصبيات وأنتشبت الحروب وأهم أسبابها طمع الانسان بما يملكه غيره مما يحتاج هو اليه من وسائل العيش . وقد الف كلُّ كبير جنداً من أهل عصبيته هوزعيمهم وقائدهم يأتمرون بامره . فلذَّت له الرئاسة وأحب الاستئثار فزاد ميله

الى الغزو والاستكثار من القوة رغبة في السيادة وهي من ملاذه الفطرية . فاصبحت الحرب يراد بها السيادة فضلاً عن اختزان الاقوات . ثم صارت الى مجرد حب السيادة والتوسع في الفتح طمعاً بما للاخرين ليقال ان فلاناً أقوى من فلان وان مملكته أوسع من مملكة سواه . والسيادة يومئذ للغالبين المستبدين لا دستور ولا نواب وانما يسود القاهر

تعظيم امر الحرب

فاصبح رجال السلطة من مصلحتهم تحبيب القتال الى رجالهم لئلاّ يضعفوا عن حماية دولتهم . فاخذوا يحسنون الحرب و يعظمون امرها حتى نصبوا لها التماثيل في التمدن القديم . منها اله الحرب (مارس) عند الرومان كان له شأن عظيم لا يفضله في المنزلة بين الالهة عندهم الا جو بيتير . وكانوا يعدونه اله الارض والزراعة والماشية . ولعل الاصل في هذه المناقب انهم كانوا يحصلون بالحرب على تلك الاسباب الحيوية

أما العرب فانهم عظموا أمر الحرب تعظيما كثيراً وجعلوها موضوع مفاخراتهم وحماستهم . وانتحلوا لذلك حججاً ترجع الى حب الذات والرغبة في الاستئثار باموال الاخرين بالغزو والسطو. وان ظهرت عندهم باسماء أخرى كالجوار والوفاء والعصبية والثار وغير ذلك . فاصبح الرجل منهم يفتخر باثارة الحروب وقتل النفوس كقول عنترة :

خلقت للحرب احميها اذا بردت — واصطلي بلظاها حيث اخترقْ
لو سابقتني المنايا وهي طالبة — قبض النفوس اتاني قبلها السبقُ

وهو يفتخر بكثرة ما يسفكه من الدماء حتى تتلطخ قوائم جواده بها كقوله :

و رميت مهري في العجاج فخاضه — والنار تقدح من شفار الانصلِ
خاض العجاج محجلا حتى غدا — شهد الوقيعة عاد غير محجلِ

و يجعلون ذلك في سبيل دفع الذل بنصرة القبيلة أو نحو ذلك كقول مرة بن ذهل :

واني حين تشتجر العوالي — اعيد الرمح في أثر الجراح
وأجمل من حياة الذل موت — و بعض العار لا يمحوه ماح

وجعلوا القتل سبباً من أسباب المجد والشرف قال المتنبي :

ولا تحسبنّ المجد زقاً وقينةً — فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى — لك الهبوات السود والعسكر المجر

وقوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

وأصبح حب السلامة من الرذائل المرغوب عنها على حد قول الشاعر :

حب السلامة يثني همَّ صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسلِ

ولا غرابة في ذلك ونحن في هذا العصر نرى الناس يتفاخرون بحضور المعارك وينقلون على صدورهم علامات تخلعها عليهم دولهم تشهد بكثرة ما حضروه من الوقائع الحربية

فأصبح الشعراء اذا مدحوا اميراً جعلوا من اهم مناقبه السفك والقتل والركوب في الغارات والغزوات وهو كثير في اشعارهم كقول ابن هانيء في جعفر بن علي يصف قومه :

قوم يبيت على الحشايا غيرهم ومبيتهم فوق الجياد الضمر

وتظلُّ تسبح في الدماء قبابهم فكأنهنَّ سفائنٌ في أبحرِ

أنظر كيف انهم يحسنون القتل ويفاخرون بكثرة القتلى. فهل يفعلون ذلك خوفاً من الجوع ؟ انما يفعلونه رغبة في الفخر وحبًّا بالسيادة . يقتل الانسان اخاه في الانسانية ليس لانه يخاف ان يسلبه طعامه كما تفعل الحيوانات المفترسة ونحوها اذ تتقاتل على فريسة ينالها القوي منها — بل هو يفعل ما هو افظع من ذلك — ان الناس يتقاتلون ويسفكون الدماء ليقال انهم قتلة ويسوغ لهم ان يكونوا روءساء تطأطىء لهم الهام خوفاً لا حبًّا . والاَّ فان الارض رحبة والارزاق متسعة والحياة اقصر من ان تقضى في النزاع على شهرة كاذبة ينالها الانسان بالقتل والسفك . ولله در المتنبي اذ قال بعد ان طعن في الزمان وأهله :

كلما انبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

ومراد النفوس اصغر من ان تتعادى فيه وان تتفانى

وهي حقيقة لا ريب فيها . لكن المتنبي عطف وعاد الى نغمة سائر الشعراء في الضرب على وتر الفخر والحماسة فقال :

غير ان الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تكون جبانا

اقوال العظماء في الحرب

ويتبادر الى الاذهان ان الحروب من شأن العصور الاستبدادية لرغبة الملوك في السيادة فيسوقون الناس الى الحروب فيقتل الالوف والوف الالوف من الابرياء وفيهم النساء والاطفال ليقال ان القائد الفلاني فتح البلد الفلاني عنوة وغلب الامة الفلانية . وهو عمل لا يمكن تفسيره بغير الجنون الحربي أي ان الناس يصابون بجنون في طلب الفخر كما يصابون بجنون في طلب المال أو في التدين أو الكفر أو غير ذلك — قال احد الفلاسفة « الحرب داء الامراء »

وما من فيلسوف ولا عالم لم يطعن في الحرب وعواقبها ويعنف أصحابها — حتى القواد واعظمهم بونابرت فقد قال في الحرب « انها عمل بربريّ وحشي » وقال « ان القوى الادبية تنحط في الحرب حتى تصير نسبتها الى البدنية كنسبة ٣ الى ٤ » وقال ولنتن « لو شهدتَ يوماً من ايام الحرب لتوسلتَ الى الله ان لا يريك يوماً ثانياً منها » وقال ايضاً « ليس أفظع من الانكسار في المعركة الا الانتصار فيها » وقال مونتسكيو « ان خراب اوربا انما يكون على ايدي قوادها في الحروب » . وقال نابيه « ان الانتصار في الحرب يخفي سيئاتها كما تعطي الحسنات السيئات » وقال لويس نابوليون « ما الحرب الا اعمال بربرية منظمة وهي من بقايا الهمجية مهما اختلفت مظاهرها واشكالها »

هل تبطل الحرب

ويذهب بعض الفلاسفة المعاصرين ان الانسان سيصل الى عصر تبطل فيه الحروب ويتآخى الناس فيعيشون برغد وهناء ووفاق . وحجة اصحاب هذا القول ان الارتقاء والتهذيب مستمران . وبتوالي الاعصر يقتلع من اذهان الناس النزاع والخصام فتبطل الحرب . ولكنه قول مبني على النظر والخيال — ان الانسان لن يصل الى ما ذكروه ولو توالت الادهار على تمدينه وتهذيبه . ان التمدن لا يبطل الحرب وانما ينقلها من صورة الى صورة . كانت ادواتها الفاس والحربة والرمح فصارت البنادق والمدافع والالغام وهي أشد فتكاً واسرع تدميراً . لا ننكر ما للنظامات السياسية من الوسائل المساعدة على تخفيف الحروب بتوسط الدول الاخرى . ولكن هذه لا تتوسط ان لم يكن في توسطها نفع لها — وهو الطمع الذي قدمنا انه اقدم اسباب الحرب

ان سبب الحرب الرئيسي التنازع على السيادة كما رأيت . وهو فطرة غريزية في الانسان مبنية على حب الذات . وليس حب الذات خاصًّا بطبقة من طبقات الامم وانما هو غريزة من غرائز الانسان كالجاذبية الاجرام . بل هي في الامم المتمدنة أقوى منها في سواهم لان العلم يوسع دائرة العقل ويكثر مطالب الانسان فتكثر حاجاته ويضطر للتنازع . على ان الامم البدوية الباقية على الفطرة مع ما يظهر من اغراقها في الغزو والنهب فان في اخلاقها البدوية ما يخفف وطأة تلك المطامع — نعني الاريحية والنجدة التي يعبر عنها الافرنج بقولهم شفاليري . فكثيراً ما كانت هذه النجدة سبباً في الكف عن الحرب وحجب الدماء كما تكون سبباً لسفكها

اما المتمدنون من أهل الحضارة فالحرب عندهم مبنية على المطامع الشخصية فقط ولا معرفة لهم بالاريحية او النجدة . ولذلك قالوا ان السياسة لا قلب لها . فكل امة او دولة تنظر الى جيرانها او معاصريها بعين الحسد ولو استطاعت أن تخضعهم جميعاً لسلطانها لفعلت . فهي تتربص حتى تسنح لها فرصة تثب بها على بلد لتوسيع دائرة سلطانها . وهي طبعاً لا تقدم على حرب الا بحجة وما اكثر الحجج وا كثرها كاذب . وانما الحجة الحقيقية طمعها بذلك البلد - فاذا طمعت دولة في دولة ورأت في نفسها القدرة على التغلب انتحلت سبباً للحرب مهما يكن طفيفاً فانها تعظمه وتبالغ فيه وتحشد رجالها للقتال — تدعوهم الى ذلك باسم الدين أو الوطن او اللغة أو غير ذلك من الجامعات التي تعتقد انها تثير عواطف رجالها . ويختلف ذلك باختلاف الامم . لكنها في كل حال تختار من الجامعات ما يوافقها . فان ارادت الاعتداء على أمة من مذهب ديني غير مذهبها دعتهم الى حربها باسم الدين . وزعمت انها انما قامت لنصرة لدين وان كانت من مذهبها وتختلف عنها باللغة أو بالوطنية دعتهم باسم الوطن وادعت انها تحارب في سبيل الوطن . وهي بالحقيقة انما تحارب في سبيل المصلحة الخاصة والمطامع الذاتية . والمعتدى عليهم يجرون على نفس الخطة في الدفاع يستنصرون جيرانهم او انصارهم بالجامعة التي توافق حالهم

ومن غرائب الحروب الدينية ان اصحابها يلصقون بالدين ما ليس منه في شيء . وما من دين الا وهو ينهى عن قتل النفس الا في سبيل القصاص اوالدفاع . ومع ذلك فان

الجنود المتحاربة لا تتقدم الى ساحة الوغى قبل ان تصلي كل طائفة منها الى ربها وتطلب اليه ان يعينها على الفتك بالطائفة الأخرى . ولا يكون ذلك الا بكثرة القتل – فكأنهم يكلفون الله ان يساعدهم على قتل الانفس !

خسائر الحرب ونفقاتها

ذلك هو حال الناس من قديم الزمان الى الان وان اختلفت الصور احياناً – ان الانسان يجيز لنفسه التعدي على جاره اذا آنس فيه ضعفاً عن مقاومته فيسلبهُ ارضه أو استقلاله بحجة يعرف الناس كافة انها كاذبة ولكنهم يسكتون عنها مع علمهم بما ينجم عن ذلك من الاضرار الفاحشة — ولا يخفى ذلك على المحاربين وفيهم جماعة من كبار الرجال اهل العقول الراجحة. فهؤلاء لا يجهلون ما ينجم عن الحرب من الاضرار ولكنهم يفضلونها طمعاً بالكسب ويوجهون ذلك العقل الراجح الى استنباط الوسائل للتغلب وانتحال الاسباب المساعدة على القتل

ان خسائر الحروب لا يمكن تقديرها . وهي لا تقتصر على خسارة الانفس والاموال فان هناك خسائر ادبية واجتماعية لا تقل عن تلك — أما خسائر الانفس فانها ظاهرة لا تحتاج الى دليل — يا لله من يوم تدور فيه رحى الحرب وتتراكم الجثث على الصعيد . . ويل للانسان من الانسان في ذلك اليوم الفظيع . قد احصى بعضهم اشهر الوقائع الحربية الكبرى في العالم من اقدم ازمنة التاريخ الى الان فبلغت نحو ١٦٠٠ واقعة كبيرة . وقدر آخرون عدد من قتل في ساحة الحرب الى اواسط القرن الماضي فبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٦٠ ٦ نفس اي نحو اربعة اضعاف سكان الكرة الارضية !

اما الاموال التي أنفقت في سبيل الحرب فيتعذر تقديرها وانما نأتي بامثلة من هذا القبيل : قدر بعضهم الاموال التي أنفقت في الحروب من حرب القرم في اواسط القرن الماضي الى آخره فبلغت ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٥٣ ٢ جنيه . وقدروا نفقات حرب اليابان الاخيرة مع الروس بما لا يقل عن ٠٠٠ ٠٠٠ ١٦٠ جنيه . ومن أمثلة الخسائر الحربية ان الاميركان أنفقوا في سبيل حربهم الاهلية الشهيرة من سنة ١٨٦٣ — ١٨٦٥ نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٧٤٠ جنيه و٠٠٠ ٦٥٦ نفس . وحرب القرم المتقدم ذكرها التي اشترك في بلائها اعظم دول الارض خسرت انكلترا فيها ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٩ جنيه . وخسرت فرنسا

٠٠٠ ٠٠٠ ٩٣ جنيه وروسيا ٠٠٠ ٠٠٠ ١٤٢ جنيه . وكان عدد الجند الانكليزي في تلك الحرب ٠٠٠ ٩٧ لم يرجع منهم الى انكلترا الا ٠٠٠ ٧٠ واما فرانسا فكان جيشها هناك ٤٠٠ ٣٠٩ هلك منهم ٠٠٠ ٩٥ رجل . أما روسيا فانها ارسلت لمقاومة الجنود المتحالفة ٠٠٠ ٨٨٨ مقاتل لم ينج منهم الا النصف

ويؤخذ من الاحصاآت المالية الانكليزية ان انكلترا انفقت على حروبها في القرون الثلاثة الاخيرة ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٥٩ ١ جنيه منها ٠٠٠ ٠٠٠ ١٨٢ أنفقت في حربها مع جرمانيا واسبانيا سنة ١٧٠٢ و ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٣١ جنيه انفقت في حربها الفرنساوية التي انتهت في ووترلو . مع ان الحروب النابوليونية كلها لم تكلف فرانسا اكثر من ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥٥ جنيه وقد حاربت كل اوربا

واما حرب فرانسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ التي رنَّ صداها في الخافقين فقد ارسلت المانيا فيها ٠٠٠ ٠٠٣ ١ رجل الى ساحة الوغى وارسل الفرنساويون ٠٠٠ ٧١٠ فقط فقتل من الفرنساويين ٨٧٠ ١٣٨ ومن الالمان ٠٠٠ ٤٤ وانفقت فرنسا من المال في هذه الحرب ٠٠٠ ٠٠٠ ٣١٦ جنيه . وقس على هذه الخسائر ما لا يتصوره العقل لعظمه — يكفيك منه ما تنفقه الدول كل سنة في سبيل التجنيد على وزارة العسكرية فانها من قبيل النفقات الحربية

الحرب مرض

فهذا كله لا يجهله الملوك ورجال السياسة او القواد ولكنهم لا يرون بدًّا من الحرب لاسباب كل من الجانبين يعدها قهرية . والحقيقة انها فطرة الانسان الضعيفة يجرها الطمع وحب السيادة الى سفك الدماء . ولكن كيف ترضى الامة بالحرب وتبعث ابناءها يقتلون في ساحة الوغى ؟

يرى الدكتور ماتينيون الفرنساوي ان الامة تصاب احياناً بمرض الحرب كما تصاب بالامراض الوافدة كالحميات ونحوها . ومعنى ذلك ان يتفشى في افرادها مرض يهون عليهم اقتحام الاخطار أو يصيب اعصابهم ما يهيج الغضب فيهم لاقل سبب . وشاهده على ذلك ان البوكسرس قبل ثورتهم الاخيرة في الصين تفشت فيهم بعض العلل الهستيرية فانتبه الدكتور المذكور للامر وتفحص حال اهل باكين فوجد الامراض

العصبية عامة فيهم وهو يعتقد ان سبب حرب الصين الاخيرة امراض عصبية (هستيرية) في زعماء البوكسرس

والخلاصة ان الحرب من جملة وسائل تنازع البقاء وهو اهم نواميس النشوء والارتقاء . فلا يرجى زوالها وانما هي تتغير وتتنوع باختلاف الاعصر وضروب المدنية . ويؤيد ذلك انها لازمة لتوازن اسباب الوجود . فقد علمت ان عدد الذين قتلوا بالحروب يكاد يزيد على اربعة اضعاف سكان الارض الآن . واعتبر تزايدهم بالتناسل المتواصل في خلال الادهار — فهل كانت الارض تكفي لسكناهم وهل يكفي نباتها لغذائهم ؟

فتوح العرب المسلمين

في بلاد ايطاليا

من سنة ٨٣٢ — ١٠٩١ م

تمهيد

ما زال العرب في صدر الاسلام يسعون في اكتساح أوربا كما اكتسحوا الشرق فحاولوا دخولها من الغرب بطريق الاندلس فاخترقوا فرنسا الى تورس فلقيهم شارل مارتل سنة ٧٣٢ م (١١٤ هـ) ولم يكن يستطيع ذلك سواه من ملوك ذلك العصر. فلو غلب شارل لأوغل العرب في أوربا وأقاموا فيها المساجد كما فعلوا في سوريا ومصر وغيرهما . ويكون قد تم انقلاب العالم على ايديهم . ثم حاولوا دخولها من الشرق بطريق الاستانة فامتنعت عليهم حتى فتحها الاتراك في القرن الخامس عشر. وأوغلوا في القسم الشرقي من أوربا فوصلوا فينا ووقفوا عند اسوارها ثم عادوا واقتنعوا بجزيرة البلقان

وحاول العرب ايضاً دخول اوربا من الجنوب بطريق ايطاليا ففتحوا صقلية وكثيراً من مدن ايطاليا حتى حاصروا رومية مقر الحبر الاعظم وكادوا يفتحونها . ولو فتحوها لحولوا كنيستها العظمى الى مسجد كما فعلوا بالجامع الاموي بالشام وايا صوفيا في الاستانة لكنهم رجعوا عنها لاسباب سيأتي بيانها

صقلية

اصلها

بدأوا بفتح صقلية (سيسيليا) لانها أقرب مدائن ايطاليا اليهم. وهي قديمة التمدن عاصرت الفينيقيين والقرطجنيين واليونانيين والرومانيين. ونظراً لتوسطها في البحر الابيض كانت محطاً لرحال الامم على اختلاف اجناسها ونزعاتها. فكانت ترسو فيها المراكب القادمة من صور وقرطاجة وطرسوس وبيزنطية وغيرها. فاصبح اهلها اخلاطاً من امم شتى وقد حملوا اليها زبدة علومهم وآدابهم. فاجتمعت فيها آداب المشارقة وعلوم اليونان ونشاط الفينيقيين وهمة الرومان. وفي تاريخها القديم ذكر جماعة من اعظم رجال التاريخ القديم مثل حسدروبال وهملقار وبرّوس ومارسلوس وارخميدس وديونسيسيوس وغيرهم. وصارت مركزاً لفلسفة اليونان ومقصداً لرجال العمل والنشاط. وكانت رومية تعول عليها بكثير من وسائل الحياة

ثم اصابها ما اصاب غيرها من الانحطاط — سنّة الله في خلقه. واركن اهلها الى الرخاء وفسدت اخلاقهم وتقاعدوا عن الزراعة والتجارة وضعفت هممهم. واقتصر نفعها على رومية تمدها بالرجال والاموال وتدافع عن كرسيها. وقد وضع البابا غريغوريوس العظم الحجر الاول من سلطة البابوات الزمنية فيها وصارت اكثر اراضيها ملكاً لاعيان ايطاليا واهلها يستهلكون في حماية الكرسي البابوي والقيام بامره

وكانت لما قام العرب لفتحها في صدر الاسلام تابعة للمملكة الرومانية الشرقية. وكانت ايطاليا قد سطا عليها اللمبارديون فامتلكوا اكثرها الا امارة رافنا. وقد انقسمت مملكتهم الى مقاطعات صغيرة قام التنازع بين اصحابها لا يتفقون الا على كره الكرسي البابوي والخوف منه. وكثيراً ما اضطر اللمبارديون الى استنجاد العرب في القيام بعضهم على بعض. وقد انجدوهم حتى اكتسحوا ضواحي رومية مرتين فتنبهوا بذلك الى عظمة تلك البلاد وخصبها وطمعوا فيها

على ان العرب ما برحوا منذ فتحوا افريقية وهم يفكرون في فتح صقلية لقربها منهم. وقد هموا بذلك سنة ٦٦٩ م في امارة معاوية على الشام فغزوا سراقوسة وفيها ذخائر الكنيسة الرومانية قد خبأها الايطاليان هناك خوفاً عليها من قبائل الجرمان الذين كانوا يهددونهم من الشمال. ولم يخطر لهم انها ستكون غنيمة لقبائل العرب القادمين من الجنوب

ولما عمد موسى بن نصير الى فتح اسبانيا في اواخر القرن الاول للهجرة انفذ ابنه عبد الله بجند الى جزائر البحر المتوسط . فغزا مايرقة ومنورقة وسردينية وصقلية وعاد بالغنائم . وغزاها غيره ايضاً لكنهم لم يفتحوها الا بعد حين . وكان بين اميرها الرومي وصاحب افريقية العربي علاقات ودية يتبادلان السفراء ويتكاتبان . وكانت افريقية (تونس والجزائر وطرابلس) في امارة آل الاغلب سلالة ابراهيم بن الاغلب الذي استقل بافريقية تحت رعاية هرون الرشيد العباسي سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) وعاصمتها القيروان . وخلفه ابنه عبد الله سنة ١٩٦ هـ (٨١١ م) ثم زيادة الله الاول سنة ٢٠١ هـ (٨١٦ م) وفي ايامه فتح العرب صقلية

سبب الفتح

وسبب فتحها يشبه السبب في فتح اسبانيا — ذكروا ان قائداً من حامية الروم في صقلية اسمه يوفميوس احب راهبة في بعض الاديار وأخذها من الدير قهراً وتزوجها . فشكوه الى صاحب القسطنطينية فامر بجدع انفه فعظم ذلك عليه وعزم على التخلص منه بثورة يهيجها في صقلية على الحكومة . فاخفق سعيه فحمله الغيظ على استنجاد العرب فبعث الى زيادة الله وحرضه على فتح صقلية . كما حرض يوليان صاحب سبتة موسى بن نصير على فتح اسبانيا . فتردد زيادة الله في اجابة طلبه لما بينه وبين صاحب صقلية من العهود وهو لا يريد نكثها . فاستشار اصحابه فحرضوه على الفتح وانتحلوا مسوغاً لنكث المعاهدة ان الروم كانوا قد نكثوها قبلاً لانهم لم يقوموا بما عليهم من اطلاق اسرى المسلمين عندهم — وليس على السياسيين اسهل من الفتوى بالحرب متى رأوها رابحة . فاقر زيادة الله على اجابة طلب يوفميوس وجرد حملة عهد بقيادتها الى اسد بن الفرات قاضي تونس . وانخرط في جنديتها قبائل البربر والعرب وركبوا البحر في عمارة مؤلفة من مئة مركب اقلعت من مرسى سوسة في ١٣ يونيو سنة ٨٢٧م (٢١٣ هـ)

حصار سراقوسة وغيرها

فوصلت بعد ثلاثة ايام الى « مازارا » على شاطيء صقلية فسلم اهلها حالاً لانهم من حزب يوفميوس . فاحتلها العرب وغنموا منها غنائم كثيرة حملوها الى افريقية . واقاموا حامية في مازارا وحملوا على سراقوسة اهم مدائن صقلية وكانت حصينة واسعة الارجاء محيطها احد عشر ميلاً ونصف ميل . اشتهرت بمرفأها المنيع لانه حصن طبيعي مستدير الشكل يندر مثاله ليس له الا مدخل تمرّ فيه السفن الى مرفأ كالحوض الكبير - وله الحصون والمعاقل والابراج بحيث يصعب فتحها الا بعد الخسائر الفادحة . وناهيك

بما كان فيها من الابنية الرومانية واليونانية كالاقواس الفخيمة والمراسح الواسعة والقصور الباذخة لاشراف الرومان والحدائق الغناء وسائر أسباب الترف

وكانت أسوارها عالية ومتينة وفي مرفأها عمارة انفذتها حكومة القسطنطينيـة ولم يكن يعوزها لدفع المهاجمين الا كثرة الجند لطول أسوارها . ولم يدخر اهل صقلية وسعاً في الدفاع عن بلدهم بما بلغ اليه امكانهم . على ان امبراطور القسطنطينية عمد الى المطاولة لاتمام المعدات نخابر ابن الفرات بشأن الصلح فلم يخدع لقوله وأمر رجاله فحاصروا المدينة وأحاطوا بأسوارها . وكان جندهم قد نقص بما خلفوه منه في مازارا وبمن مات بالمرض فأرسل ابن الفرات يستمد زيادة الله في افريقيــة فامده . على ان الروم كانوا امهر في الحركات العسكرية وأعلم بمداخل بلادهم فاحاطوا بعمارة المسلمين وحاصروها وضيقوا عليهــا حتى جاع رجالها واكلوا الخيول . وكان على القسطنطينية يومئذ الامبراطور ميخائيل فبعث الى صاحب البندقية ان ينجد المسيحيين لاخراج المسلمين من مرفأ سراقوسة . فانجده ولم يكن على الصقليين خوف من الجوع لان طريق البر كان مفتوحاً وخابروا العرب بشأن الصلح فردوهم

لـكن الطبيعة اعانت الصقليين بموت اسد بن الفرات قائد تلك الحملة وكان حازماً عاقلاً . وعقب موته شقاق بين قواده اغتنمه المحصورون واطلقوا . ثم انتخب العرب محمد بن الجوهري للقيادة — أشار بذلك أناس على غير رأي زيادة الله . وزادهم ارتباكاً هجوم بعض التوسكانيين على افريقية حتى وصلوا الى القيروان . فاضطر العرب الى رفع الحصار عن سراقوسة . ولم يعودوا الى فتحها الا بعد خمسين سنة . ودلهم يوفيميوس على بلد يلجأون اليه اسمه مينيو فاقاموا فيه ريثما استراحوا . ثم حملوا على كاستروجيوفاني وهو حصن منيع على جبل وعر فيه حامية من الروم والصقليين . فخندق العرب حوله وحاصروه وقطعوا المواصلات بينه وبين سائر الجزيرة . واستقروا هناك كالمقيم المتسلط حتى ضربوا النقود الفضية باسم الدولة الاغلبية على الفضة التي اخذوها من الغنائم وصارت قيادة الجند العربي الى زهير بن غوث وقيادة الجنــد الصقلي الى ثيودوتس صاحب كاستروجيوفاني . فخرج على العرب وهزمهم فعادوا الى مينيو ولم يبق لهم في صقلية غيره وغير مازارا . وقضوا سنتين في الحرب والشقاء حتى استولى عليهم اليأس

وهم في ذلك جاءت صقلية عمارة عربية من الاندلس بقيادة اصبغ بن وكيل امدت العرب بالمؤونة . ومات الامبراطور ميخائيل وخلفه ثيوفيلوس الظالم . وكان زيادة الله في افريقية قد تخلص من اعدائه هناك . فتفرغ لامر صقلية فجهز عليها عمارة من

٣٠٠ مركب وعشرين الف مقاتل اقلعوا من شواطيء افريقية سنة ٨٣٠ (٢١٥هـ) وقد جمعت هذه الحملة رجالاً من امم شتى من سكان افريقيا ومصر والصحراء والسودان وفيهم اليمني الهارب والفارسي المهاجر والرومي المرتد والاسباني المتعرب والبربري المسلم وعهد بقيادتها الى اصبغ بن وكيل لفتح صقلية . ولم تأت هذه الحملة بامر عظيم سوى انها قتلت ثيودوتس قائد جند الروم امام اسوار مينيو وفتحوا حصن غلوليا . ولكن الوباء تفشى في العرب فقتل قائدهم واهم رجاله ففشلوا وعادوا على اعقابهم الى افريقية والاندلس وكانت هذه الحملة من اشأم الحملات واقلها توفيقاً . ولكن الروم كانوا اتعس حظاً واكثر شقاء لان انهزامهم امام مينيو ضعّف عزائمهم وناهيك بالوباء فانه فتك فيهم فتكاً ذريعاً وكان عددهم ٧٠٠٠٠ فصار الى ثلاثة آلاف في اثني عشر شهراً

فتح بالرم

على ان شرذمة من جند العرب حملت على بالرم وفتحتها وجعلتها مقرّاً لحكومتها

ووجه العرب عنايتهم الى بالرم واخذوا في تعميرها وهي من المدن العظمى في تلك الجزيرة فحولوا الكنائس الى مساجد وتحولت البلد على الاجمال الى الصبغة العربية . فلم تعد ترى في الشوارع الا رجالاً بالعمائم والبرانس والخفاف . والنساء بالخمار والنقاب والازار . وطاف باعة الاطعمة العربية في الاسواق وفتحت الحوانيت الشرقية وصار كل شيء عربياً بسرعة مدهشة . واخذ العرب في حفر الترع وغرس المغارس وتشييد القصور والمنازل . لكنهم ما لبثوا ان انقسموا فادعى جند الاندلس حق الفتح وان بالرم يجب ان تكون تابعة لبني امية في الاندلس . والافريقيون يريدونها للاغالبة . وكانت الغلبة لهؤلاء فعين زيادة الله ابا فهر اميراً على صقلية تحت رعايته . واصبح العرب في مأمن لو ابطأ عليهم الفتح . وارسلوا سريات للغزو فغزوا تارومينا وهموا بغيرها



عرب يستخدمون النار اليونانية

نقلاً عن مسودات خطية في مكتبة باريس الاهلية

فحال دون ذلك مقتل اميرهم ابي فهر فخلفه فضل بن يعقوب فحارب الروم بقوة وحزم فغلبهم لكنه لم يستفد من الانتصار لتغلب النزاع في معسكر المسلمين . فبلغ ذلك الى زيادة الله فولى عليهم ابا الاغلب اخا ابي فهر وكان حكيماً حازماً فجهز عمارة سلحها بالنار اليونانية وهي اعظم الاسلحة المدمرة في ذلك العهد

فاستولى بتلك العمارة على اهم الشواطيء والجزائر المحيطة بصقلية ولم تنقض سنة ٨٤٠م حتى اصبح ثلث صقلية في حوزتهم

• محالفة العرب اهل نابلي

لما توفي شارلمان (سنة ٨١٤) تغير وجه اوربا بذهاب حامي الكنيسة الرومانية وقام النزاع بين رؤسائها والامراء حكام ايطاليا وهم عديدون من اللومبارد وغيرهم . وفيها جمهوريات اهمها جمهورية نابلي وجايته ولورنتو واما لفى كل منها مستقلة بنفسها والبارونات اللمباردية يريدون اخضاعها لسلطانهم . وهددوهم فخاف اهل نابلي فاستجاروا بالعرب في صقلية وعقدوا معهم عهداً دام خمسين سنة وهو يقضي بتبادل النصرة . فبعث الامير ابو الاغلب عمارة لمساعدة النابليين وكان اللومبارديون قد حاصروا مدينتهم بقيادة سيكاردوس فرفعوا الحصار وربح النابليون

ولم تمض سنة حتى احتاج اليهم العرب في زحفهم على «مسينا» فانجدوهم واتحدت العمارتان فتمكن العرب من فتح مسينا على اهون سبيل . فواصلوا الفتح فاستولوا على اليمينا ولنتينا وبوترا . وفي تلك الاثناء مات الامير ابو الاغلب فانتخب اهل بالرم العباس بن الفضل ولم يشاوروا اهل القيروان لانهم يثقون باقتداره . فنظم الجباية والادارة . ثم عادوا الى كاستروجيوفاني فحصروها وفتحوها بحيلة أو خيانة وامعنوا في اهلها قتلاً ونهباً . قال مؤرخ تلك الحروب ان خسائر هذا الفتح اعظم ما اصاب الصقليين منذ الفتح العربي

وذاع خبر ذلك الفتح في صقلية فاصبح اسم العرب فزّاعة في كل انحائها فعمد اهل القسطنطينية الى ارجاع نفوذهم . فبعثوا عمارة من ٣٠٠ مركب اقلعت من البوسفور حتى رست في سراقوسة . وجرت معركة بينها وبين العمارة العربية ففاز العرب واسروا مئة مركب منها وامعنوا في الناس قتلاً واسراً

فجرد الروم حملة اخرى وانجدهم الصقليون وحملوا على بالرم فجرت واقعة في سفالو فاز فيها العرب وغنموا كثيراً . واشتد غضب العباس اميرهم واقسم انه مكتسح صقلية الى سراقوسة . لكنه مات بعد قليل وخلف ذكراً رهيباً عند الروم لانه كان



العمارة العربية

شديد الوطأة فتاكاً . لكنه كان داهية حكيماً فعقد محالفات عديدة مع مقاطعات ايطاليا استعداداً لفتحها . واختلف المسلمون بعد موته في من يخلفه واشتد الخصام بين العرب والبربر واهرقت الدماء من الجانبين . ووافق ذلك انتقال عرش القسطنطينية الى الامبراطور باسيل المكدوني وهو من اعظم ملوكها دهاء وحزماً وسياسة . وكان على بينة مما يهدد مملكته من تفرق العناصر والمذاهب فجعل همه التوفيق بينها وارضاء كل حزب بما يقنعه فاشتد ساعده وزاده موت العباس تمكناً من غرضه

الفتوح في سائر ايطاليا

اما العرب فخلف العباس فيهم خفاجة بن سفيان ولم يكن اهلاً للامارة فحارب الروم في سراقوسة فغلبوه . وكان باسيل قد بذل جهده في تحصينها لاعتقاده انها مفتاح صقلية . وفي سنة ٨٦٩ (٢٥٦ هـ) توفي خفاجة وخلفه ابنه محمد بن خفاجه فقتله مملوكه . ومع هذه الضربات على العرب فان النصر كان مصاحباً لهم في غزواتهم على البلاد الاخرى فانهم عبروا بوغاز مسينا واكتسحوا ولاية مانياغريسيا واخربوها وفتحوا ابوليا وكالابريا وغزوا دوقية سبوليتو وسطوا على انكونا واستولوا على فينيفنتم وبرنديزي وتارنتم وباري . واحتلوا مسينيوم عند اسوار نابلي واستقروا في دالماتيا واحرقوا مدينة كابوا بعد نهبها وانشأوا مستعمرة كاريليانو لمقاومة مملكة البابا . وتفرق امراء العرب على شواطيء ايطاليا يغزون ويحتلون ويفتحون بلاد رابط ولا رادع

وكان اهل نابلي عوناً كبيراً لهم في ذلك فارشدوهم الى شواطيء البحر الادرياتيكي . والتقى اسطول العرب بعمارة بندقية فدمرها ونزل بعض العرب عند مصب نهر بو واتصلوا الى ايستريا . وبلغوا ابواب رومية واخربوا كنيستين هناك على اسم بطرس وبولس وكانتا خارج السور . واهانوا اهلهما وقبضوا على من فيهما وساقوهم عبيداً الى بالرم والقيروان . ولولامناعة رومية وضخامة اسوارها وضعف الات الهدم عندالعرب لنالوا ما طالما نشدوه من اكتساح اوربا

فتح سراقوسة

وفي اثناء ذلك توالى على القيروان من بني الاعلب ستة امراء آخرهم محمد بن احمد توفي سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ م) وخلفه ابراهيم بن احمد وهو حازم عاقل ذو تدبير واسع المطامع . فاراد ان تمتازامارته بفتح سراقوسة وغيرها فاعد عمارة سفنها سريعة متينة وعليها اهم الات الحصار والهدم . وعهد بقيادتها الى جعفر بن محمد امير صقلية وقيل انه ذهب هو بنفسه فيها . وكان العرب قد اخترعوا مجانيق لم يسبق لها مثيل — كانت المجانيق قبلها ترسل احجارها في خط منحن فتقع على الحصون وقوعاً لا يؤذي الا بالثقل فاصطنعوا منجنيقاً يرسل احجاره في خط مستقيم يقع على الجدران فيهدمها . ورموا المدينة بالنار اليونانية وحاصروها حصاراً شديداً

وكان الامبراطور قد ارسل عمارة لرفع الحصار فاخفقت وعادت . فلم يبق للصقليين الا ان يدافعوا عن بلدهم بانفسهم فثبتوا في الدفاع حتى جاعوا واكلوا الطحالب والجلود والعظام ولحم القتلى من الادميين . وقد بيع رأس الحمار بعشرين دساراً . فافضى ذلك الى انتشار الوباء والعرب يوالون اطلاق المجانيق والنبال ويشددون الحصار وقد ثبت السراقوسيون ثبات الابطال . وتسلق العرب الاسوار واخترقوها والتحم الفريقان يداً بيد ووجهاً لوجه . وفازالعرب بفتحها فوزاً عظيماً واستولوا على ما كان هناك من الذخائر وقدر بعضهم ما كان فيها من المال بمبلغ ٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ريال ووزن الادوات الكنائسية بخمسة الاف رطل اكثرها من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة لايعرف لها قيمة غير ما استولوا عليه من الغنائم الاخري والاسرى . وحملت كلها الى بالرم . وبفتح سراقوسة تم للعرب فتح صقلية بعد محاولة ذلك خمسين سنة . فقووا عمارتهم وجنديتهم ليأمنوا غارات جيرانهم ومكنوا محالفتهم مع نابلي حليفتهم

سيادة العرب في ابطاليا

فلما استقر امر صقلية للعرب وصارت امارة اسلامية اخذوا يهتمون في تعميرها فنقلوا اليها تمدنهم وآدابهم . وتقاطر اليها المهاجرون واهل التجارة من اقاصي العالم

الاسلامي لاستعمارها أو لاستثمارها . فاستقروا في كالابريا وامبولا . واعترف حاكماهما بسيادة امير صقلية عليهما . وقد ساعدهم على تمكين سلطتهم هناك تفرق كلمة الايطاليين فاخذوا يسطون على ما يجاور رومية او يكتنفها من البلاد ويغزونهم فيفرون الى رومية يحتمون باسوارها واهل رومية يتوقعون الفتح ويخافونه — بل هم يخافون على اوربا كلها لكن الانقسام بين ملوك المسلمين في الشرق شغلهم عن ذلك الفتح كما سنبينه

قضت صقلية في سيادة المسلمين نيفاً ومئتي سنة بعضها في دولة الاغالبة ثم الفاطميين وغيرهم . واستقل امراؤها بها حيناً وتوارثوا حكومتها وتنازعوا عليها حتى انقسمت الى مقاطعات على كل منها امير مستقل ينازع جيرانه ويحاربهم على ما في ايديهم . فكان على سراقوسة وغيرها سنة ١٠٦٠ م (٤٥٢ هـ) ابن ثمنة وعلى كسترو جيوفاني ابن حواشي فتحاربا وانهزم ابن ثمنة واستولى ابن حواشي على مقاطعته وقس على ذلك

اما سائر ايطاليا فظلت ١٤ سنة يتمتع باخصب ارضها شرذمة من العرب لا يزيدون على بضع مئات وكانوا يتعرضون لمراكب الافرنج ينهبونها . وكان دوقا سبوليتو وتوسكانا ناقمين على البابا فواطأا العرب على سلب البابا املاكه . وكذلك فعلت جمهوريات جاينه ونابلي واماالفي وسالرنو فاتحدت مع امير صقلية ضد البابا . وظل احد البابوات سنين يؤدي الجزية للعرب عن كرسيه وقد تخلى عنه اعوانه . ثم تبدلت الاحوال وتخلصت ايطاليا من العرب

خروج ايطاليا وصقلية من ايدي العرب

كانت صقلية في اثناء سيادة العرب عليها مجتمع الاضداد من الامم وفيهم الصقليون الاصليون واليونان واللومبارد والعرب والبربر والفرس والزنج واليهود ولا سيما في بالرم ومسينا فانهما كانتا ملجأ للفارين وطلاب الرزق او الساعين في الدسائس او الطامعين بالغنائم . فآل ذلك الى تغير النيات والانقسام بين العرب والبربر في صقلية . وبين العرب انفسهم — نحو ما كان من الانقسام في شمالي افريقية وفي الاندلس . فكيف تستقر حكومة النزاع قائم بين رؤسائها والسيوف مسلولة على الرقاب ؟

واتفق في اثناء ذلك ظهور النورمان وهم قوم أشداء هبطوا من سكنديناڤيا في القرن التاسع واكتسحوا فرنسا وتوالوا عليها زمناً وعلى غيرها . وفي القرن الحادي عشر اطمعهم خصب ايطاليا وضعف حكومتها وتضعضع حكامها فانتظموا اولاً في سلك حكومتها بالاجرة كما انتظم الاتراك في جند العباسيين على عهد المعتصم . فما لبثوا ان ترقوا حتى استولوا على مناصب الحكومة ونحوها كما فعل الاتراك في بغداد .

وكان الروم كثيراً ما يستنصرونهم على العرب . ولم ينقض النصف الاول من القرن الحادي عشر حتى صارت سياسة ايطاليا في ايديهم . فطمعوا بالسلطة ورأوا تضعضع العرب في صقلية ففتحوها بنفس الطريقة التي فتحها بها العرب

وذلك ان ابن ثمنة لما غلب على امره اراد أن ينتقم من غالبه فلجأ الى الكونت روجر النورماني في ايطاليا واستنصره في ارجاع الحكم اليه . وكان اهل مسينا (اقرب بلاد صقلية الى ايطاليا) قد خابروا النورمانيين يلتمسون انقاذهم من العرب — فاما جاءهم ابن ثمنة عزموا على التقدم للعمل . فنهض روجر سنة ١٠٦١ م ٤٥٢ هـ في شرذمة من الجند قطعوا البوغاز الى مسينا ليلاً بتواطؤ مع بعض اهلها . فلقيهم الخائنون وادخلوهم المعاقل وعبثاً حاول اصحابها الدفاع

ثم تقدم النورمانيون فجرت بينهم وبين المسلمين معركة قرب كستروجيوفاني فاز فيها النورمان فوزاً مبيناً . وما زالوا يوغلون في صقلية حتى وصلوا الى ضواحي بالرم عاصمة العرب فحاصروها سنة ١٠٧١ م ٤٦٤ هـ ونصرهم في هذا الحصار كل امم اوربا تقريباً لانهم اتفقوا على وجوب التخلص من ذلك الشعب الغريب وطناً وديناً ولغة . وقد ثبت العرب في الحصار ثبات الابطال ولكن بعض المسيحيين المتظمين في الجند الاسلامي اخذتهم الغيرة الدينية فدلوا النورمان على نقطة ضعيفة في القلعة فدخلوا منها واستولوا على بالروم بعد محاصرتها خمسة اشهر

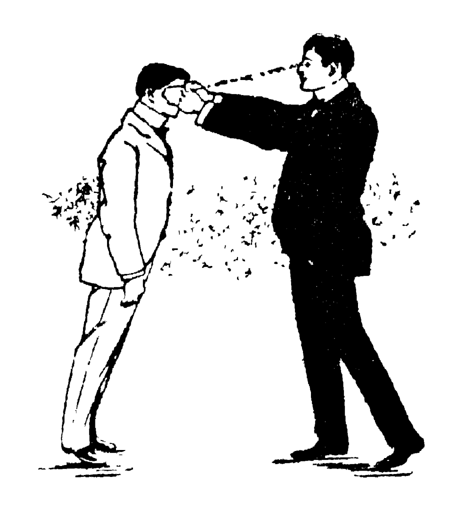
فلم يبق في طريق النورمان مشقة في فتح سائر الجزيرة ففتحوا سراقوسة بالهجوم . واما كاستروجيوفاني فان حاكمها سلم من نفسه غيرة على الدين . وفي سنة ١٠٩١ (٤٨٤ هـ) لم يبق للمسلمين في صقلية الا بوترا ونوتو فانتقلتا الى النورمان بمعاهدة سلمية فانقضى بذلك حكم العرب في صقلية وسائر ايطاليا

وقد رايت ان العرب جاؤا صقلية اولاً للغزو ثم للفتح فلما فتحوها واستقرت اقدامهم فيها نقلوا اليها عوامل تمدنهم من المدارس والمساجد والمعامل . ومع ان توسطها بين الامم المتمدنة جعل اهلها اخلاطاً من امم شتى من اليونان والرومان والعرب واليهود والجرمان والنورمان يتكلمون اليونانية واللاتينية والعبرانية والعربية والجرمانية والفرنساوية فان الصبغة العربية الاسلامية كانت غالبة عليها كلها . فلما فتحها النورمان لم يغيروا شيئاً من صبغة ذلك التمدن وما خالطه من بقايا تمدن اليونان والرومان . بل اقتبسوه وطلوا عليه حتى ظهر فريدريك الثاني امبراطور الجرمان صديق العرب فنقل بذور التمدن الحديث عنهم كما فصلنا ذلك في الهلال ٥ سنة ١٩

التنويم المغناطيسي

او الهيبنوتيزم

هو من الفنون الرائجة في اوربا واساسه علمي لكن بعض المشعوذين ادخل فيه ما ما ليس منه . فادعى له اشياء يتبرأ العلم منها كاستطلاع الغيب والتنبوء بالمستقبل مما هو بعيد عن قدرة البشر — اما الوجه العلمي من التنويم المغنطيسي فهو ان المنوّم يتسلط على افكار المنوَّم حتى يستهويه ويصير رهن ارادته يطيعه بكل ما يأمره به بلا التفات الى عواقب ما يعمله كانه فقد ارادته وصار طوعاً لارادة منومه . وبناء على هذه الخاصة استخدمهُ الاطباء في شفاء كثير من الامراض العصبية التي للوهم تأثيرٌ عليها . ويكفي فيها ان يقتنع المريض انهُ شفي من مرضه



ش ١

ذلك هو القسم العلمي من الهبنوتزم . اما القسم العملي وهوالتنويم الفعلي فانه علمٌ قائم بنفسه ولاصحابه طرق مختلفة فيه لكنهم يشترطون على الاجمال شروطاً لا بد منها للقيام بهذا العمل : اولها ان يكون المنوّم قوي الارادة ثابت العزم . وان يكون طالب النوم مستسلماً للمنوم بكليته . وان يوجه ارادته الى النوم ويرغب فيه من كل قلبه . والناس في كل حال يتفاوتون قابلية للنوم المغنطيسي . واشدهم عصبية وادقهم شعوراً اكثرهم قبولا للتنويم

واما طرق التنويم فانها كثيرة وقد فصلها شكري افندي صادق في كتاب التنويم الذي عربه عن الانكليزية . اهمها التنويم بتأثير النظر وهو ان يضع المنوّم يديه على رأس الطالب فوق الاذنين ويثبت نظره في راس انفه عشر ثوانٍ . ثم يؤخر قدمه

اليسرى الى الوراء خطوة و يرحول رأسه بخفة حتى تصل يداه الى امام جبينه ثم يفرق يديه بخفة و بطء . يعود الى هذا العمل مرة ثانية من اعلى الاذن ثلاث مرات . ثم يغري الطالب على الميل نحوه كما ترى في الشكل الاول

ومنها التنويم بتثبيت نظر المنوّم في نظر الطالب مع تشبيك ايديهما كما ترى في الشكل الثاني . على ان يثبت المنوم عزيمته و يصمم رأيه على التنويم وان يطيعه الطالب



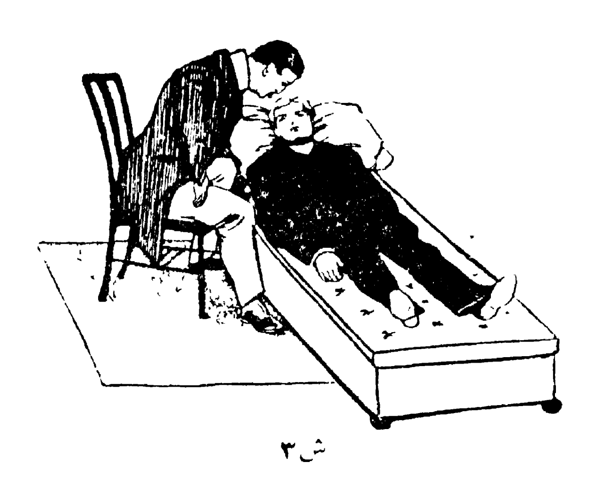
ش ٢

بكل عواطفه . وهناك حركات ومخاطبات لاتمام العمل مذكورة في ذلك الكتاب •

وهاتان الطريقتان يراد بهما مجرد التنويم

اما الاستهواء ففي الوصول اليه طرق عديدة اشهرها طريقة ليبوات من اهل القرن الماضي وقد خصها بمعالجة الامراض العصبية . وهي ان يقف الطبيب المعالج و يضع يده اليسرى بخفة على رأس المريض ويجعل اصبعي يده اليمنى على مسافة قدم من عيني المريض على زاوية منفرجة بحيث يضطر المريض ان يرفع عينيه ليرى الاصابع تماماً • ثم يقول الطبيب بصوت هادىء منخفض « لا شيء يصيبك من وراء هذه العملية . انك على وشك الانتقال من حال يقظة الى حال ذهول فهبوط فسرحان فنوم تسمع فيه كلاماً ولكن لا تبالي به ولا تهتم بأمر قائله وكذلك تشعر بان لا سلطان لك على نفسك و ينتهي ذلك باستغراقك في النوم حتى لا تشعر بشيء مما يحدث حولك و بعد ذلك تستيقظ بارادتي منشرح الصدر مسروراً غير شاعر باي الم »

وعلى الطبيب في اثناء الكلام ان يحرك اصابعه ببطء في دائرة لا يزيد محيطها عن قدم واحدة ويكون ذلك امام وتحت عيني الطبيب بحالة مستديمة • وفي الوقت نفسه يطلب من المريض ان يثبت نظره والتفاته في حركة الاصابع فقط مدة خمس دقائق تكون مخاطبته في اثنائها بصوت يملّ منه السامع



ش٣

ثم يقول الطبيب « انك تشعر الان بثقل في اجفانك وخمول وصعوبة في التحرك من مكانك . لا تضطرب من اي صوت . الدم يقل في يديك ورجليك ويعود الى داخل جسمك . ستشعر برطوبة في رأسك ويديك وقدميك . ستقل حركة قلبك ونبضك ويسهل تنفسك وتنام الان نوماً عميقاً » ثم يسكت بضع لحظات ويقول بصوت اكثر هدوءاً وانخفاضاً « اغلق عينيك ونم » ويضع يديه على اجفان المريض ويقول « استرح فان كل شيء يتحسن الان والالم يخف تدريجاً وبعد قليل تنام نوماً عميقاً وعند انتباهك يزول الالم . نم براحة ولا يزعجك شيء حتى أعود اليك » ثم يترك الطبيب العليل عشر دقائق او ربع ساعة وعند عودته يجدهُ قد مر من دور خمول الى دور نوم خفيف وان وجع رأسه قد زال او خف

وهنا يخبر الطبيب المريض بأنه عند عودته اليه في اليوم التالي سيجد انه مرَّ الى دور الخمول والهبوط بسرعة شديدة وان سباته سيكون أشد وان تكرار هذا العمل بضع مرات يكفي لازالة الالم بالمرة ويمنعه من الرجوع اليه

ومنها طريقة ازديل وهي ان يستلقي المريض ويجلس الطبيب بجانبه يحدق فيه كما ترى في الشكل الثالث

وعلى مبدأ الاستهواء بالتنويم استخدموه لتقويم اخلاق الاطفال وهم في المهد بتنويمهم واقناعهم بوجوب اتباع الاوامر النافعة كما ترى في الشكل ٤



ش ٤

ومن غرائب الاستهواء بالتنويم ما يصيب العضلات من التشنج حتى يصير جسم النائم كالخشبة الصلبة اذا ارتكز طرفاه على خشبتين ووقف فوقه رجل لا يكفي ثقله ان يثنيه وقد يحمل رجلاً وصبيًّا كما ترى في الشكل الخامس



ش ٥

وهناك طرق اخرى لاغراض أخرى تجدها مبينة في كتاب الهبنوتيزم المشار اليه

التاريخ يعيد نفسه

منشور الايطاليان في طرابلس الغرب اليوم ومنشور بونابرت في مصر منذ ١١٦ سنة

نشرت حكومة ايطاليا بعد احتلالها طرابلس الغرب منشوراً للطرابلسيين تنبئهم فيه بالغرض من ذلك الاحتلال . فرأينا بينه و بين منشور نشره بونابرت في مصر يوم نزوله الاسكندرية منذ قرن و بعض القرن مشابهة في المغزى فاحببنا نشرهما للمقابلة بينهما ليظهر للقراء الخطة التي اتخذها الغربيون في افتتاح الشرق — والتاريخ يعيد نفسه

قال الجنرال كارلوس كانيفا قائد العساكر الايطالية في طرابلس الغرب بعد البسملة ومقدمة لا فائدة من نشرها :

« ان العساكر الخاضعة لامري لم يرسلها جلالة ملك ايطاليا حماهُ الله لاضعاف واستعباد سكان طرابلس والقيروان والفزان والبلاد الاخرى التابعة لها التي توجد الآن تحت سيادة الاتراك بل لتعيد اليهم حقوقهم وتقتص من المعتدين عليهم وتجعلهم احرارًا يحكمون انفسهم وتحميهم من كل من يعتدي عليهم سواء كان الاتراك او اي شخص كان يريد استرقاقهم

« وعليه فانتم يا سكان طرابلس والقيروان والفزان والبلاد الاخرى التابعة لها من الآن سيحكمكم رؤساء منكم موكل اليهم ان يقضوا بينكم بالعدل والرأفة عملاً بقوله تعالى « واذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل » وستكون هذه الاحكام تحت حماية ورعاية ملك ايطاليا السامي حرسه الله تعالى

« واعلموا ان ستبقى الشرائع الدينية والمدنية محترمة ويحترم الاشخاص والاملاك والنساء والحقوق وجميع الامتيازات المختصة باماكن العبادة والبر لان غاية اعمال الرؤساء يجب ان تكون واحدة وهي تحسين حالتكم والعمل على استتباب راحتكم ويجب ان يكون ذلك مطابقاً للشريعة الغراء والسنة المحمدية السمحاء • وسيقضى بينكم بالعدل طبقاً للشريعة وحسب اوامرها بواسطة قضاة قد اشتهروا بتفقههم في الشرع ذوي استقامة وسيرة حميدة كما انه لا نغض الطرف عمن يظلم من الرؤساء ولا نغتفر غشًّا او خداعاً من احد القضاة فالكتاب والشريعة والسنة فقط تقضي وتحكم عليكم

« واعلموا جيدًا انه لا تؤخذ منكم ضرائب لتصرف خارجاً عن بلادكم والضرائب

التي توجد الآن عليكم ننظر فيها وننقص او تلغى كما يقتضي العدل

« واعلموا جيداً انه لا يدعى احد منكم للخدمة العسكرية بالرغم عن ارادته وفقط يقبل بها اولئك الذين يرغبون الانضمام تحت اللواء الطلياني باختيارهم لاجل حماية النفوس والاملاك ولكي يتكفلوا للبلاد بالسلم والنجاح ٠ واما الآخرون فيبقون في بيوتهم معتكفين على العمل في الحقول ورعاية المواشي او معاطاة التجارة والصناعة والحرف الضرورية لقيام الحياة المدنية

« وعلى هذا فكل امرئ يمكنه ان يقيم الصلاة في معبده (جامعه) حسب تعليم دينه ويلزمكم ان تتضرعوا لله عز وجل ان يرفع مجد الشعب الايطالي ومجد ملكه لانه اخذكم تحت ظل حمايته . والايطاليون يرومون ان يكون اسمهم مهيباً لدى جميع اعدائكم واما منكم فيكون فقط محبوباً ومباركاً

« وبناء عليه وحسبما خولني جلالة ملك ايطاليا العادل المنصور وحكومته اعلمتكم بما تقدم وسيجري مفعوله من هذا اليوم من شهر شوال سنة ١٣٢٩ هـ ليبقى كاساس للعلاقات المستقبلة التي ستوجد بين الحامية والمحتمين وبين الايطالي وسكان هذه البلاد واني واثق بانكم تقبلون هذا المنشور بسرور قلبي لانه سيكون قانوناً يجب ان يحفظ بامانة واستقامة ضمير وشهامة من كلا الطرفين

« واذا وجد من لا يحترم الشرائع او لا يعتبر الاشخاص او يمس حرمة النساء او يخترق حرمة الملك او يقاوم او يثور على ارادة العناية الالهية التي ارسلت ايطاليا الى هذه البلاد وباسمها صدرت لي هذه الاوامر وقبلتها ممن يملك حق الامر فسيكون الانتقام منه عظيماً . وسأحافظ على تنفيذها بالقوة الموكلة لعهدتي انبراس العدل والحق »

ثم اورد آيات من القرآن تؤيد دعواه وعقب ذلك بنصائح مغزاها ان احتلال ايطاليا حدث بقضاء الله الى ان قال « فايطاليا تريد السلام وتريد ان تبقى بيلادكم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها المعظم يخفق فوقها العلم المثلث الالوان « ابيض واحمر واخضر » اشارة الى المحبة والايمان والعشم في وجه الله » اهـ

وهذا نص المنشور الذي نشره بونابرت سنة ١٢١٣ هـ

« من طرف الجمهور الفرنساوي المبني على اساس الحرية والمساواة السر عسكر الكبير بونابرت امير الجيوش ٠ يعرف اهل مصر جميعهم ان السناجق الذي يتولون مصر منذ زمن مديد يعاملون الملة الفرنساوية بالاحتقار والاعتداء وقد حضرت الآن

ساعة عقوبتهم • واحسرتاه منذ ايام وعصور هؤلاء المماليك المجلوبون من بلاد الاباظة والكرج يفسدون في احسن اقاليم الكرة الارضية واقد حتم رب العالمين القادر على كل شيء بانقضاء دولتهم . فيا ايها المصريون وقد يقال لكم انني ما نزلت هذه الجهة الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح لا تصدقوه وقولوا لاخوانكم انني ما قدمت اليكم الا لآخذ بحقكم من الظالمين واني اكثر من المماليك عبادة لله سبحانه وتعالى واحتراماً لنبيه محمد « صلعم » وللقرآن العظيم . وقولوا لهم ايضاً ان جميع الناس شرع عند الله وان الذي يميز بعضهم عن بعض هو العقل والفضائل والعلوم . واي شيء في المماليك يميزهم عن غيرهم ويستوجب ان يكون لهم وحدهم كلما تجلب به الحياة الدنيا . فحيثما تكون ارض مخصبة فهي للمماليك ومثل ذلك احسن الجواري واكرم الخيل واجمل المساكن فان كانوا قد اخذوا الارض المصرية التزاماً فليظهروا لنا الحجة التي كتبها لهم الله . ولكن رب العالمين رؤف على الناس وبعونه تعالى من اليوم فصاعداً لا يستثنى احد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء فيهم يفوض اليهم تدبير الامور والمهام وبذلك تصلح حال الامة كلها في الاراضي المصرية كالمدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر الواسع الذي اضاعه طمع المماليك وظلمهم . فيا ايها القضاة والمشايخ والائمة ويا ايها الشربجية واعيان البلاد قولوا لامتكم ان الفرنسويين هم ايضاً مسلمون مخاصون • واثباتاً لذلك قد نزلوا رومية الكبرى واخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة المسلمين ثم قصدوا جزيرة مالطا وطردوا منها الكفاليرية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم محاربة المسلمين • ومع ذلك فان الفرنسويين في كل وقت احباء حضرة سلطان العثمانيين واعداء اعدائه ايد الله ملكه وبعكسهم المماليك فانهم خرجوا عن طاعة السلطان غير ممتثلين لاوامره ولم يطيعوه الا عن طمع في قلوبهم كمين • فطوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فتصلح حالهم وترفع مراتبهم وطوبى للذين يقعدون في اماكنهم غير مائلين لاحد الفريقين المتحاربين • لكن الويل ثم الويل للذين يتحدون مع المماليك ويساعدونهم في حربهم علينا فلا يجدون طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثر

« المادة الاولى : جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة على مسافة ثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر الفرنساوي يجب ان ترسل للصاري عسكر بعض وكلاء من عندها لكي يعرفوا المشار اليه انهم اطاعوا وانهم نصبوا العلم الفرنساوي الذي

هو ابيض وكحلي واحمر

« المادة الثانية : كل قرية تقوم على العساكر الفرنسوية تحرق بالنار

المادة الثالثة : كل قرية تطيع العساكر الفرنسوية يجب عليها ان تنصب العلم الفرنساوي كذلك علم سلطان العثمانيين محبنا دام بقاؤه

« المادة الرابعة : على المشايخ في كل بلد ان يختموا حالاً جميع الارزاق والبيوت والاملاك خاصة المماليك وعليهم الاجتهاد الزائد لكي لايضيع شيء منها

« المادة الخامسة : يجب على المشايخ والقضاة والائمة ان يلازموا وظائفهم وعلى كل واحد من اهل البلد ان يبقى في مسكنه مطمئناً كذلك تقدم الصلاة في الجوامع على العادة • وعلى المصريين جميعاً ان يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى على انقراض المماليك قائلين بصوت عال ادام الله اجلال سلطان العثمانيين • ادام الله اجلال العسكر الفرنسوي لعن الله المماليك واصلح حال الامة المصرية » اه

فن التصوير

في التمدن الاسلامي (اكتشاف جديد)

التصوير من الفنون الجميلة وهي تسمية جديدة لما تنبسط له النفس من المصنوعات لجماله ورونقه لا لمنفعته ومتانته . والفنون التي تدخل في اعتبارهم تحت هذه التسمية قسمان الاول تظهر اشكاله محسوسة كالحفر والتصوير والنحت والتمثيل والثاني ما لا يحس ولا يرى بل هو من قبيل الخيال كالشعر والموسيقى . او ان الفنون المذكورة ترجع بكليتها الى التصوير ولبعضها صور محسوسة كالمنحوتات والرسومات وللبعض الآخر صور خيالية كالشعر والموسيقى . والامم التي تمدنت قبل الاسلام اشتغلت في هذه الفنون على تفاوت في اتقانها . وممن اجاد فيها اليونان والرومان فانهم نحتوا التماثيل وصوروا الصور ومثلوا الحوادث ونظموا الشعر وضبطوا الالحان

ومن الاعتقادات الشائعة ان التمدن الاسلامي مقصر في هذه الفنون لانه لم يخلف ما خلفه اليونان أو الرومان من الآثار الجميلة كالابنية والتماثيل والصور ونحوها . ولو دققنا النظر لرأينا المسلمين أو العرب من اكثر الامم استعداداً للفنون الجميلة

والاجادة فيها لا يقلون شيئاً عن اليونان والرومان وربما فاقوهما في بعضها . أما الجمال المحسوس فقد أجادوا في ما يتعلق منه بالبناء ولهم نمط خاص فيه مشهور . ومن آثارهم البنائية الحمراء في الاندلس وجوامع القاهرة والشام وفارس والهند وهي تدل على تقدم عظيم في هندسة البناء مع ما فيها من زخارفه كالفسيفساء ونحوها مما يدهش النظر ولهم نحو ذلك في الصياغة والنسج ونحوهما من الصنائع الجميلة

أما التصوير فالمشهور انهم قلما اشتغلوا فيه لانه محرم عندهم الا في الاجيال المتأخرة على قلة . لكننا وقفنا على صور منقوشة في بعض اجزاء قصر الحمراء في غرناطة وهي قليلة والباحثون يشكون في نسبتها الى العرب وقد وقفنا الآن في جزء سبتمبر الماضي من جريدة « لغة العرب » التي تظهر في بغداد للاب انستاس ماري الكرملي على مقالة في آثار سامرّاء (سر من رأى) التي بناها المعتصم العباسي في اوائل القرن الثالث للهجرة بالقرب من بغداد جاء فيها بعد بحث مفيد عن تاريخ سامراء والتنقيب الجاري فيها الآن قوله :

« ولقد كادت الصنائع الفنية الاسلامية في القرن الثالث للهجرة تكون مجهولة الى عهدنا . ولهذا اصبحت نتائج التنقيبات في الغاية القصوى من الخطر والشأن العلمي . واول ما شرع به في سامراء كان رفع كل ما يغشى اخربة الجامع الاعظم الذي بناه المتوكل على الله والمنارة الغريبة البناء الموجودة فيه. وهي المنارة المعروفة باسم « الملوية » وقد بنيت على غرار برج بابل أو الزقورة أو الذكورة البابلية

« وبعد ان ظهر للعيان صحن الجامع بانت كل البداية الداخلية وعمد الرخام وما يزينه في الداخل من نقوش مطبوعة وتصاوير ملونة وفسيفساء . ولقد دقق الدكتور هرتسفلد نظره في بعض دور الخاصة المجاورة للمدينة الحديثة فاذا هو امام مدينة مدفونة في الشرق دفن بمباي في الغرب . ووجد غرفاً وحجراً وردهات قد زينت جدرانها وغشيت حيطانها بتصاوير شرقية منقوشة نقشاً بارزاً او غائراً في الجص وهي في غاية البهاء والجمال ، وكلها محفوظة احسن الحفظ ، كأن البناة قد غادروها قبل ان يدخلها اهل البحث . هذا ولا ترى النقش على الجص فقط بل انك تشاهد تصاوير ملونة في مواضع الجص الفارغة من النقوش ، وهناك ايضاً تصاوير مختلفة الالوان

وصور اناس كلها ملونة على ابدع مثال وهو امر في غاية الندرة في تاريخ الصناعة الاسلامية ان فنية وان بنائية . وخلاصة القول انك تجد في سامراء كنوز فن ودفائن صناعة لم تسمع بمثلها من افواه الناس والمسافرين . كما لم تشاهد العينان نظيرها ، اه

فيعد هذا الاكتشاف خطوة مهمة في معرفة تاريخ فن التصوير عند العرب

العبودية

شعر منثور

انما الناس عبيد الحياة وهي العبودية التي تجعل ايامهم مكتنفةً بالذل والهوان ولياليهم مغمورة بالدماء والدموع . ها قد مرَّ سبعة آلاف سنة على ولادتي الاولى وللآن لم ارَ غير العبيد المستسلمين والسجناء المكبلين

قد جبت مشارق الارض ومغاربها ، وطفت في ظل الحياة ونورها ، وشاهدت مواكب الامم والشعوب سائرةً من الكهوف الى الصروح ، ولكني لم ارَ للآن غير رقابٍ منحنية تحت الاثقال ، وسواعد موثوقة بالسلاسل ، وركب جاثية امام الاصنام

قد اتبعت الانسان من بابل الى باريس ومن نينوي الى نيويورك ورأيت آثار قيوده مطبوعة على الرمال بجانب اثار اقدامه ، وسمعت الاودية والغابات تردد صدى الاجيال والقرون

دخلت القصور والمعاهد والهياكل ، ووقفت حذاء العروش والمذابح والمنابر ، فرأيت العامل عبداً للتاجر ، والتاجر عبداً للجندي ، والجندي عبداً للحاكم ، والحاكم عبداً للملك ، والملك عبداً للكاهن ، والكاهن عبداً للصنم ، والصنم ترابٌ جبلته الشياطين ونصبته فوق رابية من جماجم الاموات

دخلت منازل الاغنياء الاقوياء واكواخ الفقراء الضعفاء ، ووقفت في المخادع الموشاة بقطع العاج وصفائح الذهب ، وفي المآوي المفعمة باشباح اليأس وانفاس المنايا ، فرأيت الاطفال يرضعون العبودية مع اللبن ، والصبيان يتلقنون الخضوع مع حروف الهجاء ، والصبايا يرتدينَ الملابس مبطنة بالانقياد والخنوع ، والنساء يهجعنَ على اسرّة الطاعة والامتثال

اتبعت الاجيال من ضفاف الكنج الى شاطىء الفرات الى مصب النيل الى جبل سينا الى ساحات اثينا الى كنائس رومية الى ازقة القسطنطينية الى بنايات لندن فرأيت العبودية تسير بكل مكان في موكب العظمة والجلال والناس ينحرون الفتيان والعذارى على مذابحها ويدعونها الهاً ، ثم يسكبون الخمور والطيوب على قدميها ويدعونها ملكاً ، ثم يحرقون البخور امام تماثيلها ويدعونها نبياً ، ثم يخرّون ساجدين لديها ويدعونها شريعة ، ثم يتحاربون ويتقاتلون من اجلها ويدعونها وطنية ، ثم يستسلمون الى مشيئتها ويدعونها ظل الله على الارض ، ثم يحرقون منازلهم ويهدمون مبانيهم بارادتها ويدعونها اخاء ومساواة ، ثم يجدون ويجاهدون في سبيلها ويدعونها مالاً وتجارة . . . فهي ذات اسماء عديدة وحقيقة واحدة ومظاهر كثيرة لجوهر واحد ، بل هي علة ازلية ابدية تجيء باعراض متباينة وقروح مختلفة يتوارثها الابناء عن الآباء مثلما يتوارثون نسمة الحياة وتلقي بذورها العصور في تربة العصور مثلما تستغل الفصول ما تزرعه الفصول

واغرب ما لقيت من انواع العبوديات واشكالها العبودية العمياء — وهي التي توثق حاضر الناس بماضي آبائهم وتنيخ نفوسهم امام تقاليد جدودهم وتجعلهم اجساداً جديدة لارواح عتيقة وقبوراً مكلسة لعظام بالية

والعبودية الخرساء — وهي التي تعلق ايام الرجل باذيال الزوجة التي يمقتها ، وتلصق جسد المرأة بمضجع الزوج الذي تكرهه وتجعلهما من الحياة بمنزلة النعل من القدم . . .

والعبودية الصماء — وهي التي تكره الافراد على اتباع مشارب محيطهم والتلوّن بالوانه والارتداء بازيائه فيصبحون من الاصوات كرجع الصدى ومن الاجسام كالخيالات

والعبودية العرجاء — وهي التي تضع رقاب الاشداء تحت سيطرة المحتالين وتسلم عزم الاقوياء الى اهواء الطامعين بالمجد والاشتهار فيمسون مثل آلات تحركها الاصابع ثم توقفها ثم تكسرها

والعبودية الشمطاء — وهي التي تهبط بارواح الاطفال من الفضاء المتسع الى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الغباوة ويقطن الذل في جوار القنوط فيشبون تعساء ويعيشون مجرمين ويموتون مرذولين

والعبودية الرقطاء — وهي التي تبتاع الاشياء بغير اثمانها وتسمي الامور بغير

اسمائها فتدعو الاحتيال ذكاء والثرثرة معرفة والضعف ليناً والجبانة اباءً

والعبودية العوجاء – وهي التي تحرك بالخوف ألسنة الضعفاء فيتكلمون بما لا يشعرون ويتظاهرون بما لا يضمرون ويصبحون بين ايدي المسكنة مثل ثوب تطويه وتنشره

والعبودية الحدباء – وهي التي تقود قوماً بشرائع قوم آخرين

والعبودية الجرباء – وهي التي تتوج ابناء الملوك ملوكاً

والعبودية السوداء – وهي التي تسم بالعار ابناء المجرمين الابرياء

والعبودية للعبودية نفسها وهي قوة الاستمرار

ولما تعبت من ملاحقة الاجيال ، وملأت النظر الى مواكب الشعوب والامم ، جلست وحيداً في وادي الاشباح حيث تختبيء خيالات الازمنة الغابرة وتربض ارواح الازمنة الآتية : هنالك رأيت شبحاً هزيلاً يسير منفرداً محدقاً بوجه الشمس فسألته « من انت وما اسمك » قال « اسمي الحرية » قلت « واين ابناؤك » قال « واحد مات مصلوباً وواحد مات مجنوناً . وواحد لم يولد بعد » ثم توارى عن عيني وراء الضباب (مرآة الغرب) جبران خليل جبران

نظام حيدر اباد

ولد سنة ١٨٦٦ وتوفي سنة ١٩١١

هو احد ملوك الهند الداخلين في حماية الدولة الانكليزية ويرجع بنسبه الى ابي بكر الصديق . وحيدر اباد اغنى ممالك الهند واكثرها سكاناً مساحتها ٨٣ ٩٦٨ ميلاً وسكانها ١٢ مليوناً فيهم ما ينيف على مليون من المسلمين يحدها من الشمال والشمال الشرقي ولايات الهند الوسطى ومن الجنوب والجنوب الشرقي مملكة مدراس ومن الغرب ولاية بمباي . عاصمتها مدينة حيدر اباد وهي واقعة في اواسطها نحو الجنوب وعدد سكانها على مقتضى احصاء سنة ١٨٩١ نحو نصف مليون نفس. واشهر محصولات مملكة حيدر اباد الرز والحنطة والذرة والزيتون والاثمار والقطن والنيلة والسكر والتبغ والحرير وينشأ فيها صنف من الخيول مشهورة بخيول دكن تستخدم في الجندية

جاء البرق بنعيه في سبتمبر الماضي وقد ترجمناه ووصفنا بلده وسائر احواله في الهلال السادس من السنة الحادية عشرة فمن شاء التوسع في خبره فليطالعه هنالك

باب الأخبار العلمية

﴿ نفقات الحروب وجنون المحاربين ﴾ قدر احد كبار السياسيين الالمانيين ما كانت تتكبده المانيا من النفقات لو انتشبت الحرب بين فرانسا والمانيا فاذا هي من ٢٢٥٠٠٠٠ الى ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه في كل يوم من ايام تعبية الجيش او انتقاله . وقدر مثل هذه النفقات لفرنسا ايضاً . فيكون مجموع نفقات الدولتين خمسة ملايين جنيه كل يوم وهي ١٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه في الشهر قال : غير ان الحرب لم تكن تقتصر على هاتين الدولتين اذ لابد من دخول النمسا وروسيا وانكلترا وبلجيكا في حومة الوغى فتنفق هذه الدول عشرة ملايين جنيه كل يوم حتى تقرر هل لالمانيا الحق في ان يكون لها امتياز في مراكش وليس لها الا تسعة في المئة من تجارتها التي لا يزيد مجموعها على ٥٠٠٠٠٠ جنيه مع ان انكلترا لها ٣٩ في المئة ولا تطالب بامتياز . ناهيك بالخسائر الفادحة التي تنجم عن وقوف حركة التجارة بسبب الحرب

﴿ تبادل الاساتذة بين اميركا واليابان ﴾ قررت ستٌ من جامعات اميركا بالاشتراك ان تستقدم استاذا يابانيا يلقي فيها محاضرات علمية وان ترسل في مقابل ذلك استاذا اميركياً الى اليابان لمثل هذا الغرض — يريدون بذلك توطيد علائق الصداقة بين الامتين

﴿ العمال في انكلترا واجورهم ﴾ في انكلترا ٨٠٠٠٠٠٠ عامل تتفاوت اجورهم من بضع شلينات في الاسبوع الى اكثر من ٤٥ شليناً وقد استخرج بعضهم احصاء مدققاً لذلك فكانت النتيجة كما يأتي :

عدد العمال	اجورهم في الاسبوع
٣٢٠٠٠٠	اقل من ١٥ شيليناً
٦٤٠٠٠٠	من ١٥ — ٢٠ شليناً
١٦٠٠٠٠٠	« ٢٠ — ٢٥ «
١٦٨٠٠٠٠	« ٢٥ — ٣٠ «
١٦٨٠٠٠٠	« ٣٠ — ٣٥ «
١٠٤٠٠٠٠	« ٣٥ — ٤٠ «

٥٦٠ ٠٠٠	من ٤٠ ــ ٤٥ شليناً
٤٨٠ ٠٠٠	اكثر من ٤٥ »
٨ ٠٠٠ ٠٠٠	

﴿ ضحايا الطيران ﴾ بلغ عدد الذين قتلوا في سبيل الطيران مئة شاب من اكثر شبان العالم المتمدن نشاطاً واقداماً

﴿ غارات الطيور على الانسان ﴾ من اغرب ظواهر الطبيعة ان يجتمع الطير اسراباً كالجند الزاحف ويسطو على بقاع الارض فيأكل نباتها ويفسد فيها كما يفسد الجيش الفاتح . وقد يفعل ذلك غير الطير كالارانب التي زحفت على كاليفورنيا منذ عامين فافسدت الحقول واهلكت الزرع . وغارات الجراد اشهر من ان تذكر . واما غارات الطير فاشهرها غارة التدارج (الديوك البرية) على حقول كندا الغربية. واغربها غارة اليمام بالامس على حقول انكلترا فقد ذكروا ان ملايين من اليمام البري اغار على الجنوب الغربي من انكلترا . وهو على معظم فتكه في سهول سالسبوري وقدروا في ولاية ولتشير وحدها نحو ٦٠٠ ٠٠٠ يمامة وهي تسطو على النبات فتأكل الاغراس قبل ان يتم نبتها . واخذت الحكومة في محاربة هذا العدو الزاحف وفرقت البنادق على الفلاحين وعينت لهم اجوراً على العمل مكافأة على السرعة فجعلت بنساً عن اليمامة الواحدة اذا بلغ عدد المقتول في الشهر مئة يمامة . وخمسة بنسات على اليمامة اذا بلغ المقتول في الشهر الف يمامة

﴿ غرائب السرعة في تحضير الصور المتحركة ﴾ من اغرب ما سمع من مدهشات هذا العصر ان اهل باريس شاهدوا مناظر تتويج ملك الانكليز بالصور المتحركة في مساء اليوم الذي جرى التتويج فيه بلندن . ولا يخفى ما بين البلدين من المسافة غير ما يقتضيه تحضير الصور من الوقت مما لا يقل عن بضع ساعات . ولكن الموجين بهذا العمل اعدوا ما يلزم للاسراع فاستأجروا ١٤ منزلاً في الطرق التي يمرّ بها موكب التتويج واقاموا فيها آلات التصوير والمصورين وقد بذلوا المال الكثير للحصول على احسن المنازل الملاءمة لهذا العمل فضلاً عن مراكز اخرى . فبلغ عدد العمال الذين اشتغلوا في ذلك نحو ٢٠٠ عامل ومعهم معدات التصوير . وبلغ طول الصور التي اخذوها نحو ٣٠٠٠ كيلومتر . وكانوا قد اعدوا اسرع وسائل النقل حسب الحاجة فاستخدموا السكك الحديدية والاوتوموبيل والطيارات واسرع سفن البحر . واستأجروا قطراً

خاصة حملوا فيها الآلات والادوات اللازمة لتحضير الصور اي تثبيتها وتجربتها قبل استعمالها . فدبروا كل ذلك في الطريق . فدخلوا باريس وكل شيء حاضر وكانت اماكن السينماتوغراف قد اعدت كل ما يلزم لاتمام العمل . ولم يمس المساء حتى شاهد اهل باريس موكب التتويج سائراً كانهم يرونه في شوارع لندن

﴿ التصوير الفوتوغرافي الملون ﴾ قلنا قبل الان انهم توصلوا الى تصوير المناظر الملونة بالفوتوغراف بحيث تظهر الوانها الطبيعية حال نقلها عن زجاجة التصوير وقد زادوا العمل اتقاناً بحيث اصبح ذلك العمل يجرى بسرعة التصوير الاعتيادي السريع

﴿ الخطوط الحديدية في افريقيا الغربية الفرنساوية ﴾ لفرنسا عناية كبيرة في تعمير مستعمراتها في غربي افريقيا بمد الخطوط الحديدية وغيرها من وسائل النقل وبلغ طول الخطوط الحديدية هناك ٢٣١٥ كيلو متراً في السنيغال والنيجر وشط العاج وداهومي . وانفقت في كل ذلك مالاً طائلاً وهي آخذة في ايصال هذه الخطوط بعضها ببعض وبغيرها لا تبالي بما تبذله في هذا السبيل من المال

﴿ الجرائد في العالم ﴾ يؤخذ من احصاء للصحف وضعه المجمع العلمي الدولي للكتب سنة ١٩٠٨ عن جرائد اهم الممالك الاوربية كما يأتي مرتبة الاكثر فالاكثر

عدد الجرائد		عدد الجرائد	
٨٩٤٠	فرنسا	١٦٦١	روسيا
٨٠٥٠	المانيا	١٣٥٠	اسبانيا
٤٣٢٩	انكلترا	١٣٣٢	سويسرا
٣٠٦٨	ايطاليا	١٤٠٢	هولندا
٢٠٦٨	بلجيكا		

فاذا جعلنا الصحافة قياس الرقي الاجتماعي اوالسياسي كانت فرنسا في مقدمة دول هذا التمدن تليها المانيا فانكلترا وعدد الصحف في هذه نصف عدد صحف فرنسا . ولكن ليس العبرة بكثرة الصحف فقط بل في اهميتها ايضاً وفي عدد النسخ التي تنشر منها

مطبوعات جديدة

١ - كتب تاريخية

﴿ المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ﴾ المصادر التاريخية متعددة ومن اهمها المحررات الرسمية التي تجري بين الدول او بين الرعايا وحكامهم . فانها اوثق المصادر التي يعول عليها في كتابة التاريخ . ومثل هذه المحررات كثير في لغات اوربا اما في العربية فانها نادرة واهمها كتاب « المحررات السياسية والمفاوضات الدولية » عن سوريا لبنان من سنة ١٨٤٠ — ١٩١٠ م نقله الى العربية الشيخان فيليب وفريد الخازن صاحبا جريدة الارز . وقد صدر منه الجزءان الاول والثاني في نحو الف صفحة تحتوي على المحررات السياسية من يونيو سنة ١٨٤٠ الى اواخر اكتوبر سنة ١٨٦٠ ويدخل في ذلك المخابرات التي جرت بين الدول والدولة العلية ومصر بشأن اخراج ابراهيم باشا من سوريا ونفي الامير بشير . وما توالى على سوريا ولبنان من الثورات المتوالية الى حادثة سنة ١٨٦٠ ويطلع القاريء هناك على مخبآت سياسية لم تكن تخطر له ببال من الدسائس والمساعي • ويجد حقائق تحل كثيراً من غوامض السياسة الجارية في الدولة العثمانية . وبين هذه المحررات كتب منقولة عن اصول خطية محفوظة عند بعض الاسر القديمة من بيت الخازن وغيرهم . وفي نشر هذا الكتاب خدمة جليلة للتاريخ يستحق عليها رصيفانا الخازنان اجل الثناء . والكتاب يطلب من مطبعة الصبر في جونيه (لبنان) . ويحسن بنا في هذا المقام ان نستلفت انظار اولي الامر بمصر الى ما في الدفترخانة المصرية من هذه الكنوز التاريخية لنشر ما فيها من المحررات السياسية خدمة للتاريخ على العموم وتاريخ مصر الحديث على الخصوص

﴿ تاريخ حرب فرنسا وبروسيا ﴾ هو تاريخ حرب هاتين الدولتين سنة ١٨٧٠ تأليف صديقنا جرجي افندي يني الطرابلسي منشيء مجلة المباحث وقد عني بنشره يوسف افندي البستاني المحرر في الجريدة بمصر . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ الاخبار السنية في الحروب الصليبية ﴾ صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب لمؤلفه سيد افندي علي الحريري وقد زاد فيه ووسعه عن الطبعة الماضية وزينه بالرسوم • وهو فريد في بابه بالعربية ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة

١٢ غرش والبوسطة غرش ونصف

﴿كشف الستار عن الاسرار﴾ هو مذكرات احمد عرابي باشا عن الثورة العرابية . وقد كتب الينا حضرة محمد بك آصاف بمصر وهو من المولعين بالكتب واقتنائها ان المرحوم عرابي باشا فوض اليه نسخ هذه المذكرات واقتنائها بين كتبه وعهد اليه بتصحيحها • وهو عامل على استنساخها وربما نشرها بالاشتراك مع اولاده اذا اذنت الحكومة بذلك وفي نشرها فائدة تاريخية هامة

﴿اطلس حافظ﴾ هو اطلس جغرافي مقرر لتلامذة المدارس المصرية يحتوي على عدة خرائط جغرافية ونماذج رسوم تخطيطية تأليف احمد افندي حافظ بالبوسطة المصرية ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

٢ — المجلات والجرائد

﴿البيان﴾ مجلة ادبية تاريخية فلسفية اجتماعية انتقادية اقتصادية تصدر بمصر مرة في الشهر في ٨٠ صفحة لصاحبها عبد الرحمن افندي البرقوقي ويشترك في انشائها معه محمد افندي السباعي بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً

﴿الآثار﴾ مجلة ادبية علمية تاريخية تصدر في زحلة (لبنان) مرة في الشهر لمنشئها ومديرها المسئول عيسى افندي اسكندر المعلوف والقراء يعرفونه من نفثات اقلامه في الهلال وغيره. بدل اشتراكها ستة فرنكات في المملكة العثمانية وعشرة فرنكات في الخارج

﴿العريس﴾ مجلة علمية ادبية اجتماعية فكاهية تصدر في حمص (سوريا) مرة في الشهر لمنشئيها الافندية سيب محمود شهاب ووديع نصار وفاضل الجمل بدل اشتركها ريال وربع

﴿الجامعة الاسلامية﴾ مجلة دينية علمية ادبية تاريخية تصدر في مصر مرتين في الشهر لصاحبها محمد افندي احمد عفيفي بدل اشتراكها ٣٠ غرشاً بمصر و٤٠ في الخارج

﴿القمر﴾ مجلة نصف شهرية تطرق كل المواضيع الا السياسة تصدر في دير القمر (لبنان) لمنشئها وليم افندي دياب نعمة بدل اشتراكها ريال في دير القمر وريال ونصف في غيرها

﴿الشبيبة﴾ مجلة علمية ادبية روائية تصدر في حمص مرة في الشهر لمنشئيها عبد الباقي افندي الدربي وعبد الكريم افندي صباغ بدل اشتراكها في الخارج مجيدي وربع

﴿ لغة العرب ﴾ مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية تصدر في بغداد على يد الآباء الكرمليين لصاحبها الاب انستاس ماري الكرملي ومديرها كاظم افندي الدجيلي بدل اشتراكها في الديار العربية ٩ فرنكات وفي الخارج ١٢ فرنكاً

﴿ النصائح العلمية ﴾ مجلة دينية ادبية تاريخية تصدر لجمعية الارشاد الاسلامي بمصر مرة في الشهر صاحب امتيازها الشيخ عبد الحميد جلبي بدل اشتراكها ٢٠ غرشاً

﴿ الاصلاح ﴾ مجلة اصلاحية اجتماعية ادبية تصدر في عالية (لبنان) مرة في الشهرة لصاحبها الشيخ علي بك ناصر الدين صاحب جريدة الصفاء . بدل اشتراكها في الخارج سبعة فرنكات

﴿ الرقيب ﴾ جريدة اسبوعيـــة تهتم بنوع خاص بنشر رسوم عظماء الرجال وصور المجرمين والهاربين والمنفيين تصدر بمصر لصاحبها جورج افندي طنوس بدل اشتراكها مئة غرش صاغ

﴿ المعتدل ﴾ جريدة سياسية يومية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبهـا ورئيس تحريرها عزيز افندي سليم صعب بدل اشتراكها ١٠٠ غرش

﴿ الاتحاد ﴾ جريدة اجتماعية تاريخية علمية ادبية اخبارية تصدر في نيويورك باميركا لمنشئها يوسف افندي الياس يواكم بدل اشتراكها في الخارج خمسة ريالات.

﴿ جادة الرشاد ﴾ صحيفة اخبارية اجتماعية تصدر في حمص (سوريا) مرة في الاسبوع لصاحبها حنا افندي خباز ومديرها نجـله ناجي افندي . بدل اشتراكها في سوريا عشرة فرنكات وفي الخارج نصف جنيه

﴿ خان الذهب ﴾ جريدة هزلية فكاهية تصدر في بغداد مرتين في الاسبوع لصاحبها توجله زاده محمد سعيد لطفي بدل اشتراكها في الخارج ٢٠غرشاً

﴿ البلاغ ﴾ جريدة اصلاحية سياسية اجتماعيـــة تصدر في بيروت مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي الباقر ونصوح افندي بكداش بدل اشتراكها مجيديان في تركيا و٢٠ فرنكاً في الخارج

﴿ الوطنية ﴾ جريدة اسبوعية علمية اخبارية سياسية لصاحبها ايوب افندي صبري ومحمد أفندي القلقيلي صدرت في بيروت ثم انتقلت لمصر. بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً

﴿ الاتفاق ﴾ جريدة تبحث في كل شيء تصدر في جزين (لبنان) مرة في الاسبوع لصاحبها سعيد افندي مبارك رزق ومديرها الدكتور حبيب ناصيف بدل اشتراكها مجيدي في لبنان و٣٥ غرشاً في الخارج

٣ — الشعر والروايات

﴿ ديوان البحتري ﴾ هو اشهر من ان يعرف صدر الجزء الاول منه مضبوطاً بالشكل الكامل في ٤٠٠ صفحة وقد ضبطه وعلق حواشيه رشيد افندي عطية وطبع بنفقة رزق الله افندي سركيس في بيروت ويطلب من حضرته

﴿ ديوان ايليا ضاهر ابو ماضي ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الديوان ويطلب من المطبعة المصرية بالاسكندرية

﴿ الدر النضيد ﴾ هو منظومات شعرية لبعض اسفار العهدين القديم والحديث كامثال سليمان وولادة المسيح ودخوله الهيكل وغيرها . نظمها نجيب افندي اللاذقاني

﴿ احسن القصص ﴾ او رواية ابنتي سنية صدر الجزء الثاني منها لصاحبها صالح بك حمدي حماد . وهي تطلب من حضرته بمصر ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

﴿ غرازيلا ﴾ رواية فلسفية اخلاقيـة ادبيـة تأليف لا مارتين الشاعر الفرنساوى ونقلها الى العربية اسكندر افندي كرباج في سان باولو (البرازيل)

﴿ مصرع الظالمين ﴾ رواية ادبية تاريخية تمثل الظلم والانتقام والامانة والطهارة وضعف المراة وقوة الرجل لتوفيق افندي سعيد الرافعي تطلب من مكتبة التأليف بمصر

﴿ الحسناء المتنكرة ﴾ رواية تاريخية غرامية تأليف اميل سلفاري الكاتب الايطالي وقد نقلها الى العربية خليل افندي بيدس منشىء مجلة النفائس العصرية

﴿ يا حسرتي عليك يا زعيتر ﴾ هي رواية عصرية تمثل حال المهاجرين السوريين الى اميركا وما يقاسونه في هـذا السبيل وفيها تمثيل كثير من الاخلاق والآداب باسلوب رقيق خفيف الروح تأليف شكري افندي الخوري صاحب جريدة ابو الهول وتطلب من حضرته في سان باولو (البرازيل)

﴿ رواية البائسين ﴾ هي الرواية الشهيرة باسم الميزرابل (Misérables) لفيكتور هوكو . وقد حاول نقلها الى العربية غير واحد اشتهر منهم نجيب افندي غرغور وحافظ افندي ابراهيم ولم يوفق احدهم لاتمام هـذه العمل الشاق . وبين يدينا الان ترجمة لزميلينا جرجي افندي وصموئيل افندي يني صاحبي مجلة المباحث بطرابلس الشام . صدر منها الجزء الاول في مئتي صفحة والعمل جار في نشر سائر الكتاب . وقد اشارا في المقدمة انهما اقدما على تعريبه بعبارة بسيطة لينال منه عامة القراء الفائدة المطلوبة . ولم يزيدا على ما قال حرفاً ولا انقصا معنى وانما اوضحا بعض ماوجدا حاجة الى ايضاحه بين هلالين والكتاب يطلب منهما

﴿ سلطان الضلال ﴾ رواية تشخيصية تهذيبية تأليف طولستوي الفيلسوف الروسي المشهور . وقد نقلها الى العربية محمد افندي المشيرقي المترجم بالدولة التونسية وصدرها بترجمة حياة الرجل وامثلة من اقواله وآرائه . ويطلب من حضرته

﴿ التعليم الادبي ﴾ هو كتاب يدل اسمه على موضوعه صدر القسم الاول منه في الاخلاق والاداب لمؤلفه جرجي بك ديمتري سرسق اوضح فيه حقيقة الضمير الادبي واحكام الاداب ونتائجها والواجبات المتعلقة بالقوى والمختصة بالجسد وبالانسانية والوطنية والعائلة على اسلوب لذيذ وتطلب من المطبعة الادبية في بيروت

﴿ منتخبات البيان والتبيين ﴾ البيان والتبيين من اهم مؤلفات الجاحظ الامام المشهور وقد عنيت مكتبة الرغائب بنشر منتخبات منه في كتاب على حدة وصدرت طبعتها الثانية وهي تطلب منها

٤ — كتب طبية وعلمية

﴿ العلاج بعد العمليات ﴾ هو كتاب علمي جراحي تأليف الدكتور لوكهارت ممري . وقد نقله الى العربية الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب بعد الاستئذان من مؤلفه . وهو يبحث في علاج الجروح والنزف بعد العمليات والصدمة والمضاعفات بعد التخدير وتخثر الدم والطفح الذي يعقب العمليات والتسمم بالعقار . والعمليات في الفم والانف والراس والعنق والصدر والبطن والجهاز البولي وغير ذلك مما يهم الاطباء معرفته . وفي الكتاب ٣٨ رسماً . ويطلب من حضرة المؤلف في قليوب وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد غرش

﴿ الهبنوتزم او التنويم المغناطيسي ﴾ هو كتاب علمي عملي تأليف جمعية المباحث النفسية باوربا وقد نقله الى العربية شكري افندي صادق . واتينا بمثال منه في هذا الهلال وهو يطلب من حضرته ومن سائر المكاتب وثمن النسخة ٨ غروش

﴿ لمحة الناظر في مسك الدفاتر ﴾ هو كتاب جزيل الفائدة لكتاب التجارة لانه يعلم الحسابات التجارية المعروفة بالدوبيا على أسهل طريق لضاهر افندي خير الله الشويري القانوني الاصولي • وبين يدينا الطبعة الرابعة منقحة وفيها زيادات عن الطبعة الثالثة وفي شهرة حضرة مؤلفه الاستاذ ما يغني عن الاطناب

﴿ قانون بني عثمان ﴾ هو القانون العثماني المعروف بآصف نامه تأليف لطفي باشا وزير السلطان سليمان الكبير وقد نشره في العربية مع مقدمة وحواش الاب لويس شيخو اليسوعي

ولحظت لمياء وهي منزوية ان الحسين بن جوهر لما وصل الى جانب غرفتها التفت كأنه يلتمس ان يرى احداً . وسمعت اباه يقول له بصوت منخفض « لا شك انك لو رايتها ما تمالكت عن الاعجاب بها لانها جمعت بين مهابة الرجال ولطف النساء . »

فقال الحسين « اني لا أراجعك في شيء تراه . . وانت اعلم مني وأوسع اختباراً لكنني لا أثق بابيها ولا اظنك تجهل ما في خاطره و ... »

وكانا يتكلمان وهما ماشيان فلم تسمع لمياء من حديثهما الا نتفاً فهمت منها انهما يتحادثان بشأن خطبتها له فوقعت في حيرة وخافت ان يطلب منها الزواج به وهي عالقة القلب بسالم وان كانت لا تعرف مقره

وكانت لمياء مع بسالتها وقوة بدنها قوية العواطف اذا أحبت تمكن الحب من قلبها حتى يشغلها عن كل شاغل لا سيما وان سالماً اول شاب عرفته واحبته

ثم عادت فسمعت جوهر يخاطب ابنه وقد عادا من حيث أتيا واتما الحديث فاصغت لعلها تسمع تمة الكلام فسمعت جوهر يقول « ان معاملة هؤلاء بالحسنى اولى بنا وأقرب الى جمع القلوب . وصاحب سجلماسة من أولى الامراء بذلك . . . »
ثم انقطع الحديث من البعد فاصبحت لمياء أشد رغبة في الاطلاع عليه فاصغت لسماعه عبثاً . فقعدت وهي تصلح خمارها وتعمل فكرتها واذا هي تسمع لغطاً فيه صوت ابيها فاجفلت ثم رأت اباها وجوهر ماشيين وجوهر يحتفي بحمدون ويلاطفه . ومن قوله له « لا ريب ان مولانا المعز يقدّر صاحب سجلماسة حق قدره وطالما ذكرك في غيابك واثنى على علو همتك »

فقال حمدون « نحن نفتخر ان نقوم بنصرة ابن فاطمة الزهراء »

ثم بعد الصوت وعلمت لمياء من هذا الحديث ان اباها وجوهر ذاهبان الى المعز بزيارة وربما كان ذلك بشأنها . فاشتغل خاطرها لئلا يعدهم ابوها بها او يخطبها للحسين وهي لا تريد . فمشت من غرفتها وهي تود ان تحضر تلك الجلسة لتعلم ما يدور بين ابيها والمعز بشأنها . ولكنها لم تجد وسيلة الى ذلك الا على يد ام الامراء وكانت تسمع بمشاركتها زوجها بالآراء احياناً حتى كثيراً ما كانت تحضر مجالس المداولة من وراء ستار[1]

---

(١) المقريزي ج ١

الفصل التاسع

لمياء وأم الامراء

وكانت ام الامراء قد اعجبت بلمياء كل الاعجاب وأحبتها من كل قلبها . وكذلك لمياء فانها احبت ام الامراء واستأنست بها كأنها تعرفها من اعوام وقد هان عليها ان تكاشفها بما يكنه قلبها وتستشيرها في امرها وتستعينها في حاجتها . فذهبت تطلبها في غرفتها فلم تجدها فلقيت حاضنتها — وهي امرأة رومية الاصل استجلبها المعز من صقلية لما دخلت في حوزته في جملة نساء حملهن للخدمة وتدبير المنزل . وقد استلطفتها لمياء ورأت منها انعطافاً نحوها فسألتها عن ام الامراء فقالت « قد ذهبت في شغل وستعود قريباً » ودعتها للقعود

فقعدت وخاطرها مشغول بمسير والدها الى المعز مع جوهر فاحبت ان تشغل نفسها ريثما تأتي ام الامراء فقالت للحاضنة يا خالة « يظهر لي من ملامحك انك لست من اهل هذه البلاد . . »

قالت « صدقت اني من صقلية يا سيدتي »

قالت « فانت اذن رومية الاصل .. »

قالت « نعم وافتخر باني من نفس البلد الذي منه اكبر قواد امير المؤمنين »

فعلمت انها تعني جوهر القائد فقالت « وهل القائد جوهر من صقلية ايضاً ؟ »

قالت « نعم يا سيدتي انه من نفس ذلك البلد . الا يحق لي ان افتخر به ؟ »

قالت « كيف لا ؟ وهو موضع فخر اهل هذه الدولة . نصره الله على اعدائه »

وهي في ذلك جاءت ام الامراء وهي تمشي مشية النشاط لا تتثاقل تثاقل اهل الترف فتراجعت الحاضنة وخرجت . ووقفت لمياء وهي تبتسم وتنظر الى ام الامراء نظر شاكر بهج . فاجابتها تلك بمثل ذلك وتناولتها بيدها على غير كلفة ودخلت بها الى مخدعها الخصوصي وهي تقول « احب ان اراك تستأنسين بي وتعدّي نفسك ابنة لي »

فاكبت لمياء على يدها فقبلتها ودموع الفرح تتساقط من عينيها وقالت « لقد غمرتني بفضلك يا سيدتي ما لم يعد في امكاني القيام بشكره .. كفى ... ان ذلك فوق ما استحقه او يخطر ببالي »

قالت وهي تقربها من وسادة في صدر الحجرة وتقعدها بجانبها «انك اهل لاكثر من ذلك يا لمياء ولا فضل لي اذا احببتك فاني لم اسمع احداً يذكرك الا اعجب بك وبكمالك وهيبتك ... هذا قائدنا جوهر انه شديد الاعجاب بك وقد رغب في تقريب والدك من امير المؤمنين اكراماً لخاطرك • وقد جاء به الآن وسيدخلان اليه ولا شك ان المعز سيحل اباك محلاً رفيعاً اكراماً لقائده .. » وسكتت وبلعت ريقها وهي تنظر الى لمياء وتتأمل ملامحها وما يبدو منها فرأتها مصغية لا يبدو على وجهها شيء من الاضطراب • فعادت الى اتمام حديثها فقالت « وبلغ من افتتان قائدنا بك انه احب ان يأخذك اليه ويجعلك ابنة له . . »

فظهرت البغتة على لمياء واطرقت حياء فابتدرتها ام الامراء قائلة « لا اعني ان تصيري ابنة له دون ابيك بل هو ينوي ان يخطبك ... الى ابنه الحسين . . هل رأيت هذا الشاب ؟ .. لا ينبغي ان تخجلي مني •• اتخذيني اماً لك »

فتصاعد الدم الى وجنتي لمياء وابرقت عيناها من التفكير وقالت « اشكر لك هذا الاحسان يا سيدتي . نعم اني يتيمة الام ولكنني في حضن ام تتمنى كل فتاة ان تكون امها — نعم ينبغي لي ان اخاطبك بحرية اما من جهة رؤية الحسين بن جوهر فاني لم اره الا في هذا النهار عرضاً وهو مار في الحديقة مع ابيه . . »

فقطعت ام الامراء كلامها قائلة « لم يكن مجيئه عرضاً ولكنه جاء عمداً ليرى الفتاة التي حدثه ابوه عنها .. طيب وماذا تضمرين بعد ذلك ؟ »

فتنهدت لمياء وهمت بالكلام واسكتها الحياء فادركت ام الامراء انها تخفي شيئاً من قبيل الحب — والنساء يتفاهمن بلغات القلوب اسرع من تفاهم الرجال • فقدمت لها مذبة كانت في يدها تروح بها على سبيل المؤاساة وقالت لها « لا ينبغي لك ان تستحيي مني يا لمياء بعد ما لقيته من حبي لك • ويكفي دليلاً على هذا الحب ان اسعى في تزويجك باحسن شاب في القيروان بعد ابناء الخليفة •• وهؤلاء يا لمياء لم يبلغوا سن الزواج بعد . » وضحكت

فازدادت لمياء خجلاً من هذا التلميح الممزوج بالتقريع على الكبرياء ولم تعد ترى باعثاً على الحياء فتناولت المذبة من يدها ثم اعادتها اليها بلطف وشكر وقالت « لا تظني يا سيدتي اني جاهلة حقيقة قدري او اني لم ادرك مقدار فضلك في ما تعرضينه عليّ فاسمحي لي ان اصرح بحقيقة حالي • اني يا سيدتي مخطوبة •• » وصبغ الحياء وجهها

لم تستغرب ام الامراء قولها لأنها لحظت ذلك فيها من قبل لكنها تجاهلت لتسمع منها هذا التصريح فأجابتها وهي تبتسم « من هو ذلك الخطيب السعيد الذي حظي بك وما اسمه ؟ »

تخجلت من هذا الاطراء وقالت « انه يا سيدتي شاب من اصدقاء والدي عرفته في سجلماسة وله عم كثير التودد لاسرتنا نخطبني اليه واسمه سالم .. »

فقالت « اين هو ؟ »

فاجابت لمياء وهي تهز كتفيها الى الاعلى اشارة الانكار «لا ادري اين هو ولكنني اعلم انه كان في جملة من شهد المعركة الاخيرة التي قضي بها لامير المؤمنين فقادوني ووالدي اسيرين . ولم اعلم اين ذهب سالم »

فضحكت ام الامراء وقالت « يظهر انك تحبينه كثيراً حتى انك مع شكك بوجوده لا تزالين ثابتة في وده »

فتنهدت تنهداً عميقاً واطرقت وقد صبغ الحياء وجهها ولم تجب

فتشاغلت أم الامراء باصلاح ضفائر الشعر المرسلة على صدرها من تحت الخمار وقالت « قد يصح ذلك ولكن هل تحسبينه ثابتاً في حبك لا يلتفت الى سواك ؟ . . ان هؤلاء الرجال لا يركن اليهم . ولا نظني الحسين ابن قائدنا جوهر يتأتى العثور على مثله في جيل من الناس . . ومع ذلك فالخاطر لك . وانا انما اردت خيرك لانني احببتك و ... » قالت ذلك وبان العتب في عينيها

الفصل العاشر

التصريح

فأثر ذلك التوبيخ في نفس لمياء تأثيراً شديداً ورأت قولها معقولاً ولكن قلبها لم يطاوعها على العمل به ولا طاوعها عقلها على الرفض . وهي مع ذلك لاتعلم أين هو سالم . ميتٌ او حي ؟ ولم تر فرجاً من تلك الحيرة الا بالبكاء فجاشت خواطرها وهمت بالبكاء ثم امسكت عواطفها تجلداً وسكتت وهي تبلع ريقها و تغالب نفسها وقد أطرقت لا تبدي حراكا . واظهرت انها تفرس في جلد اسد مفروش هناك

فلم تبال أم الامراء بسكوتها فاتمت كلامها قائلة « ومع ذلك فقد سمعت قائدنا

جوهر يطري شجاعتك وثباتك في حومة الوغى •• فمالي ارى فيك هذا الضعف الآن ؟ »

فلم تعد لمياء تستطيع التمالك فتنهدت تنهداً شديداً ورفعت عينيها الى أم الامراء والدمع يتلألأ فيهما وجلست جثوًّا على سبيل التأدب وقالت وهي تغص بالكلام « لقد غمرتني بلطفك يا سيدتي . اني لا استحق هذا الالتفات . . . نعم لا استحق النعمة التي تعرضينها عليّ ولكنني . . آه . . . لا املك قياد قلبي . . . سامحيني على التصريح لك • قد رأيت من عطفك ولطفك ما يخولني الدالة عليك وان خالفت العادة والطبع . . اني يا مولاتي لا املك من قياد نفسي شيئاً . نعم اني شجاعة في الحرب لا اهاب لقاء الابطال ولكنني مع سالم ضعيفة . . . لا اذكره الا واشعر بانحلال عزائمي وخفقان قلبي ••• ألعل ذلك مايعبرون عنه بالحب ؟ •• وقد سألتني اذا كان يحبني فكيف يمكن ان لا يكون كذلك وانا لا ارى للحياة قيمة بدونه ••» ولما وصلت الى هنا انتبهت لنفسها واحست انها تورطت في التصريح بما لا يجوز لمثلها وانما غلبت على عواطفها فلم تملك امساك هواها • وخجلت من ام الامراء فحولت وجهها نحو الحائط واخذت في البكاء وقد بكت هذه المرة اسفاً على ضعفها وتطلعاً الى رؤية حبيبها سالم وهي لا تعلم اين هو

أما ام الامراء فاستغربت تعلق لمياء بخطيبها ولم تكن تتوقع ان ترى منها ثباتاً وشغفاً الى هذا الحد • فلما آنست منها ذلك قالت « يسرني يا بنية انك تحبين خطيبك الى هذا الحد فان المحبة من اكبر النعم • واطلب الى الله ان يجمعك به واذا رأيت اني قادرة على مساعدتك في ذلك قولي •••اما الحسين فاني سأستمهله لنرى ما يكون — اذ لا يعلم ما في الغيب الا الله ••• »

فهمت لمياء بتقبيل يدها شكراً على صنيعها فابت عليها ذلك وقبلتها برأسها ونهضت وهي تقول « قد تعودت ان اذهب في مثل هذه الساعة الى مقعد لي يشرف على قاعة أمير المؤمنين التي يقابل الناس فيها اطل عليها من وراء حجاب فاشاهد مجلس الامراء واسمع ما يدور بينهم اني كثيرة الاهتمام بشؤون الدولة •• »

فاعجبت لمياء بعلو همتها وقالت « سمعت بذلك عنك » وقد سرّها ان تبدأ هي بالعزم على ذلك ومالت الى مرافقتها فقالت « وهل ترين بأساً من ان اكون معك ؟ »

قالت « كلا •• وبالعكس فاني استأنس بك »

ومشتا في دهليز الى غرفة في أحد جدرانها مقعد على دكة يصعد اليه ببضع درجات وراءه ستر يحجبه • وفي الستر ثقوب اذا شاء الجالس ان يشرف على من في القاعة الكبرى رآهم وسمع اقوالهم • فتناولتها ام الامراء بيدها حتى أجلستها بجانبها على المقعد وقالت لها « انظري من هذا الثقب » فنظرت فاذا هي تشرف على مجلس الخليفة من اعلى الحائط بحيث ترى الجلوس هناك ولا يرونها

رأت قاعة واسعة قد فرشت ارضها باللبود البسيط وقد جلس المعز لدين الله في صدرها على منصة كالوسادة الصغيرة وهو في لباس بسيط بالنسبة الى سواه من الملوك والخلفاء • على رأسه العمامة وعلى كتفيه برنس كالعباءة يغطي اثوابه • وقد التف به وقعد الاربعاء قعود من اتعبه العمل فتربع والقى كوعيه على فخذيه • والى جانبه حسام مغمد وفي يمينه قلم . وفي يساره ورقة من الكاغد ينظر فيها وكاتبه واقف امامه ينتظر امره • فبعد ان تأمل الورقة وضع القلم بجانب دواة بين يديه ودفع الورقة الى الكاتب واشار اليه ان يذهب • ثم تنفس الصعداء وقال « اذا شاء الامراء والمشائخ الدخول فليتفضلوا »

فلما سمعت ام الامراء قوله قالت لمياء « انه يدعو مشائخ كتامة وصنهاجة وهوارة وهم رجال دولته من امراء البربر لعله يريد النظر في امر هام »

فسرت لمياء لهذه الفرصة لترى كيف يعقد مجلس الملوك • على انها ما لبثت ان رأت جماعة من المشائخ والامراء دخلوا والقوا التحية بصوت عال كالعادة • واشار اليهم المعز فقعدوا على وسادات مثل وسادته محيطة بالقاعة • وجعلت لمياء تتفرس فيهم فرأت بينهم وجوهاً تعرفها من قبل ولما استقر بهم الجلوس جعل المعز يرحب بهم وهم يدعون له ثم قال « قد تكبدتم المشقة في المجيء الينا وانما دعوتكم لاريكم حالي من العمل • اذ قد يتصور بعض الذين لا يعلمون ان الامامة من اسباب الراحة والتنعم والانقطاع عن العمل • نعم هي كذلك لمن شغلوا بالترف عن مصالح الدولة كما يفعل صاحب بغداد وصاحب قرطبة وامراؤهم في الاطراف . لان الدنيا شغلتهم عن الامامة الحقة فانغمسوا بالملذات وتقلبوا في المثقل والديباج والحرير والسمور والمسك والخمر مثل سائر ارباب الدنيا

واما انا فقد احببت استقدامكم لاريكم كيف ينبغي أن يكون الامام • انظروا الى هذا الكساء والجبة وها انا جالس على اللبود وهذه الابواب مفتحة تفضي الى خزائن الكتب وانا اشتغل بمكاتبة الاطراف بيدي لا التفت الى أمور الدنيا الا بما

يصون ارواحكم ويعمر بلادكم ويذل اعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما افعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم »

فتصدى شيخ منهم اكبرهم سناً وقال « ان امير المؤمنين قدوتنا ونعم المثال هو »

فقال اذا فعلتم ذلك يقرب الله منا امر المشرق كما قرب امر المغرب •• انهضوا رحمكم الله ونصركم »

فوقفوا وحيوه وخرجوا وقد امتلأت قلوبهم هيبة ولمياء تعجب لسرعة صرفهم وادركت ام الامراء فيها ذلك فقالت « لا بد لسرعة صرفهم من سبب فقد تعودت ان اجلس هنا ساعات اسمع مباحثاتهم في اهم الامور »

ولم تتم كلامها حتى سمعت المعز يصفق وهو يقول « خفيف ! » فحضر غلامه وقال « ذكرت لي منذ هنيهة ان قائدنا يحب ان يرانا على حدة فاسرعنا في صرف شيوخ كتامة لنتفرغ له . ادعهُ »

فخرج الغلام وهمست أم الامراء قائلة « هذا هو السبب في سرعة صرفهم •• ان جوهر قادم اليه . . لله دره من رجل باسل »

فلما سمعت لمياء اسمه تذكرت انها رأته ذلك اليوم في الحديقة مع ابيها وخطر لها انها رأته ايضاً مع ابنه الحسين فخفق قلبها لانها اصبحت تخاف أن تراه بعد أن دار مادار بينها وبين ام الامراء بشأنه وتخاف اذا تكرر الترغيب فيه أن يخونها قلبها فتميل اليه وهي لا تريد أن يكون لاحد نصيب من فؤادها غير سالم

الفصل الحادي عشر

الخطبة

وما كادت تفكر في ذلك حتى رأت جوهر في وسط القاعة وقد أمسك اباها حمدون بيده كانه يقدمه الى المعز وهو يقول « اقدم لمولانا امير المؤمنين الامير حمدون صاحب سجلماسة صديقنا الجديد »

فنظر المعز اليه وابتسم ابتسام الملوك وقال «اهلاً بصديقنا •• ارجو ان لا يكون في خاطره شيء من نحونا »

فاسرع حمدون وترامى بين يدي المعز كالمستغيث — وقد فعل ذلك مبالغة بالتزلف وقال « لقد اسعدنا الحظ بهذه الصداقة وهي شرف لنا ولو عرفنا مناقب الامام من قبل لجئناه بغير حرب »

فانهضه المعز بيده واشار اليه ان يجلس بجانبه على وسادة وهو يرحب به ويبتسم • وأشار الى جوهر ان يقعد فقعد وهو مسرور من نجاح مهمته في مصلحة الدولة بتقريب هذا الامير للطاعة لانه صاحب جاه واسع وحزب كبير

جلس حمدون وهو يظهر التأدب بحضرة المعز لكن عينيه كانتا تجولان خلسة في اطراف القاعة لا تستقران على حال كانهما عينا لص • على انه كان في وجهه هيبة الامراء

اما لمياء فلما رأت والدها هناك سرت لتقربه من المعز لانها كانت تعلم ما في خاطره عليه وانه لم يكن اثقل على قلبه من ذلك الاسر • فسرها اولاً انه رضي بارسالها الى بيت الخليفة وزاد سرورها انه تقرب منه • وهي تودّ ذلك من جملة وجوه اهمها اعتقادها الكرامة بالمعز لانه من نسل فاطمة الزهراء وهي حسنة الاعتقاد بالشيعية • وانما كان همها بعد ذلك ان يأتي سالم ويتقرب الى المعز فيتم لها السرور • وان كانت من فطرتها عزيزة الجانب ميالة الى الاستقلال وقد حاربت في سبيله ولم تسلم الا قهراً • لكنها لم تكن راضية عن أعمال والدها فان بين أخلاقها واخلاقه بوناً عظيماً . وقد لقيت من المعز وامرأته كل رعاية واكرام فوطنت النفس على التفاني في مصلحتهما وانما ينقصها العثور على سالم واقناعه بالتسليم معها • ومع علمها بصعوبة تسليمه كانت تعتقد انها تقدران تتغلب عليه بالدالة والبرهان

اما المعز فالتفت الى جوهر لفتة صديق معجب بصديقه وقال يسرني كثيراً ان تجتمع كلمة شيعتنا على المطالبة بحقوقنا . »

فقال جوهر « ان ذلك هين بتوفيق مولانا اعزه الله • وانا اعدّ تقريب امير سجلماسة الباسل فألاً مباركاً . لانه رجل حرب وله اعوان يتفانون في نصرته فبمثله يعز الملك »

فقال حمدون « اني افاخر سائر الامراء بهذه الحظوى بين يدي امير المؤمنين وقد اصبحت الآن سيفاً من سيوفه اناضل عنه الى آخر نسمة من حياتي — اقول ذلك عني وعن رجال قبيلتي . . »

فابتسم المعز وقال « انك اذا فعلت ذلك انما تنصر الحق كما انصره انا • وان امامتي

على رجالي لا تميزني عنهم بشيء من مرافق الحياة . بل انا اكثرهم تعباً وسهراً كما ترى مما بين يدي من الاعمال — انى اعمل بيدي ما لا يعمله صاحب بغداد ولا صاحب قرطبة . انظر في كل شيء بنفسي — لا اقول ذلك افتخاراً ولكنني اقول الحق فما انا امامكم الا بما خصني به الله من النسب الطاهر وأما في ما خلا ذلك فانا واحد منكم »

فقال حمدون وهو يظهر الاخلاص « اني احمد الله بما منّ عليَّ به من نعم امير االمؤمنين وسيرى مني ما تقرُ به عينه وتنبسط نفسه »

فابرقت أسرة جوهر فرحاً بنجاح مسعاه ونظر الى المعز نظرةً فهم المعز مراده منها فالتفت الى حمدون لفتة تودد وقال « وما انا راض لامير سجلماسة بما اردته لغيره من الامراء المقربين . بل انا احب ان اختصه باكرام لم ينله سواه .. انت تعلم منزلة قائدنا جوهر حامي حمى هذه الدولة انه صاحب المنزلة الاولى عندنا فنحب ان نزيد اسباب القربى بينك وبينه . وهي قربى لنا ايضاً »

فادرك حمدون غرضه ولكنه تجاهل وقال « ان أمر مولانا مقبول على الرأس والعين .. فليأمر بما يراه »

قال « نحب ان نخطب ابنتك لمياء الى الحسين بن قائدنا جوهر وهو من خيرة الشبان — فهل توافقني على ذلك ؟ »

فبادر حمدون الى الجواب بلهفة وقال « ان هذا شرف عظيم لنا يا سيدي .. ان لمياء لا تستحق هذه النعمة لان جوهر حفظه الله قدوة القواد . وان لمياء جارية امير المؤمنين يضعها حيثما شاء .. لامير المؤمنين الامر ولنا الطاعة »

وكانت لمياء وهي تسمع كلامهم من وراء الستر تخاف ان يفضي الحديث الى هذه الغاية فلما سمعت اتفاقهما على الخطبة اجفلت وارتبكت والتفتت الى أم الامراء لفتة مستغيث . فضمتها الى صدرها ولم تزد . فرفعت لمياء راسها لتنظر في عيني ام الامراء لعلها تفهم مرادها من ذلك التحجب فرأتها تضحك ضحك من ظفر بغنيمة . فاشتبه عليها امرها وهي لا تدري ماذا تعمل واخذتها الرعدة وترقرق الدمع في عينيها

فهمست ام الامراء في اذنها قائلة « لم تقبلي ذلك الطلب مني فها قد اتفق عليه والدك وامير المؤمنين فهل من سبيل الى الرفض ؟ »

فاجابتها لمياء بهز رأسها هزّ الانكار ولسان حالها يقول « اني لا ازال على عزمي . »

فاشارت ام الامراء بسبابتها على فمها « ان اصبري الآن وسنرى »

فسكتت واذا هي تسمع المعز يقول « بارك الله فيك اني اهنيء ابن قائدنا بهذه الفتاة كما اهنئها به لانه من خيرة الشبان فعسى ان تكون راضية بذلك »

فقال حمدون « انها لا شك راضية ..كيف لا ترضى بما رضي به لها امير المؤمنين ووافق عليه والدها ؟ »

فلم تعد لمياء تصبر على سماع ذلك فنهضت تريد الانزواء نفوراً من ذلك الحديث فامسكتها ام الامراء واجلستها • فاطاعت وسكتت وهي تكاد تميز غيظاً و لا تعلم ماذا تعمل •

اما المعز فتزحزح من مجلسه اشارة للصرف • فوقف جوهر وحمدون واستأذنا بالانصراف فاذن لهما وهو يقول « نترك تعيين وقت العقد لقائدنا ونحب ان يكون ذلك في حضرتنا اكراماً للعروسين »

انصرفا وتركا لمياء على مثل الجمر وقد جمد الدم في عروقها وتولتها الدهشة وحق لها ذلك فانها مع شدة تعلقها بسالم لا ترى مندوحة عن طاعة والدها وامير المؤمنين »

الفصل الثاني عشر

الحيرة

نهضت ام الامراء واخذت لمياء بيدها تخفيفاً عنها • وقد شعرت بما هي فيه من الارتباك فمشت لمياء معها وهي مستغرقة في الهواجس لاتنبس ببنت شفة

حتى اذا وصلتا الى حجرة ام الامراء استأذنت لمياء بالانصراف الى الغرفة التي اعدت لنامها • وكانت الشمس قد مالت الى المغيب فدعتها ام الامراء الى البقاء عندها فاعتذرت انها تشعر بصداع شديد لا ترى وسيلة للتخلص منه بغير النوم • فاذنت لها حباً باطلاق الحرية لها لئلا يؤثر الضغط على نفسها واضمرت ان تتفقدها بعد هنيهة

سارت لمياء وهي تتعثر باذيالها ولم تصل غرفتها حتى احست بخوارقواها فاستلقت على فراشها وقد انقبضت نفسها وزادها غروب الشمس انقباضاً •واخذت تفكر في ما هي فيه من الضيق فرات انها لولاحبها سالماً لكانت في سعادة لا مثيل لها لانها ستخطب لابن اكبر القواد على يد احسن الخلفاء في دار الملك •وقد تقربت من أم الامراء

وتصادقتا • وهي تشعر ان هذه الملكة تحبها حقيقة . فلم يكن اسعد حالاً منها لولا تعلقها بسالم وارادت ان تقنع نفسها بتركه والرضى بتلك النعم فلم تستطع • وحالما خطر لها ذلك الخاطر احست بشيء كالملقط قبض على قلبها

وأخذت تغالب عواطفها وتخاطب نفسها وهي جالسة على الفراش قائلة « لعل أم الامراء مصيبة في قولها عن الرجال انهم لا يحفظون ذماماً كالنساء . . ولكن سالماً ليس مثله سواه . كيف افكر في غيره وقد تعاقدنا • • لله ما هذه الافكار الشيطانية ليس في الدنيا اكبر نفساً واجمل خلقاً من سالم — ليست السعادة بالمال ولا في الجاه . . ان السعادة في الحب . . مهما عارضتني صروف الدهر وعاندتني وتراكمت عليّ فاذا تذكرت سالماً وانه يحبني شعرت بلذة وراحة لا مثيل لها ــ ما اجمل الحب واحلاه ... ولكن هل سالم يحبني كما احبه ؟ . »

وهي في ذلك طرق الباب فاجفلت فرأت صقلبياً يحمل مصباحاً وقف بالباب وهو يقول « ان مولاتي أم الامراء امرتني ان ابير لك هذا المصباح » ووضعه على رفّ في الحائط مصنوع لهذه الغاية وقال « الا تريد مولاتي ان آتيها بالطعام للعشاء »

قالت « كلا . اني لا اشعر بالجوع وارجو ان تبلغ مولاتنا ام الامراء شكري الجزيل على افضالها »

فانحنى وهمّ بالخروج • فاستوقفته وقد خطر لها خاطر جديد فقالت « هل انت من خدم هذا القصر؟ »

قال « نعم يا سيدتي هل تحتاجين الى شيء ؟ »

قالت « احب ان ارى مولاتنا اين هي ؟ »

فقال « هي هنا يا سيدتي » وتنحى

فاستغربت قوله • واذا بام الامراء بالباب فبغتت لمياء لوجودها هناك وقالت « كيف حضرت يا سيدتي . . واين كنت »

فضحكت واشارت الى الخصي فانصرف وضمت لمياء الى صدرها وقبلتها وقالت « اتظنين اني غافلة عما انت فيه ؟ اذنت لك بالانصراف الى مخدعك وقلبي يراعيك ولم اتمالك عن ان اجيء بنفسي لاراقب حركاتك • وانما ارسلت الصقلبي قبلي ليرى هل انت نائمة »

فلما سمعت كلامها اكبت على يديها وجعلت تقبلهما قائلة « بالله يا سيدتي ما هذه النفس الكريمة ما هذه الاخلاق العالية ما هذا الحنو الوالدي ..هل استحق

منك هذه العناية ؟ ان شعورك معي في هذه المشاكل خففها » وسكتت وهي تدعو ام الامراء للجلوس على فراشها

فاجابتها « قلت لك اني احببتك وانا لا اقول جزافاً . ثم اني اعلم الناس بما يكنه قلبك فقلت في نفسي لعلي اذا جئتها وكانت مضطربة ان اخفف عنها شيئاً »

فتنهدت لمياء وسبقتها العبرات وقالت « لقد خففت عني كثيراً ولكن ... »

فمسحت ام ألامراء دموع لمياء بمنديلها وقالت « انك يا بنية حملت نفسك التعب باختيارك .. ان النصيب الذي عرض عليك لو عرض على احسن نساء العالمين لفرحت به وانت لا ... » وبلعت ريقها واستغنت عن التصريح بالاشارة

فقالت لمياء « هذا كله اعلمه وقد حاولت ان اقنع نفسي فاذا انا عاجزة عن ذلك .. اني ضعيفة مسكينة ..آه من الحب ... سامحيني ياسيدتي على هذه الحرية في خطابي ... اردت ان اقنع نفسي ان ما سيدعوني اليه والدي سعادة لا ترد فشعرت بقشعريرة ارتعدت لها فرائصي . . لا اقدر . . . لا اقدر ان اتسلط على نفسي .. اني لا املك رشدي يظهر اني مجنونة .. »

فضحكت ام الامراء على سبيل المداعبة وقالت « هل تشكين في ذلك ؟ الا تعلمين ان العلماء يسمون الحب الشديد جنوناً .. »

قالت « مهما يكن فاني غير قادرة على التخلص من هذه الهواجس . . بالله اشفقي عليّ وارفقي بي .. »

قالت « اني مستعدة لما تريدينه . نعم احب ان تكوني من نصيب الحسين بن جوهر ولكنني افضل راحتك . فاذا كنت تظنين اني في قدرة علي مساعدك في شيء قولي »

فاطرقت وسبابتها على شفتها السفلى وهي تفكر وام الامراء تنظر اليها وتنتظر ما تقوله فاذا هي رفعت بصرها اليها وقالت « اني اطلب منك امراً لا يصعب عليك . اني احب الذهاب الى والدي لاراه واباحثه في الامر الذي عرض عليه اليوم . لعله اذا علم بما في خاطري يعفيني منه .. وانت تكملين فضلك في ارجاع امير المؤمنين عن عزمه »

ففكرت ام الامراء لحظة وهي تعلم ان زيجة لمياء للحسين يراد بها غرض السياسي لاكتساب قلب حمدون فضلاً عن ملاءمة العروسين فلم تشأ ان تعدها باقناع زوجها لكنها طيبت خاطرها وقالت « لك عليّ ذلك .. متى تذهبين الى والدك ؟ »

قالت « الان يا سيدتي .. اني لا استطيع رقاداً ان لم اره واباحثه »

قالت « كيف تذهبين الان وقد داهمنا الظلام ووالدك في معسكره خارج المنصورية وقد اقفلت الابواب . ومثلك لا يؤذن بخروجها من هذا القصر »

قالت « اخرج متنكرة وانا لا ابالي بالظلام انما اطلب اليك ان تأمري بثوب احد الصقالبة خدم القصر البسه واخرج بحجة رسالة احملها من امير المؤمنين الى صاحب سجلماسة »

ففكرت ام الامراء لحظة ثم قالت « ذلك هين علي ولكنني اخاف ان يستغشك الخفر على الابواب »

قالت « لا تخافي »

فقالت « ها انا ذاهبة الى حجرتي وبعد قليل تعالي اليَّ فتجدين الثوب حاضراً »

فاكبت على يدها لتقبلها شكراً على هذا الصنيع . فمنعتها ام الامراء من ذلك وتركتها وخرجت

الفصل الثالث عشر

المعارضة

فمكثت لمياء برهة ثم مشت الى ام الامراء فرأتها قد اعدت الثوب فلبسته واصلحت من شأنها حتى لا يشك من يراها انها غلام صقابي وودعتها . فارشدتها الى الطريق الاقرب المؤدي الى باب البلد

فمشت وهي ثابتة القدم لايعتريها خوف . فمرت في الحديقة لا يستغشها احد واهل القصر مشغولون في مهامهم حتى وصلت الى باب البلد فاذا هو موصد والخفر وقوف عنده باسلحتهم . فطلبت اليهم ان يفتحوا لها الباب لانها ذاهبة في مهمة مستعجلة الى معسكر صاحب سجلماسة . ففتحوه ولا يشك احد منهم انها رسول صقلبي

ففرحت بانطلاء حيلتها وخرجت فاذا هي في الخلاء . ونظرت نحو معسكر والدها فعرفت مكانه من النار الموقدة عنده فمشت بسرعة والظلام حالك والمكان خال وكل شيء هادىء . فلم تمشِ يسيراً حتى رأت شبحاً طويلاً يدنو منها وعليه عباءة سوداء قد

التف بها ومشى نحوها بهدوء فتحولت عن جهته لئلا يعترضها . فاذا هو قد وقف لها ونادى « من الرجل »

فقالت « رسول من امير المؤمنين الى هذا المعسكر »

فقال « قف عندك »

ولما سمعت الصوت اقشعر بدنها لانها تذكرت صوتاً تعرفه لكنها تجلدت وتجاهلت وقالت « دعني ... اني سائر لامر مستعجل »

فناداها قائلاً « لا يخرج الرسل من هذا القصر ليلاً »

قالت « انها رسالة هامة مستعجلة وقد رآني الخفر بالباب ولم يعترضوني »

قال « انا اعترضك . . قف عندك او تعال معي الى النور لارى وجهك .. اني اعرف غلمان القصر جميعاً »

فتحيرت في امرها وتفرست بمخاطبها واخذت تفكر في من عساه ان يكون وصوته يشبه صوت الحسين بن جوهر واستبعدت ان يكون هو هناك وليست الخفارة من شأنه . فتجاهلت وظلت ماشية وهي تقول « اني ذاهب في مهمة سرية لا يجوز للخفر ان يطلع عليها ولا ان يعرف من انا »

قال « اذا كان ذلك لا يجوز لسواي فهو جائز لي » قال ذلك ومد يده يريد ان يمسكها من يدها فنفرت منه وخبأت يدها وراء ظهرها وقالت « قل لي من انت قبلاً »

قال « انا الحسين بن القائد جوهر »

فلما تأكدت انه هو بعينه ارتج عليها ولم تخف على نفسها منه لكنها خافت كشف سرها . فحولت وجهها عنه ومشت وهي تقول « لا نعهد الحسين بن اكبر القواد ينتحل مهنة الخفر ليتعرض لرسول أمير المؤمنين .. دعني وشأني والا فان تأخري تعود عاقبته عليك »

فاعترضها وهم ان يمسك يدها فافلتت يدها منه بجسارة فقال لها « ليس من شأنك ان تعين لكل انسان مهمته . نحن جميعاً نخدم مصلحة امير المؤمنين نضرب بسيفه ونخفر قصره . دع عنك ذلك واتبعني واذا كنت رسولاً كما تزعم فلا خوف عليك . بل اكون لك عونا في ابلاغ الرسالة »

فلم تجد لمياء بدا من الطاعة فقالت « ها اني واقف ما الذي تريده مني .. اكشف اللثام عن وجهك اولاً ثم خاطبني »

فازاح اللثام فاذا هو الحسين بعينه فخفق قلبها واستغربت تلك الصدفة وقالت

« نعم انت مولانا الحسين بن القائد جوهر فما الذي يريده مني »

قال « اني لا ارى وجه صقلبي ولا اسمع صوت صقلبي اني اسمع صوت امرأة »

فضحكت استخفافاً وقالت « أرأيت كيف انك مخدوع ؟ فحسبتني امرأة وانا غلام»

قال « اذا كنت غلاماً فلست صقلبياً فا صدقني ولا تخف »

فتماسكت لمياء ولم تجد بدًّا من التصريح فقالت « تأمل في وجهي جيداً »

فتفرس فيها على بصيص النور وقال « انت فتاة ٠٠ وكاني رأيت هذا الوجه في صباح هذا اليوم .. الست لمياء بنت صاحب سجلماسة ؟ »

فلم تطاوعها نفسها على الانكار فقالت « نعم انا هي وما الذي تريده مني ؟ »

فتنهد وابتسم ثم قال « ان ما اريده منك ليس هنا محل الكلام فيه يالمياء . ولكنني اطمئنك ان لا خوف عليك ني لسبب سوف تعلمينه ولكنني اعجب لخروجك في هذا الليل متنكرة ومثلك لايؤذن لها في الخروج من قصر امير المؤمنين . كيف خرجت ؟ »

قالت « الم اقل لك اني خارجة في مهمة لصاحب سجلماسة »

قال « انت ذاهبة الى ابيك »

قالت « نعم .. ها قد قلت لك .. فانت وشأنك »

قال بلحن التودد « ان شأني شأن المأمور المطيع يا لميـاء — ولو كان الخارج في هذا الليل سواك لكانت حياته في خطر . واما انت فاني في خدمتك حتى ترجعي الى مأمنك — انما ارجو ان تذكري هذا لي اذا ذُكّرتِ به »

فشعرت انه يحملها فضلاً سيطالبها به يوماً ما فقالت « لم اخرج من هذا القصر في هذا الليل وحدي وانا خائفة من احد . فاذا شئت ان تبقى على اعتراضك فاني لا ابالي »

وكان الحسين قد علم في ذلك النهار ان اباه واباها زارا المعز وانه خطبها له من ابيها ورضي ابوها . ولكنه كان على يقين انها لم تطلع على شيء من ذلك بعد. وتوسم في اجتماعها بوالدها في تلك الساعة خيراً لنفسه اذ يبلغها ابوها ما كان من طلب امير المؤمنين لها باسم الحسين — فقال « قلت لك ان شأني معك ان اكون في خدمتك حتى تبلغي مأمنك وتشاهدي والدك . ولعلك وانت راجعة يتغير لحن خطابك معي »

فادركت كل ما جال في خاطره وفهمت ما يشير اليه لكنها تجاهلت وقالت « اني لا اقدر ان اذكر ابن القائد جوهر بعد هذه المكارم الا بالشكر والثناء في كل حال . فهل تأذن بانصرافي الان »

قال « نعم . ولكنني اكون في خدمتك لئلايعترضك سواي فان في هذه الطرق خفراء اخرين اقامهم والدي سرًّا لزيادة الحرص على سلامة امير المؤمنين . ولا احب ان يعرف احد منهم ولا سواهم بخروجك ولا اريد ان يخاطبك احد ولا ان يقول لك كلمة ولو كانت سلاماً واحتراماً .. اني اكثر حرصاً عليك منك .. » قال ذلك بلحن الحب

فظلت على تجاهلها وقالت « بارك الله فيك فانا واثقة بمروءتك واحب ان تكتم ما رايت عن كل احد كانك لم تشاهد احدا »

فاستأنس بهذه الوصية واستدل بها على ميل نحوه وقال « قلت لك اني احرص منك عليك .. وهذا يكفي »

فلم تجبه ولكنها مشت ومشى هو في اثرها عن بعد حتى دنت من معسكر ابيها

الفصل الرابع عشر

ابو حامد

وكان ذلك المعسكر خياماً مضروبة اكبرها فسطاط الامير فلما دنت من الفسطاط صاح بها رجل من الواقفين للحراسة « من القادم ؟ »

فظلت على تنكرها وقالت « رسول من امير المؤمنين الى الامير حمدون »

فنظر في اثوابها فحسبها غلاماً صقلبيًا فدخل ليستأذن لها بالدخول

وكان حمدون قد عاد في ذلك اليوم بعد مثوله بين يدي الخليفة وصدره مملوء بالاماني واختلى بصديقه ابي حامد مدة طويلة ودعاه للعشاء معاً فقضيا ساعات وهما يتساران لا يأذنان لاحد في الدخول عليهما . فلما دخل الحرسي يستأذن لرسول من عند امير المؤمنين قال حمدون « ماذا عسى ان يكون من امر هذا الرسول ؟ فليدخل »

فدخلت لمياء ولم تقع عين ابيها عليها حتى عرفها فهم ان يناديها فاشارت اليه بالسبابة على فمها ان يكتم امرها . فاشار الى الحاجب ان يخرج ويبعد سائر الحجاب عن الفسطاط

وكان فسطاط الامير حمدون خيمة كبيرة من الادم المدبوغ بلون احمر وقد فرشت ببساط كبير حمله معه من سجلماسة وهو في الاصل مجلوب من اسبانيا مما كان امراء الاندلس يفرشونه في قصورهم . لانه كان وهو امير يقلدهم باسباب المدنية . والخيمة قائمة على ستة اعمدة علقوا عليها الاسلحة والادراع وانيرت اطراف الفسطاط بالمصابيح

فرصة ثمينة

الانسكلوبيديا بريطانيكا الانكليزية

الطبعة العاشرة — ٣٥ مجلداً

هي اشهر دائرة معارف انكليزية مزينة بالرسوم وقد طبعت في مطبعة التيمس بلندن وتباع بمكتبة الهلال بالفجالة بمصر بثمن متهاود للغاية

تاريخ دول الاسلام

(تأليف رزق الله منقريوس الصدقي بالمنيا) ١-٢٠-١٠

اجابة لطلب الكثيرين قد خفضنا ثمن هذا السفر النفيس من ٧٥ غرشاً الى ٥٥ غرشاً النسخة الكاملة (ثلاثة اجزاء في ١٢٢٨ صفحة بها ٥٧ رسماً) واجرة البريد ٤ غروش والكتاب يطلب من المؤلف بالمنيا ومكاتب الهلال وهندية والتأليف والعباسية والكمال بمصر وجورجي افندي غرزوزي والمؤيد بالاسكندرية والعمومية والجامعة ببيروت

تاريخ الحروب الصليبية

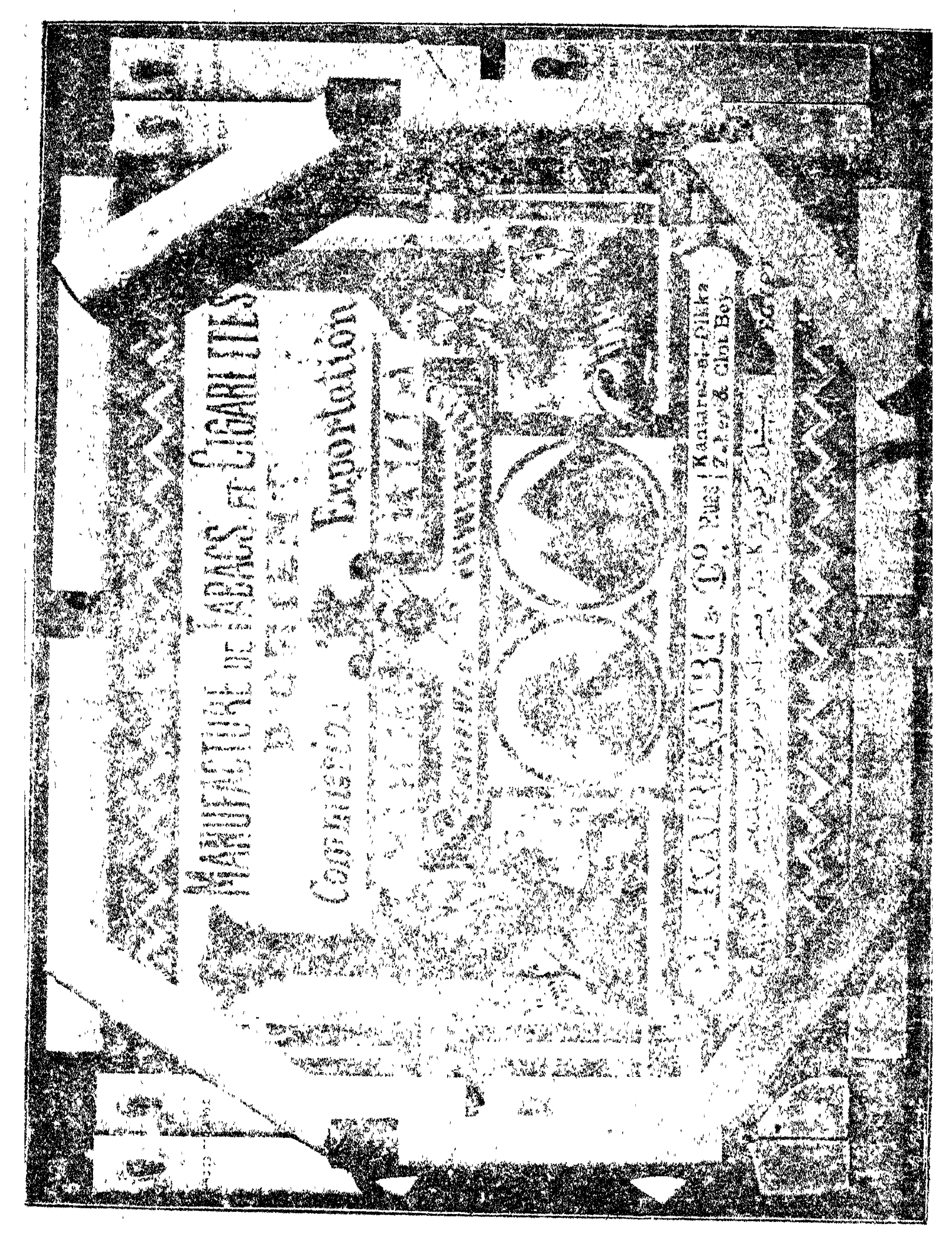
بعون الله تمت الطبعة الثانية لكتابنا المسمى (الاخبار السنية في الحروب الصليبية) وهو السفر الوحيد الذي وضع في اللغة العربية الجامع لتاريخ الثمان حروب الصليبية التي وقعت بين ملوك الغرب (المسيحيين) وملوك الاسلام من ابتداء سنة ٤٩٠ لغاية سنة ٦٩٠ ﻫ بالقدس والشام ومصر ودمياط وتونس مع بيان اسبابها ونتائجها ومن حرض عليها وأسر لويس التاسع ملك فرنسا وحبسه بمدينة المنصورة وقد زيناه بصور ملوك المسيحيين وملوك الاسلام و بصور آلات الحرب التي كانت مستعملة حين ذاك مما زاده رونقاً وبهاء وقد جعلنا ثمنه كالآتي. ويطلب من مؤلفه سيد افندي علي الحريري بمنزله بالمناصرة بمصر ومن ادارة ومكتبة الهلال بالفجالة بمصر وأجرة البريد غرشان صاغاً

١٢ غرشاً مغلفاً تغليفاً حسناً و١٤ غرشاً مجلداف بالقماش و١٧ غرشاً مجلد افرنكي مذهب

(معروض نابوليون) (رواية) تعريب نقولا رزق الله في ٣ اجزاء ثمن الجزء الواحد ١٠ غروش صاغ والبريد غرش ونصف بادارة الهلال بالفجالة بمصر

... افندي فهمي وكيل الهلال بالوجه القبلي ... بعض مديريات الوجه البحري

بشارع قنطرة الدكه وشارع كلوت بك وشبرا وعابدين
من جرب سجايرنا يتأكد انها أحسن وأرخص ما وجد للآن



Manufacture de Cigarettes egyptiennes **M. Karkabi & Co.**
rue Clot Bey, le Caire Egypte



مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN M. R. A. S.

SUBSCRIPTION: 26 Frs. or 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XX. No 3

1 December, 1911

AL-HILAL Printing Office, Cairo

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر



سامي باشا الفاروقي

بطل حوران

الهلال

الجزء الثالث من السنة العشرين

اول دسمبر (ك ١) سنة ١٩١١ و١٠ الحجة سنة ١٣٢٩

اشهر الحوادث واعظم الرجال

سامي باشا الفاروقي

بطل حوران

ولد سنة ١٨٦٢ وتوفي سنة ١٩١١

قد عرفنا المرحوم سامي باشا الفاروقي في اثناء الصيف الماضي في ربوع لبنان واجتمعنا به غير مرة وتبادلنا الحديث مليًّا في شؤون مختلفة. فسرَّنا وجود امثاله في قيادة الجند العثماني لما رأينا فيه من علو الهمة وسعة الصدر وصراحة القول وصدق العثمانية فضلاً عن البسالة والمهارة في الفنون العسكرية — والدولة في ابان الحاجة الى امثاله. وبينما نحن نتوقع مروره بالقاهرة في هذا الشتاء حسب وعده فاجأتنا الانباء البرقية بنعيه فاسفنا لفقده. وكنا قد كلفنا اركان حربه البكباشي باقي زاده رشدي بك ان يكتب الينا بترجمة حياته للاطلاع عليها والاحتفاظ بها لنضيف اليها ما سيأتيه من الاعمال الجليلة في خدمة الوطن لاننا توسمنا فيه الاستعداد لاكبر المناصب والاشتغال باكبر المهام. فجاءتنا الترجمة ولكن على أثر نعيه وقد ختمت حياته قبل اوانها. فرأينا ان ننشر تلك الترجمة ونعقب عليها بما عرفناه بنفسنا من مناقبه وآرائه رحمه الله

الترجمة

منذ خمسمائة سنة جاء من المدينة المنورة الى بلاد الشام فرعٌ من السلالة العمرية الفاروقية ذهب بعضه الى العراق واستوطنوا بلدة الموصل . فشيد رأس هذا الفرع الحاج قاسم الذي ذهب الى الموصل الجامع العمري المشهور هناك واسس الاسرة العمرية المعروفة الآن . ثم ذهب بعض هذه الاسرة الى بغداد منذ خمس وسبعين سنة وتوطنوها ومنهم صاحب الترجمة

ولد المرحوم سامي باشا الفاروقي في بغداد سنة ١٢٧٨ هجرية (١٨٦٢) وقرأ العلوم البدائية فيها واكمل دروسه في مدارسها الاعدادية العسكرية . ثم نقل الى المدرسة الحربية في الاستانة . وبعد ان درس فيها ثلاث سنوات انتخب سنة ١٢٩٩ رومية (١٨٨٣) في صنف الاركان حرب برتبة ملازم . وبعد ثلاث سنوات قضاها بالدرس خرج سنة ١٣٠٢ من تلك المدرسة برتبة يوزباشي وخدم سنة واحدة في دائرة الاركان حرب العمومية . ثم تعين معلماً في المدرسة الحربية . وبعد سنة من ذلك حاز على رتبة قول اغاسي وتعين — مع وظيفة التعليم في المدرسة المذكورة — معاوناً لغولتس باشا الذي احضر من المانيا لتنظيم الجيش واصلاح المدارس العسكرية العثمانية . وكان سامي باشا أستاذاً لكثير من دروس الاركان حرب في مدارسها وترجم الى التركية بعض الكتب التي الفها غولتس باشا بالالمانية لتدرس في الجيش وفي المدارس العسكرية . وقد نال استحسان غولتس باشا في اثناء وجوده معاوناً له في التدريس العسكري

وترقى سامي باشا سنة ١٣٠٥ الى رتبة بكباشي وظل الى سنة ١٣٠٧ في الوظائف المذكورة . ثم ذهب الى برلين عاصمة المانيا ملحقاً عسكرياً للسفارة العثمانية . وظل بهذا المنصب الى سنة ١٣١٣ وهو يستطلع ترقيات المانيا العسكرية ويحضر مناوراتها الحربية فزاد رسوخاً في الامور العسكرية . فلما عاد من المانيا كان برتبة اميرالاي اركان حرب . وتعين بمعية قيصر المانيا في سياحته الاولى الى الاستانة فنال منه وسام تاج بروسيا من الدرجة الثالثة ورافقه ايضاً في سياحته بسورية وفلسطين للمرة الثانية فنال منه وسام النسر الاحمر من الدرجة الثانية

وتعين بعد ذلك بمهمة سياسية خصوصية الى زنجبار لكن انكلترا تنازلت وقتئذ عن جزيرة « هيله غولاندا » وادخلت زنجبار تحت حمايتها فاصبحت

مساعي الدولة العثمانية في هذه المسئلة عقيمة فلم يذهب رحمه الله بهـذه المأمورية . وتعين بعد عودته من المانيا مأموراً في اللجنة (قومسيون) الفنية في دائرة المعاينة والتجربة في دار المدفعية (الطوبخانة) العثمانيـة فأتى هو ومحمود شوكت باشا في اللجنة المذكورة بخدمات جلى . ووجهت اليه رتبة امير لواء في اثناء وجوده في هذه المناصب

وفي اول سنة ١٣٢١ رومية تعين مأموراً لتفتيش الترتيبات المتخذة ضد عصابات الاشقياء البلغارية في الروم ايلي . وفي أواسط تلك السنة عين متصرفاً وقائداً لموقع القصيم في بلاد نجد . على ان هذا التعين انما اريد به نفيه وابعاده . وبعـد مروره بالقصيم ونجد والحجاز اعيد الى الاستانة عضواً في مجلس ادارة المدفعية (طوبخانة) مرة ثانية . وبعد اعلان الدستور العثماني بتسعة عشر يوماً صار ناظراً للضابطة اي محافظاً في الاستانة . وبقي فيها الى ما بعد حادثة ٣١ اذار الارتجاعية ثم استقال

وعند افتتاح مجلس الامة عين عضواً في مجلس الاعيان وما زال عضواً فيه الى يوم وفاته . وقد ذهب عضواً في الوفد الذي ارسل لتبليغ جلوس جلالة السلطان محمد الخامس رسميـاً لدول فرانسا وانكلترا وايطاليا وبلجيكا والجبل الاسود واليونان ونال وسامات اكثر تلك الدول من الدرجة الاولى . ثم أمر باطفاء نار الثورة التي ظهرت في جبل الدروز في تموز وجاء سورية وهو قائد للفيلق المرتب لحوران سنة ١٣٢٦ (١٩١٠) فحسم مسئلة جبل الدروز ثم سكن اختلال الكرك . وبعد اعادته النظام الى نصابه في تلك الربوع الشاسعة عين ناظراً للاجرآت الاصلاحية المتبينة في مطالعاته ولوائحه التي قررت الحكومة العثمانية اجراءها في حوران

وقد ادخل هذا القائد العظيم والمصلح الكبير كثيراً من الاصلاحات في تلك الربوع حتى ساد الامن وصار الرجل يمشي ليلاً او نهاراً بلا سلاح . بعد ما كانت حالتها لا يجهلها احد

ولم تر الحكومة في السنوات الاخيرة رجـلاً وفق مثله الى تسكين داء الاختلال العضال ونظم ما نظمه من اللوائح الاصلاحية واقدم على القيام بتطبيقها وانجزا كثرها . وكان يشتغل من الصباح الى منتصف الليل ويطالع الجرائد السورية كافة ليقف على حاجياتها لتأييد الامن فيها فطبق صيته الخافقين ورفع الغزو والتعدي . وكان شديداً في حين الحاجة ليناً عند الاقتضاء مؤنساً عربياً صحيحاً عثمانيـاً صادقاً من اصـدق الرجال لدولة ذا ذكاء خارق العادة صبوراً جسوراً جداً

في حين اشتداد مرضه وقد قال لمن حوله من معيته ومريديه « بعد دقائق قليلة افارق الحياة فاستودعكم الله واني آسف اولاً لعدم تمكني من اتمام ما تصورته من الاصلاحات العمرانية في حوران وثانياً كنت اود ان اعتني كل الاعتناء بتعليم ولدي الوحيد « حسين » لكي يقوم بالواجبات المفروضة على كل محب لوطنه » ثم استقبل الموت بقوة جأش وابتسام عجيبين . فكان مثال الشجاعة والبسالة بما اظهره من الجلد الى آخر نفس من حياته . فنعزي الدولة على عظيم من رجالها والامة العربية على زعيم من زعمائها ونعزي آله وذويه رحمه الله رحمة واسعة (انتهت الترجمة)

﴿ الهلال ﴾ قد وفى حضرة المترجم الترجمة حقها ولم يترك لنا ما نقوله سوى ما شهدناه بنفسنا وسمعناه باذننا في اثناء اجتماعنا به في هذا الصيف وهو على اثر ابلاله من المرض لا يزال ضعيفاً . لكن النشاط كان بادياً في كل حركة من حركاته والذكاء ينبعث من عينيه مع لطف ودعة وطلاقة . وقد اعجبنا منه صدق غيرته على مصلحة الدولة فلم يكن يكتفي بالاهتمام بالشؤون العسكرية او الاصلاحية التي انيطت به في حوران بل كان كثير الاهتمام بالسياسة العامة وقلبه عالق باحوال الدولة الداخلية . وسألناه في بعض اجتماعاتنا عما يتوقعه من حال الدولة ودستورها فقال « ان الدولة العثمانية لا يلائمها الآن دستور مطلق مثل دستورها الحالي والقوة كلها بايدي النواب اي مجلس المبعوثان . لان مجلسنا لا يزال في شبابه ولم يتم اختباره فضلاً عن تفرق عناصره ومذاهبه . وانما يلائمها الآن دستور فيه بعض التقييد كدستور المانيا مثلا اذ يكون تعيين الوزارة منوطاً بالملك او الامبراطور . والوزارة بحسب الدستور العثماني يشكلها الحزب الغالب في المبعوثان . فهو يرى أن يشكلها جلالة السلطان من اناس يختارهم فتكون مع خضوعها لمراقبة المبعوثان وانتقاداتهم حافظة الموازنة بين الاحزاب » ولم يفتنا ما يعتور هذا التغيير من العقبات فسألناه اذ كان يرى خروج هذا الفكر الى حيز العمل ممكناً . فاجاب انه لا يرى مندوحة عنه وهو ضامن اجماع مجلس الاعيان عليه وانه سيعرض ذلك على مجلس المبعوثان

وكان رحمه الله فصيح اللسان بالعربية على لغة اهل العراق خفيف الحركة لطيف العشرة حديثه لا يمل . وكان كثير الاهتمام بشؤون حوران شديد الرغبة في اصلاحها . واتفق في احدى زياراتنا انه كان يقرأ تلغرافاً طويلاً والاهتمام بادٍ في عينيه فلما اقبلنا عليه ابتدرنا قائلاً « الم اقل لك اننا في حاجة الى ارباب الاقلام اكثر من حاجتنا الى ارباب السيوف ؟ هذه حوران قد اخمدت ثورتها في بضعة اسابيع ولما اخذنا في اصلاحها

وجدنا اكثر السبل مسدودة امامنا . طلبت انشاء المدارس والمستشفيات واصلاح الطرق فوافقتني الحكومة على ذلك فطلبت ستين الف ليرة عثمانية لانشاء طريق حوران فدفعوها اليَّ حالاً . فبعثت اطلب المهندسين لتخطيطها فاتاني هذا الجواب الآن وهم يقولون فيه انه ليس عندهم مهندسون يصلحون لهذا العمل ويشيرون بان نستأجر مهندسين من بيروت . ولا ارى فيها من يكفي بالسرعة اللازمة وليس لنا الوقت الكافي لاستقدام مهندسين من اوربا ونحن في اواخر الصيف وسيدهمنا المطر قبل رص الطريق .. اننا في حاجة شديدة الى نشر العلم »

وكان يقول ذلك والاهتمام باد في كل ملامحه . ومما دلنا على حسن اسلوبه وتعقله ما قصه علينا من اعماله في حوران واكثره منشور ومعلوم . وانما نذكر حكاية تدلُّ على الدهاء في السياسية قال « بذلت جهدي في تخفيف ويلات الحرب لعلمي ان الحورانيين ليسو اعداء حقيقيين وانما سيقوا الى ذلك من سوء سياسة العصر الماضي ولو تحققوا صدق نيتنا في اخضاعهم لاطاعونا بلا حرب . فنظرت في الاسلوب الذي يقرب القلوب وقد علمت غيرة الدروز على العرض وشدة محافظتهم على كرامة النساء وكانوا يقاسون مرَّ الاحتمال من الحملات التي كانت تأتيهم من قبل . فاغتنمت فرصة بلغني فيها ان احد الجند خاطب امرأة في طريقها . ولم يكن خطابه مما يشدّد العقاب فيه — فاعظمتُ عمله وبالغت في معاقبته ومعاقبة جماعة آخرين من رفاقه شهدوا عمله . فبلغ خبر هذا العقاب الى الدروز فوقع من نفوسهم موقعاً جميلاً واحسنوا الظن بنا . وكان ذلك من جملة اسباب التقارب بيننا فاخضعناهم وجندناهم في بضعة اسابيع ولم نخسر من جندنا الا ١٧٠ رجلاً بين قتيل وجريح »

فنحن في حاجة الى امثال هذا القائد في تقريب القلوب بين العناصر المختلفة لانصافه وصدق لهجته . فقد كان مع اعراقه في الجنسية العربية لايبخس سائر العناصر حقوقها ولايدعي للعرب ما ليس لهم . واذا انتقد عنصراً آخر فباهجة الصديق المخلص . وقد ادهشنا منه اعتدال آرائه في مسألة العناصر العثمانية ولوكان سائر رجال الدولة في مثل اعتداله وصدق لهجته لكنا في منجاة من عواقب التفرق والتضاغن . كما ادهشنا اسلوبه في اخضاع الحورانيين على اهون سبيل . ومثل هذا الاسلوب جدير بان يتبع في سائر ما يقع من الخلاف بين الدولة ورعاياها . فاننا احوج الى حسن التفاهم منا الى امتشاق الحسام واطلاق القنابل ولا سيما في الولايات البعيدة عن مركز السلطنة التي انما افسدها سوء الادارة الماضية

ثبات الامم

في الدفاع عن اوطانها

ان ما ابداه اهل طرابلس الغرب من التفاني في الدفاع عن وطنهم على اثر حمل الايطاليان عليهم بجيوشهم واساطيلهم — دفاعاً لم يكن يرجى ممن في مثل حالهم — بعثنا على كتابة مقالة في اشهر ماجرى من هذا القبيل في التاريخ على سبيل العبرة والموعظة :

تتفاوت الامم في الدفاع عن الوطن بنسبة ما فطروا عليه من التمسك بالاستقلال أو ما نشأوا عليه من العادات او ما يحيط بهم من الاحوال والمؤثرات . وفي التاريخ حوادث كثيرة تدل على ان الوطن عزيز على اهله وان الاستقلال اشهى ما تتطلبه النفوس الابية . فلا غرو اذا رأينا امماً تتفانى في الاحتفاظ به وتفضل الفناء في سبيله على الحياة بدونه . والشواهد على ذلك تتصل باقدم ازمنة التاريخ

ان اطول حصار ذكره التاريخ القديم حصار ازوت امام جند بسامتيك العظيم فانه دام نحو ٢٩ سنة . يليه في الطول حصار طراودة سنة ١١٨٤ ق م . واستمر ١٠ سنين . وقد وصفه هوميروس صاحب الالياذة . وقس على ذلك حصار كثير من مدن التاريخ القديم كحصار مدينة صور سنة ٥٧٢ و٣٣٢ ق م . وحصار سراقوسة سنة ٤١٤ ق م و ٢١٢ ب م . وحصار ساجنتم سنة ٢١٩ ق م . وحصار اورشليم سنة ٥٩٠ ق م و ٧٠ ب م . وقد ثبت الاورشليميون في هذا الحصار الاخير ثباتاً نذكره لهم التاريخ مع الاعجاب والثناء . وقد فصله يوسيفوس تفصيلاً حسناً وذكره سواه

حصار اورشليم

وخلاصة ذلك ان طيطس امبراطور الرومانيين حمل على اورشلم سنة ٧٠ يريد فتحها . فامتنع اهلها فحاصرها بجند يزيد عدده على ٣٠٠٠٠ مقاتل . وكانت اورشلم يومئذ في ابان مناعتها يحيط بها ثلاثة اسوار الواحد داخل الآخر . وكان جند طيطس اربع فرق اقام ثلاثاً منها في شمالي المدينة على مسافة ميل من السور الخارجي وفرقة اقامها في شرقها عند جبل الزيتون . ومع جند الرومان العدة والسلاح وآلات الهدم

وهي يومئذ الكباش والمجانيق والدبابات . وكان بين معسكر طيطس في الشمالي وسور المدينة الخارجي ارض عامرة فاخربوا ابنيتها واقتلعوا اشجارها ليسهل على الجند الزاحف المرور فيها بعدّته ومهماته — قضوا في ذلك ٤ ايام ثم زحفوا من الشمال وعسكروا في مكان يشرف على زاوية السور الخارجي وبنوا لانفسهم ابراجاً نصبوا فيها مجانيقهم والحوا على الاسوار بالقنابل (الحجرية)

وكان الاورشليميون يرون في الدفاع عن مدينتهم دفاعاً عن وطنهم ودينهم وكتابهم فثبتوا جهد طاقتهم . ولكن اسلحة الرومانيين كانت اقوى من اسلحتهم وفيها الكباش وهي كالمركبة الكبيرة تجري نحو الاسوار على عجلاتها وفيها الرجالة يحميهم اخوانهم بالدفاع عنهم من فوق . حتى يصل الكبش الى قرب السور فيأخذون في نقبه برأس الكبش "الا يبالون" بما يرمى عليهم من النبال أو غيرها



كبش روماني لهدم الاسوار استخدموه في حصار بلاد البرطيين وقد خرق الاسوار رأسه وخرج اهل البلد للتسليم

فتمكن الرومانيون بذلك من فتح ثغرة في السور الخارجي . وكانت الفرقة الشرقية على جبل الزيتون ترمي اليهود بالمجانيق تصوبها نحو الهيكل وترسل عليه النفط المشتعل . فخاف اليهود على هيكلهم واجابوهم باطلاق القنابل من مجانيق كانوا قد غنموها من حروب ماضية . ثم علموا بانثلام السور الشمالي فيئسوا من الدفاع عنه فتقهقروا. فلحق الرومانيون بهم وبنوا الابراج لحصار السور الثاني . وهم في اثناء ذلك يطلبون اليهم التسلم وحجب الدماء والاورشليميون يرفضون

لكنهم عمدوا الى حيلة عسكرية اتعبوا بها الرومانيين ــ وذلك انهم اسقطوا تلك الابراج باحتفار سرداب دهليز تحت الارض من داخل السور الى اسفل معسكر الرومانيين . فسقطت الابراج وخسر الرومانيون بذلك خسارة عظيمة ولم يستطيعوا

ترميم تلك الابراج الا في بضعة ايام . ثم الحوا في الحصار واكثروا من رمي القنابل على اورشليم واهلها حتى اضطر قائدهم سمعان للانسحاب الى داخل السور الثالث . وهو آخر ملجأ لهم لانه يحيط بالمدينة والهيكل وفيه كل الذخائر المقدسة عندهم

وجمع الرومانيون هناك كل قواتهم وعادوا الى مخابرة اليهود بالصلح فابوا وعمدوا الى حفر سراديب أخرى هدموا بها كثيراً من حصون اعدائهم . فعاد الرومانيون الى تشييدها وازدادوا نقمة وغيظاً وشددوا الحصار . وما زالوا يلحون بالمجانيق والكباش حتى اخترقوا السور الثالث . وقد لعبت النار في الهيكل فاحترق معظمه . ولم يسلم منه الا قدس الاقداس لمتانة حجارته فلم تؤثر النار فيه الا قليلاً . والاورشليميون لا يزالون يجاهدون في الدفاع . فاغتنم طيطس ضعفهم وتضعضعهم وطلب اليهم التسليم بشروط وضعها لهم فلم يقبلوها . فعاد والح في الهدم والاحراق مما يطول تفصيله . واخيراً دخل المدينة عنوة وامعن في اهلها قتلاً وسبياً . قالوا انه قتل العجائز والاعلاء وباع الاطفال بيع الارقاء واستعبد الباقين . غير الذين هجروا تلك المدينة وتفرقوا في اطراف العالم

وقس على ذلك ما أتاه البوير في الترانسفال منذ بضع عشرة سنة في محاربتهم انكلترا فانهم وهم شرذمة قليلة شاغلوا سيدة البحار اكثر من سنتين فانفقت في سبيل اذلالهم نيفاً ومئتي مليون جنيه والوفاً من الجند . نعم ان البويريين خرجوا من تلك الحرب مغلوبين لكن الناس لا يزالون يتحدثون بشجاعتهم وثباتهم ويعجبون بصدق وطنيتهم وقد سجل التاريخ ذلك لهم

واعتبر ايضاً ثبات غوردون باشا ورجاله في الخرطوم لما حاصرها محمد احمد المهدي السوداني فانهم ذاقوا الجوع والمرض حتى اكلوا جذور الذرة والعظام والجلود وظلوا ثابتين حتى قتلوا بالسيف بعد دخول المهدي عنوة سنة ١٨٨٥

بطل سكات

ومن امثلة الثبات في الدفاع عن الاستقلال والمحافظة على الواجبات العسكرية دفاع توفيق بك محافظ سواكن في اثناء الحوادث السودانية . وذلك انه كان مكلفاً بخفارة الطريق بين سواكن وكسلا في السودان الشرقي فاستخدم لذلك شيخاً من الاعراب اسمه محمد الامين ليتفق مع العربان في حماية الطريق . فاساء محمد الامين التصرف مع العربان فغضبوا وكرهوه فطلبوا الى المحافظ توفيق بك ان يبدله بسواه فابى فغضبوا ونفروا من الحكومة وهم كثار . واتفق في اثناء ذلك مجيء عثمان دقنة

احد امراء المهدي بمنشور منه يدعو الناس الى بيعته. فبايعوه فاشتد ازره فسار بهم لمناواة الحكومة في سواكن وضواحيها فضايقوها والحكومة ترسل الجند لمقاومتهم عبثاً . وقد حاصروا سنكات وطوكر فضاق اهلهما ذرعاً وجاعوا . فبعثوا الى الحكومة يطلبون المدد . فاعدت الحكومة سنة ١٨٨٤ حملة بقيادة باكر باشا سارت الى سواكن لفتح الطريق بينها وبين بربر فلقيها الدراويش وغلبوها فعادت بخفي حنين . وكان توفيق بك محافظ سواكن قد سار الى سنكات عرضاً ودخل في جملة المحاصرين . وكان شهماً باسلاً فاظهر في حصاره ثباتاً لم يعهد الا في القليلين من الناس

وسنكات قرية لا تزيد حاميتها على ستين رجلاً وقد ضيق عثمان دقنة السبل عليها وقطع المؤن عنها حتى كاد اهلها يهلكون جوعاً . فكتب عثمان الى توفيق أن يسلم فلا يقتله فابى الا البقاء على ولاء الحكومة . فلما جاء باكر باشا وعاد خائباً بعث عثمان اليه ثانيةً ان يسلم فيسلم وان الامل بانقاذه قد انقطع فلم يجبه الا بالثبات . ولما رأى توفيق بك اخيراً ان المؤن نفدت والجند جاعت واهل البلد ملت جمع اليه رجاله واهل سنكات وشاورهم في الامر وحثهم على الثبات في ولاء الحكومة . فقالوا نحن على ما تريد فقال « قد نفد زادنا والطريق مقطوع بيننا وبين المدد فلنخرج مستقتلين فاما ان نسير الى سواكن واما ان يلاقينا العصاة فندافع عن انفسنا حتى الموت »

فخرجوا في اوائل فبراير سنة ١٨٨٤ بعد ان هدموا الطوابي واخربوا المنازل وما ساروا ميلين حتى لاقاهم عثمان دقنة برجاله وهاجموهم فقاتل توفيق بك حتى قتل شهيد الامانة والبسالة ولم ينج من رجاله واهل القرية الا نفر قليلون

تفاني القرطاجيين في الدفاع عن وطنهم

على ان ما تقدم ذكره لا يعدُّ كثيراً بالنظر الى ثبات القرطاجيين اهل قرطاجة بجوار طرابلس الغرب منذ الفي سنة في حربهم مع الرومانيين المعروفة بالحرب البونية اوالفونية وبطلها هنيبال القائد القرطاجي اشهر من ان يذكر. وقد فصلنا تاريخها في الهلال السادس من السنة التاسعة . وانما أردنا هنا الاشارة الى ما ادهش العالم من ثبات القرطاجيين في الدفاع عن وطنهم مما لم يسبق له مثيل . وهم اسلاف الطرابلسيين الذين يحاربون الايطاليين مع الجند العثماني اليوم دفاعاً عن حقوق الدولة العثمانية. اما حديث القرطاجيين فاليك خلاصته :

فاز القرطاجيون اولاً في حربهم مع الرومانيين حتى اخترقوا اوربا وقطعوا

جبال الالب وحاصروا رومية واوشكوا أن يفتحوها ثم عادت العائدة عليهم . وبعد حوادث كثيرة حمل عليهم الرومانيون في بلادهم وحاصروهم في مدينتهم « قرطاجة » (بقرب تونس) وقد انهكت الحروب قواهم وهلك قوادهم واكثر رجالهم . وكان الرومانيون يتوقعون منهم التسليم حالاً بلا مراجعة — كما كان الايطاليان يتوقعون من الطرابلسيين العثمانيين بالامس . فلما وصل الرومانيون الى قرطاجة امروا اهلها ان يسلموا اسلحتهم وهم يعرفون عجزهم عن الرفض • فسلموا السلاح وهم يحسبون هذا كل مايطلب منهم . ثم ابلغهم قائد تلك الحملة ان مجلس الشيوخ الروماني يأمرهم ان يهجروا مدينتهم ويبنوا مدينة اخرى بلاحصون ولا اسوار وان تدك قرطاجة الى اساسها • فعظم ذلك على القرطاجيين ولطموا وجوههم وشقوا جيوبهم وتمرغوا بالتراب وتضرعوا الى آلهتهم ولعنوا الرومان على قساوتهم . فلما فرغوا من النحيب عادت اليهم شجاعتهم وعزموا على الدفاع الى آخر نسمة من حياتهم حتى يموتوا تحت اسوار مدينتهم

افرغ القرطاجيون ما في وسعهم لتحصين مدينتهم فجعلوا الهيا كل حصوناً وهدموا الابنية العمومية واستخرجوا اخشابها ومعادنها وقضوا الليل والنهار نساء ورجالاً في اصطناع الاسلحة منها • وقطع النساء شعورهن وجدلنه اوتاراً للاقواس وامراساً للمجانيق • ولم يمض قليل حتى تسلح القرطاجيون باحسن الاسلحة

وكان الرومانيون في اتيكا فزحفوا الى قرطاجة وهاجموها وهم يحسبونها لا تستطيع دفاعاً • فاذا هي محصنة بالابراج والمجانيق والرجال مما لا يسهل التغلب عليه فحاصروها سنتين والقرطاجيون ثابتون ثبوت الجبال

وفي السنة الثالثة تولى قيادة الجند الروماني هناك قائد اسمه شيبيو اميليانوس فادنى معسكره من المدينة حتى اصبح على مرمى قوس من اسوارها وقطع ما بينها وبين البر ولم يبق للقرطاجيين سبيل الى الاقوات الا بالبحر . فعمد شيبيو الى قطعه بسد البوغاز بمرفاء من الحجارة الضخمة . وحاول القرطاجيون في اثناء بناء المرفاء ان يمنعوا الرومانيين من بنائه بسفن ارسلوها لمحاربتهم فلم تصل في الوقت المناسب ولم تأت بفائدة • فازداد الحصار ضيقاً وهجم الرومانيون من جهة المرفاء فظنهم القرطاجيون هاجمين على المدينة من تلك الجهة فاحرقوا اخشاباً كانت هناك . ولكن الرومانيين تحولوا الى الجهة المقابلة وهاجموا المدينة والقرطاجيون مشتغلون في الجهة الاخرى • فدخل الرومانيون المدينة واحتلوا اسواقها فالتجأ اهلها الى القلعة فتبعهم الرومانيون والنبال تتساقط عليهم من سطوح المنازل . واشتبك القتال في وسط المدينة بالسهام

والخراب . فامتلأت الطرق بالقتلى ودوى الجو بانين الجرحى وبكاء الاطفال وعويل النساء وصياح الرومانيين . حتى اذا وصلوا الى القلعة أمر شيبيو باحراق المدينة ففعلوا فتصاعدت اللهب وخرج جماهير الشيوخ والاطفال والنساء والعجزة من منازلهم فراراً من الحريق ولكن كيف يفرون وهم بين النار والسيف



القرطاجيون يستهلكون في الدفاع عن وطنهم

وظلت النيران متقدة ستة ايام متوالية وفي اليوم السابع بعث القرطاجيون المحاصرون في القلعة الى جند الرومان يعرضون التسليم على شرط استبقائهم في قيد الحياة.فاجابهم شيبيو انه يستبقي الجميع الا الهاربين وكان عددهم تسعمائة التجأوا الى هيكل اسكولابيوس بقيادة حسدروبال . وكان الهيكل على اكمة منيعة فما زالوا محاصرين فيه حتى غلب عليهم التعب والجوع . فخرج حسدروبال خلسة وغدراً وسلم نفسه الى شيبيو فاجلسه هذا عند قدميه والقرطاجيون ينظرون اليه من اعلى الهيكل

ويلعنونه ويعيرونه بالجبن والخيانة . ولما يئسوا من النجاة احرقوا الهيكل والقوا انفسهم في نيرانه ولسان حالهم يقول النار ولا العار

ويقال ان امراة حسدروبال جاءته بعد تسليمه ومعها طفلاه وهو جالس عند قدمي شيبيو وخاطبت شيبيو قائلة « ويل لكم ايها الرومانيون اهلكتمونا وانتم لا تخافون الآلهة ولكن آلهة قرطاجة ستجازي حسدروبال هذا لانه خانني وخان اولاده وآلهته » ثم تحولت الى حسدروبال وقالت له ويل لك ايها الخائن الشقي انك اجبن الناس . ومتى رايت هذه النيران تحرقني وتحرق ولديك هذين ما يكون عذرك ياقائد القرطاجيين وما الذي ينجيك من نقمة هذا ؟ . . الذي انت جالس عند قدميه » قالت ذلك وهمت بالطفلين فقضمت حلقوميهما ورمت بهما الى النار والقت نفسها فوقهما

فعسى ان يكون في نفوس الطرابلسيين من صدق العزيمة والثبات في الدفاع عن الوطن ما كان في نفوس اسلافهم . وان تكون نتيجة ذلك فوزهم في نصرة الدولة العثمانية واخراج الاعداء من بلادهم ان شاء الله فيخلد لهم التاريخ ذكراً لا تمحوه الايام

اوربا في افريقيا

تمهيد

نرى آخر دولة عربية بل آخر شبه دولة تقوم لها اوربا وتقعد ونحن واقفون تلك الوقفة التي اشتهرنا بها لا يهمنا الا معرفة النتيجة اترى تحت سيطرة اي دولة تقع مراكش اخيراً

وقبل ان نصل الى نتيجة أمر مراكش اسمعتنا ايطاليا نغمة جديدة حسبناها تناستها مع الايام واذا بوزارتها تصرح بوجوب احتلال طرابلس الغرب آخر ولاية عثمانية في تلك القارة المظلمة

ومن المضحكات ما قرأته بالامس في جرائد نيويورك اليومية من مقالة طويلة لسياسي اوربي يقدم اسباباً تخول ايطاليا حق احتلال طرابلس الغرب . بل هو يرى ذلك حقاً شرعيًّا لها لان ايطاليا في رأيه الدولة الاوربية الوحيدة التي لم تنهش شيئاً من جسم الرجل المريض . كانه من الحق الواجب لكل دولة اوربية ان تلتهم شيئاً

من جسم ذلك الرجل . وأوربا ترغب في بقائه مريضاً حفظاً للتوازن الاوربي
فاذا اتفقت اوربا غداً على مراكش وهي لاشك فاعلة ورفع الايطاليون اعلامهم فوق طرابلس الغرب اصبحت افريقيا مستعمرة اوربية الا الحبشة في الشرق وليباريا جمهورية العبيد الصغيرة في الغرب – حتي هذه كانت تحت خطر الضياع منذ سنوات ولا اعلم كيف ساعدتها السياسة فحفظت استقلالها حتى اليوم . وقد ارتفع صوت اميريكي في مجلة المجلات بالامس يحرض حكومة الولايات المتحدة على احتلال هذه الجمهورية الصغيرة لان اميريكا ام العبيد ومانحة الحرية لجنسهم . ولننظر الآن في موقف اوربا في افريقيا :

١ – انكلترا وفرنسا

معظم افريقيا اليوم تحت حماية ثلاث من دول اوربا اعني انكلترا وفرنسا والمانيا . تسلطت فرنسا وانكلترا على ثلثي افريقيا وابقتا لالمانيا جزءاً صغيراً من الثلث الباقي تشترك فيه مع اسبانيا . لكن تجارة المانيا ومراكبها البحرية تجعلها من اصحاب النفوذ الاول في تلك القارة . اما اسبانيا فضعفها يجعلها قليلة التأثير في تلك الاقطار اذ ليس لها قوة بحرية او برية تؤيد مطاليبها

اما انكلترا فهي صاحبة السيادة الكبرى في افريقيا . وبقاء الاحتلال الانكليزي في مصر يحفظ صولجان الرئاسة بيدها لان مصر اهم ممالك تلك القارة . وقد نجحت انكلترا بفصل مصر عن السودان بعد ان احتلت افريقيا الشرقية وافريقيا الجنوبية فاصبحت مستعمراتها متواصلة من القاهرة الى الكاب (رأس الرجاء) لا يفصلها الا بقعة صغيرة تحت رعاية حاكم وطني لا يخشى منه . ولم تتجاسر انكلترا على احتلالها مخافة ان يثور عليها الراي العام في اوربا لكنها كانت تنتظر سنوح الفرصة بفروغ صبر فسبقتها المانيا الى ذلك كما سيأتي

ولا يسعنا الا الاعتراف بالمنافع الكثيرة التي أتتها انكلترا في مستعمراتها الافريقية . ولا شك ان اهم عمران مصر في هذا العصر من نتائج الاحتلال . لكن الى من تعود نتائج هذا التقدم ؟ لا يزال الفلاح المصري كما كان . والاغنياء الوطنيون لم تتضاعف ثروتهم او لعلها تناقصت لان التقدم الحالي عائد اكثره الى الافرنج . مدينة مصر جميلة جداً يتنسم رائحة زهرها الوطنيون اما ثمرها فيأكله الاجانب

واذا نظرنا الى الخارطة رأينا القسم الاكبر من افريقيا لفرنسا ورعاياها الافريقيون يناهزون ٣٨٠٠٠٠٠٠ نفس باعتبار مراكش تابعة لها وان كانت بالاسم ولاية مستقلة

وقد اعلنت حكومات اوربا ذلك في مؤتمرسنة ١٩٠٦ لكنها في الواقع تابعة لفرنسا . وقد اتفقت على ذلك مع انكلترا حين تعاهدتا سنة ١٩٠٤فتنازلت فرنسا عن حقوقها في مصروعوضت عليها انكلترا بمراكش . وكانت هذه المعاهدة الانكليزية الفرنساوية كافلاً للسلم في افريقيا لولا تحريك المانيا

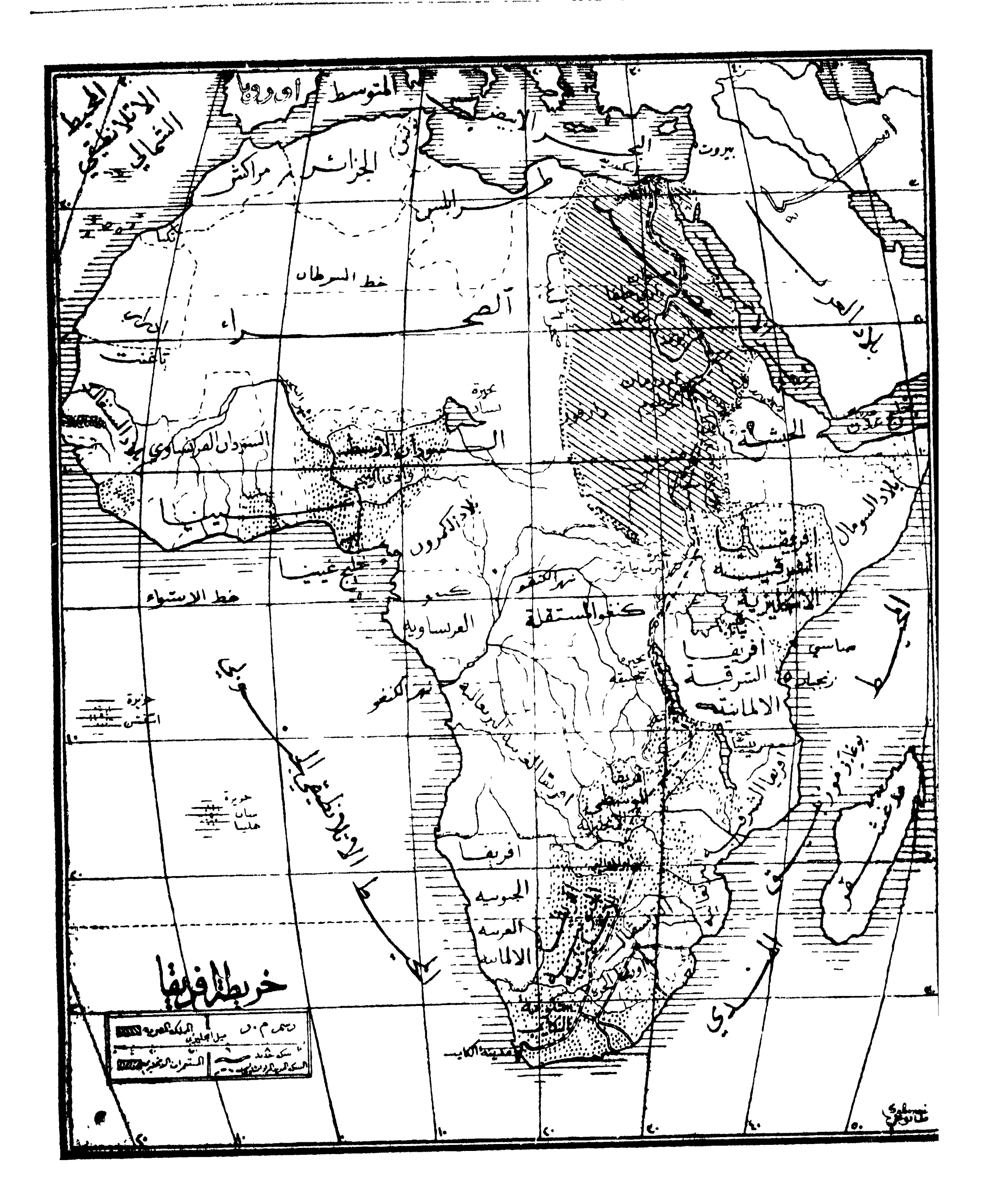
ولا شك ان افريقيا مدينة باكثر رقيها الحالي لفرنسا اذ لم يكن في شواطئها الغربية ميناء يصلح للسفن . فبنت فرنسا كثيراً من الفرض البحرية انفقت فيها مبالغ طائلة فسهلت حركة التجارة على الاوربيين والوطنيين . وهناك خطان حديديان يصلان الى الصحراء وخط تلغرافي يقطع تلك الصحراء المحرقة من اقصاها الى اقصاها . وعشرات من الخطوط الحديدية الى داكار والى نهر السنيغال غير سائر اسباب المواصلة والمعيشة كالخطوط الكهربائية والتلفون والبنايات والشركات . اما من الوجه الادبي فقد انشأت فرنسا في تلك الأنحاء مدارس عربية لتعليم الاجانب لغة البلاد وغيرها وانشأت مدارس دينية وزراعية حسب حاجة البلاد . ولم تكن البعثات الدينية التي قامت بذلك بل الحكومة الفرنساوية نفسها

٢ — المانيا في افريقيا

هذه هي المرة الثالثة التي وقع الخلاف فيها على مراكش في ست سنوات وفي كل مرة كان التهديد يبلغ اشده حتى خاف الناس حرباً عمومية تشتبك بها دول اوربا كلها من اجل مراكش . أما البواعث التي دعت المانيا للدخول في افريقيا فهي :

لم يسمع لالمانيا صوت في افريقيا الى سنة ١٩٠٤ وفيها تمت المعاهدة بين انكلترا وفرنسا بشأن مصر ومراكش . ويقول العارفون بالسياسية ان كلا الدولتان اخطأتا باهمالهما المانيا لانهما لم تدعيا احداً من عائلة الهوهنزلرن الى ذلك المؤتمر . وكانت هذه المعاهدة من اهم الاسباب التي حركت غضب غليوم الثاني ونبهت المانيا الى ما فعلته انكلترا وفرنسا في افريقيا . فاستحثت سلطان مراكش ان يقدم لها عريضة خطية يطلب مساعدتها . ففعل واتى غليوم بنفسه الى طنجة فكان من نتيجة مجيئه مؤتمر الجزيرة الذي ضمن لسلطان مراكش البقاء على عرشه ولو بالاسم . وفي ذلك الحين اصبحت المانيا من اصحاب النفوذ في افريقيا

وفي سنة ١٩٠٨ حدث حادث آخر قوى ذلك النفوذ وزاد طمع الامبراطور غليوم في تلك القارة . اتفق وجود أفراد من الاوربيين في العسكر الفرنساوي في كاسابلنكا فاحتمى ثلاثة من الالمانيين بالسفارة الالمانية هناك فقبض رؤساؤهم عليهم وارجعوهم



خريطة افريقيا

ومستعمرات دول أوربا فيها

الى المعسكر . فقامت قيامة المانيا وعدّت عملهم هذا اهانة لشرفها فاحتجت بلهجة عنيفة وظل خطر الحرب اشهراً الى ان عوضت عليها فرنسا بامتيازات تجارية في تلك الانحاء

ثم حدثت الحادثة الاخيرة فجاء طراد حربي الماني الى القسم الجنوبي الغربي من مراكش وانذر فرنسا انه لا يبرح المكان ان لم تتخلّ لالمانيا عن ٣٥٠ ميلاً من الشاطئ شمالي مصب نهر الكنغو . وعن بورت ليبرفول الذي هو مخرج فرنسا الوحيد الى البحر . ولا شك ان الحادثة الاخيرة مع فوز المانيا في ما سبق جعل الناس يعدون المانيا ذات حقوق في افريقيا . ومع ما أحرزه خط همبورغ التجاري من العلاقات الهامة بشطوط افريقيا ورغم سبق الالمانيين في اكتشاف داخلية القارة المظلمة واستطلاع احوالها فالعلم الالماني لم يرفع على افريقيا قبل سنة ١٨٨٣ . واليك الاسباب التي سيطرت بها على ما تملكه هناك اليوم

اولاً : في سنة ١٨٨٠ رفع المرسلون الالمانيون بافريقيا الغربية عريضة استرحام يطلبون حماية انفسهم من تعديات الوطنيين . وكانت تلك البقعة ملاصقة لمستعمرات انكلترا فاحالت العريضة اليها . فعهدت انكلترا بحل هذه المشكلة الى لورد بكنسفيلد والمستر غلادستون . فصرحا ان انكلترا لا تتعرض للمقاطعات التي ليست تحت حمايتها فآلت المخابرات السياسية الطويلة في ذلك الى رفع العلم الالماني على ما يعرف اليوم بافريقيا الجنوبية الغربية الالمانية . وارسلت انكلترا مركباً حربياً للاعتراض على ذلك الاحتلال بعد ان سبق السيف العزل

ثانياً : على شاطئ غينيا بين الداهومي الفرنساوية والمستعمرة الانكليزية المعروفة بالشاطئ الذهبي مستعمرة المانية تسمى تاكولند احتلتها المانيا بواسطة معاهدة سرية ابرمها الرحالة الشهير نختيكال مع حاكم تاكولند . ولم تعرف انكلترا بذلك الا بعد ان قضي الامر

ثالثاً : ان المانيا مدينة باحتلالها بلاد الكمرون في غربي افريقيا الى الرحالة نختيكال . وذلك ان اهل تلك البلاد انبأوا انكلترا ان نختيكال يسعى في عقد مؤامرة سياسية . فوكلت الامر الى قنصلها هناك فلم يعبأ بمشاريع نختيكال . أما هذا فلم ينقض بضعة اسابيع حتى اقنع صاحب الكمرون بالتوقيع على معاهدة سرية جعلت بلاده ملكاً لالمانيا

رابعاً : في السنة التالية اي سنة ١٨٨٥ غافلت المانيا الدولة الانكليزية على شاطئ افريقيا الشرقي ونجحت أيضاً : في شرقي بحيرة تجنيكا بين المستعمرة الانكليزية

الشرقية والمستعمرة البورتغالية مقاطعة كبيرة دخلت في حوزة المانيا وصارت «افريقيا الشرقية الالمانية » وهذه احتلتها ايضاً بحذاقة غريبة تدل على دهائها في السياسة على ان احتلالها كان قانونياً بمعاهدات رسمية مع حاكم تلك المقاطعة . اما الدهاء فيظهر في الاسلوب الذي اقنعت به حاكم تلك المقاطعة ليتنازل لها عن بلاده

وذلك ان ثلاثة من الالمانيين اتوا المقاطعة المشار اليها والتجأوا الى القونصلاتو الالمانيــة فطردتهم وأظهرت غضبها منهم • فجعلوا يطوفون تلك البلاد على سبيل الفرجة وتوغلوا في داخليتها لاينتبه احد لامرهم ولايقتفي آثارهم انسان ولم يطلع احد على مقاصدهم . فما لبثوا ان عادوا الى الشاطئ يطلبون الرجوع الى بلادهم وفي ايديهم صك رسمي يخول العلم الالماني الحق بان يخفق فوق تلك الاصقاع لتكون تحت حماية المانيا بطلب حاكمها ورضى شعبها . فافاقت انكلترا من غفلتها وعضت على اناملها ندماً لان تلك الحماية وقفت في سبيل احلامهــا الذهبية في انشاء مملكة افريقية تمتد من الاسكندرية الى الكاب لا يكون لاحد من الاوربيين دخل فيها مع مدّ خط حديدي يخترق قارة افريقيا في تلك المملكة الانكليزية

والحقيقة ان دخول المانيا في شرقي افريقيا على هذا الشكل عرقل مقاصد انكلترا وكان اقوى ضربة لقيتها انكلترا منها حتى اليوم . انظر الى الخارطة تجد البلاد التي في حوزة انكلترا تمتد من شمال افريقيا الى جنوبها — من الاسكندرية في اقصى الشمال الى الكاب في اقصي الجنوب — الاّ مقاطعة صغيرة واقعة في وسط هذه المستعمرات الواسعة المتواصلة تقسمها الى شطرين وتقف حاجزاً منيعاً دون انشاء خط حديدي لا يمرّ الا في املاك انكلترا . ومن اهم اسباب العداوة بين هاتين الدولتين اليوم احتلال المانيا لتلك المقاطعة

ولكن هل هذه المستعمرات الالمانية الصغيرة تمثل وحدها الدولة الالمانية في قارة افريقيا ؟ كلاّ !

ان احلام غليوم الثاني لا تقف عند هذا الحد. انه يسيطر على افريقيا كلها بتجارة الالمانيين وخطوط سفنهم التجارية حول الشطوط الافريقية . ان خط همبورغ التجاري يجعل امبراطور المانيا سيد افريقيا التجاري لا ملك حيثما توجهت في عرض البحار وطولها تجد السفن الالمانية تمخر مشحونة بالسلع والبضائع الى افريقيا او عائدة منها . حتى الاماكن التي تحسبها غير مأهولة فانك تجد فيها المعامل الالمانية . ولا تقع عينك على شيء من المصنوعات الاجنبية الاّ وتقرأ عليه « صنع في المانيا » . فالتجار

الالمانيون يحملون الى اهل تلك البلاد ما يحتاجون اليه من حاجيات الحياة ويأخذون منهم بدلاً عنها المحصولات الافريقية . واصبح هم المانيا في السنوات الاخيرة مسابقة انكلترا في السيطرة على تجارة العالم وهي باذلة جهدها في هذا السبيل . والتجارة البحرية هي التي تمنع المانيا من محاربة انكلترا . وان حدثت حرب فخارطة افريقيا تتغير لامحالة . لان الدولة التي يكتب لها النصر تستولي على مستعمرات الاخرى . وبضياع القوة البحرية والمستعمرات تنتهي الحياة التجارية . والامبراطور يهتم لحركة التجارة الالمانية اهتماماً شديداً لانه من أكبر المساهمين في اكثر الشركات التجارية الالمانية . ولذلك فهو لايسمح بوقوع حرب الا اذا ترجح عنده الفوز لجنده او اذا سيق اليها رغماً . وهو يكره الحرب لكنه يجري على سياسة التهديد والوعيد ووراء تهديده قوة هائلة تعضده فهو لذلك مخيف وان لم يخرج تهديده الى حيز العمل

وكنت حتى الآن احسب مطامع المانيا تنتهي بنشر تجارتها في افريقيا . لكني اجتمعت امس بالدكتور رانست رتشارد استاذ تاريخ التمدن الالماني في جامعة كولومبيا ودار بيننا الحديث عن الشرق والاحوال الحاضرة في مراكش . فسألته عن رأيه في المانيا وافريقيا فنهض الى الخارطة ومر أصبعه عليها من الشرق الى الغرب وقال « ان المانيا تطمع بتأليف امبراطورية في هذه القارة تمتد من الكمرون في الغرب الى شرقي افريقيا الالمانية في الشرق . أي من الشاطيء الغربي الى الشاطيء الشرقي . وبذلك تتوازن المستعمرات الانكليزية والالمانية . فالمستعمرات الانكليزية تمتد من الشمال الى الجنوب والمستعمرات الالمانية ستمتد من الشرق الى الغرب »

(نيويورك . جامعة كولومبيا) توفيق مفرّج

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال

العدد ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ و ٩ من سنة ١٦ و١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ٢ و٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

الطرق المحرمة والممنوعة

في الحرب

للحرب مع فظاعتها ووحشيتها قواعد اتفق عليها المتمدنون لتخفيف ويلات تلك الرزيئة الطبيعية التي لا مندوحة عنها . ودونوا ذلك في كتب خاصة بها منها كتاب حقوق الملك ومعاهدات الدول في الحرب للامير امين ارسلان قنصل الدولة العثمانية في الارجنتين الآن . ونظراً لما قرأناه من الفظائع التي يرتكبها الايطاليان في ساحة الحرب بطرابلس الغرب من قتل النساء والاطفال ننقل من الكتاب المذكور فصلا في الطرق المحرمة والممنوعة في الحرب قال :

تقسم هذه الطرق الى بربرية وغدرية :

فالطرق البربرية المحرمة هي (١) جرح العدو اذا استسلم وذلك امر بديهي لان الجندي اذا كفّ عن القتال او قعد عن الدفاع وجبت معاملته كاسير حرب (٢) الاجهاز على الجرحى (٣) لا يحق لاي قائد ان يعلن عدم اعطاء الامان للعدو المقاتل سواء كان السبب بغضاً او انتقاماً او تهويلاً (٤) لا يجوز اهانة العدو ولا تعذيبه حتى ولو كان ذلك في سبيل اجباره على اباحة اسرار دولته (٥) لا يجوز الفتك بالعدو غيلة او اغراء آخر على قتله سواء كان سلطاناً او جندياً (٦) لا يحق لاي كان اسقاط آخر من حق حماية الشرائع واجازة لكل فرد قتله . وقد شددت الدول المحالفة عن هذه القاعدة لما اعلنت اسقاط نابليون الاول من حماية الشرائع لما رجع من جزيرة ألبا منفاه عام ١٨١٤ . وكان ذلك باغراء وزيره تالايرن المشهور

﴿ واما الطرق الممنوعة ﴾ فهي (١) استعمال القنابل والقذائف والاسلحة التي تزيد في تعذيب الجرحى بلا فائدة (٢) الرشق بالاسهم المسمومة او اطلاق الزجاج المسحوق او الرمي برصاص ممضوغ ومشقوق كما فعل الانكليز في الثورة الاخيرة في الهند باستعمالهم الرصاص المعروف باسم « دم دم » ولكن لا يخفى بان ما اخترع في السنين الاخيرة من المهلكات النارية والمدمرات الحربية لهو اشد هولاً واعظم تأثيراً من تلك الادوات الممنوعة . وقد حرم البابا اينوسان الثالث استعمال القذائف النارية في الحرب اذا كانت بين النصارى فقط

وخلاصة الكلام ان الغاية من هذا المنع هي عدم استعمال سلاح يزيد في

تعذيب الجرحى ولا يأتي بفائدة • اذ الغاية من الحرب اضعاف الخصم حتى يعجز عن القتال او الدفاع • فاذا جرح العدو جرحاً بسيطاً حصلت تلك الغاية ولا حاجة لتشويهه طول عمره

وقد قررت الدول في مؤتمر بطرسبورج (١٨٦٨) منع استعمال القذائف اذا كان وزنها يقل عن ٤٠٠ غرام منفجرة كانت او محشوة بمواد التهابية

وفي الحرب السبعينية كانت كل من دولتي فرنسا وروسيا تتهم الاخرى باستعمال قنابل منفجرة كما فعل الانكليز والبوير في حرب الترنسفال

وذهب بعض الشراع بان قوانين الحرب تحظر تجنيد القبائل الهمجية والمتوحشة لجهلها قوانين الحروب المتمدنة

وقد انتقد بعض المتشرعين من الالمانيين والايطاليين لوجود عساكر الجزائر المعروفة بالتركو في الحرب السبعينية واتهمها بسمارك ظلماً وبهتاناً باتيانها اموراً وحشية • فرد العلامة كالفو الشهير حيث قال « ان فرق التركو تعد جنداً منظماً اذ يرأسها ضباط من الفرنسيس قد احسنوا تدريبهم وتنظيمهم واظهروا في الحرب السبعينية بسالة غريبة وشجاعة فائقة القت الرعب في قلوب الالمان ولم يرتكبوا منكراً » وقال العلامة اوت لماذا لم ينتقد الالمان على تجنيد روسيا مثلاً بعض القبائل الاسيوية التي هي اشد همجية من عساكر الجزائر وكيف اجازوا للنمسا تجنيد قبائل الكروات في حروبها مع ما هم عليه من البربرية . . ؟

﴿ التسمم ﴾ من اكبر المحرمات في الحرب واهم الامور الممنوعة في ايامنا هذا التسميم على اختلاف طرقه سواء كان من قبيل تسمم الابار او الانهار او الطعام او السهام . وكل من يلجأ الى استعماله اسقط نفسه من حق حماية الشرائع له وانما يجوز تحويل الانهار ومجاري المياه وتجفيف الينابيع لان العدو متى حرم من الماء اضطر الى اخلاء مركزه

﴿ الطرق الغدرية ﴾ القتال يجب ان يكون شريفاً يعني يجب على كل من المتحاربين ان يكون على ثقة من استقامة عدوه وشرفه وحفظه لشرائع الحرب فكل خدعة غير جائزة تعد غدراً واغتيالاً . مثال ذلك — لا يجوز الاخلاف بالوعد او النكث بالعهد او الكذب بالقول او المهاجمة فجأة في اثناء هدنة . والمظاهرة بالتسليم حتى اذا اقترب العدو منه قتله بسهولة . او رفع علم الصليب الاحمر الخاص بعربات الجرحى والمستشفيات على العربات التي تقل المؤن والذخائر . او الخداع باستعمال

راية المفوضين بالمخابرات السلمية اوغير ذلك مما يجري هذا المجرى . ولا يجوز استخدام الكلاب المعروفة « ببول دوك » لانها حيوانات كاسرة بخلاف الكلاب الاخرى فانها تأتي بخدمات نافعة اذ تهدي الى الجرحى وتحمل الرسائل والذخائر

❊ الحيلة ❊ هل يجوز استعمال الحيلة في الحرب ؟ — نعم وقد قيل الحرب خدعة واجمع المتشرعون على ذلك واتفق عليه معتمدو الدول في مؤتمر بروكسل (١٨٧٤) في البند الرابع عشر ولكنهم قالوا ان الحيلة في الحرب جائزة على ان لا تكون غدرية مخالفة للشرائع الحربية فالمكامن والمهاجمة فجأة او غلساً او المظاهرة بالقهقرى او التهويل به ونشر الاخبار الكاذبة او الرسائل المزورة وما اشبه ذلك فكله جائز وانما لا يسوغ استخدام اثواب الاعداء ولا ازيائهم ولا اتخاذ شاراتهم ولا تقليد راياتهم او اعلامهم . وفي شرائع الولايات المتحدة كل عدو يلجأ الى اتخاذ تلك الحيلة يخسر حقوقه من حماية الشرائع له . ولكن الشراع اختلفوا في هل يجوز تقليد نفير الاعداء وتبويقهم او اتخاذ شعارهم (الشعار نداء خاص بين الجنود يتعارفون به ويسميه العامة سر الليل) فمنهم من اجازه بحجة ان العدو طالما لم يبح بشعاره ولم يخبر عن كيفية تبويقه فلا غدر في استعماله . بخلاف البسة الجنود فهي ظاهرة للعيان . ورد غيرهم بان العدو لا يتصل غالباً الى معرفة شعار العدو وسر تبويقه الا بتعذيب الاسرى ولا يخفى ما في هذا الامر الفظيع من المخالفة لشرائع الحرب المتمدنة

وقد اتهم الفرنسيون البروسيانيين انهم اكثروا في الحرب السبعينية من نشر الاخبار الكاذبة والرسائل الملفقة . وادعوا ان تلك الحيلة وان كانت جائزة شرعاً فهي مخالفة للشرف العسكري . . .

وجملة القول ما قاله مولتك « ان اعظم خير في الحرب السرعة في انجازها فيجوز استخدام جميع الطرق المؤدية الى ذلك بشرط الا يكون ذلك العمل مذموماً . . . » اه

٢ اسباب الحروب

الظاهرة والحقيقية

من النواميس الطبيعية الاساسية ان الحادث الواحد لا ينبغي ان يكون له الا سبب واحد هو السبب الحقيقي وليس في الحوادث الطبيعية سببان لحادث واحد. حتى في السياسة فان الحادث الواحد له سبب واحد. ولكن السياسيين يظهرون سبباً اخر يموهون به على الناس ليسوغوا لانفسهم اشهار العدوان ويحملوا العامة على الاخذ بناصرهم في قهر عدوهم ولذلك كان لاكثر الحروب سببان احدهما حقيقي والاخر ظاهر

واسباب الحرب الحقيقية ترجع غالباً الا مطامع الدول او الملوك في جيرانهم او الضعفاء من امم الارض يلتمسون التوسع في الملك فينتحلون اسباباً تسوغ لهم الهجوم بعدتهم ورجالهم ويختلف ذلك باختلاف الاعصر والامم. ففي العصور القديمة ايام الاستبداد والحكم المطلق كان اعلان الحرب يرجع الى رأي الملك او الامير او القائد وهو لا يسأل عن عمله. وقد يكون السبب يتعلق بشخصه لا علاقة له بالدولة او الامة فربما أعلن الحرب على مدينة أو امة انتقاماً من ملكها لانه سبقه الى اكتساب قلب فتاة او ناظره في حب حسناء. او لانه سمع عنه كلمة تعد اهانة له — وقد يغض عن تلك الاهانة أو تلك المسابقة اذا لم يعتقد في نفسه القدرة عليه ويرجح الغلبة له — فيستحث رجاله على النهوض للحرب بسبب يختلقه يموه به على عقولهم ويثير عواطفهم فيسوقهم الى القتل في سبيل مطامعه وهم يحسبون انفسهم يفعلون ذلك في مصلحتهم. فالباعث الحقيقي على الحرب الطمع بالفتح. ولو تتبعت اسباب الحروب القديمة من حصار طروادة الى حروب بونابرت لرأيت لكل منها سببين على الاقل احدهما ظاهر والاخر حقيقي مما يضيق المقام عن تفصيله مع كثرة الحروب وتنوع اسبابها. ولكنها ترجع الى طمع الملك أو القائد بالشهرة او توسيع المملكة باضافة بلاد خصبة غنية الى بلاده يستمدها عند احتياجه الى المؤونة أو الى الرجال

جاء عمرو بن العاص الى مصر في الجاهلية و رأى خصبها وضعفها فلما اسلم وصار قائداً حرض الخليفة عمر بن الخطاب على فتحها والخليفة لا يرضى بذلك خوفاً من تشتت العرب وهم في اول دولتهم . وكان القواد يتطلبون الفتح وقد طابت لهم الغنائم واستلذوا النصر فاذا استأذنوه في فتح بلد وراء الشام والعراق لم يأذن لهم — فلما استاذنه عمرو بفتح مصر رغبه في ذلك بقوله « انك اذا فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي اكثر الارض اموالاً واعجز عن القتال والحرب » فلم يجبه عمر الا متردداً

ولما اراد بونابرت ان يستولي على مصر سأله رفاقه اعضاء الادارة الفرنساوية عن سبب عزمه على ذلك وهم لا يرون الاقدام عليه فاخذ يعدد الاسباب الباعثة على هذا الفتح واهمها ان مصرا اكثر بقاع الارض خصباً وكانت اهراء لرومية والقسطنطينية ويريد ان تكون اهراء لفرنسا . وانها طريق انكلترا الى الهند فيعرقل مساعي تلك الدولة ولم يبق سواها واقفاً في سبيل مطامعه . فترددت الادارة بقبول اقتراحه فهددها بالاستقالة فقبلت فحمل على مصر باسطوله ومدافعه ورجاله . ولما دخل الاسكندرية نشر على المصريين منشوراً قال فيه ان السبب الذي حمله على ذلك الفتح ان السناجق الذين يتولون مصر منذ زمن مديد كانوا يعاملون الامة الفرنساوية بالاحتقار والاعتداء وقد جاء لمعاقبتهم وانقاذ المصريين من ظلمهم وجورهم — وما اشبه هذه الاسباب بالسبب الذي انتحله الايطاليان اليوم لاحتلال طرابلس الغرب . فترى ان حمل الفرنساويين على مصر كان له سببان احدهما حقيقي هو طمع فرانسا بخصب وادي النيل ومركزه التجاري وسبب ظاهر هو الانتقام من السناجق المماليك لانهم اهانوا الفرنساويين . ولكن هناك سبباً ثالثاً هو الحقيقي فعلاً نعني رغبة ذلك القائد العظيم في الشهرة الواسعة وحب الفتح — والا فان فتوحه في اوربا كانت كافية لفرنسا ولا حاجة الى التعرض لانكلترا وقد كان تعرضه لها سبباً في سقوطه . فاسباب الحرب في الاعصر الاستبدادية ثلاثة : اولاً مطامع القائد أو الملك وتطلبه الشهرة او لغرض خاص يتعلق بشخصه . ثانياً السبب الذي يقنع به رجاله حتى ينهضوا لنصرته . ثالثاً السبب الذي يدعيه بين يدي الناس أو يتهم به اعداءه

والدول الدستورية لا تنقاد الى ارادة ملكها أو زعيمها وانما تفعل بارادة نوابها

بعد البحث والمناقشة فهي في مأمن من الاندفاع بتيار الحدة أو الحماسة كما كانوا يفعلون من قبل فيبقى للحرب عندهم سببان حقيقي وظاهر . الاول هو الذي يحمل الدولة على الحرب والثاني تظهر به امام العالم المتمدن كالبرقع تغطي به رأسها . ومن الحوادث التي تمثل لنا هذه الحقيقة حرب فرانسا في جزائر الغرب باوائل القرن الماضي وقد كلفت فرانسا المال والرجال

حرب فرنسا وجزائر الغرب واسبابها

كان السبب الحقيقي في اشهارها رغبة فرنسا في الاستيلاء على الجزائر واستعمارها لخصبها وسعتها ولكنها لم تكن تجد ما يخولها اعلان العدوان .ثم سنحت لها فرصة هي لطمة



داي الجزائر يلطم قنصل فرنسا بالمروحة

لطمها صاحب الجزائر (الداي) لقنصل فرنسا كانت فاتحة الحرب — وذلك ان فرنسا لما ارادت فتح مصر في زمن بونابرت احتاجت الى المال فاقترضت مبلغاً من بعض اسرائيليي الجزائر وكان للداي نفع شخصي من ذلك القرض . فكان يطالب فرنسا بالدفع وهي تماطله فاتفق سنة ١٨٢٧ ان قنصلها هناك خاطب الداي بكلمة اغضبته فلطمه بمروحة

كانت بيده على وجهه كما ترى في الرسم

فعظم ذلك على القنصل وشكا امره الى حكومته فاتخذت ذلك ذريعة للعدوان فارسلت عمارتها الى الجزائر ودارت المناوشات وطال امر الحرب ثلاث سنوات. فملت فرنسا فبعثت سنة ١٨٣٠ عمارة بقيادة الاميرال دوبريه فيها ٣٧,٠٠٠ من المشاة و٤٠٠٠ فارس ومعهم المدفعية ولم تستطع الجزائر مقاومة كثيرة فسلمت وعقدت معاهدة الصلح وصارت الجزائر مستعمرة فرنساوية. وعلى اثر ذلك نهض الامير عبد القادر الجزائري مع رجاله لدفع ذلك العدو الغريب ولم يهمه ما عقدوه مع صاحب الجزائر من العهود. فانه عربي يحب الاستقلال فاضطرت فرنسا لمناهضته ودامت الحرب بينهما سبع عشرة سنة قاست في اثنائها عذاباً شديداً. لكنها انتهت بنصرتها وابعدت الامير عبد القادر الى الشام كما هو مشهور

فسبب هذه الحرب الحقيقي طمع فرنسا ببلاد الجزائر والسبب الذي أظهرته للناس انها اتت لرد شرفها لان صاحب الجزائر اهان قنصلها. وهناك سبب آخر اسكتت به الدول عند اول الحرب وهو انها انما ارادت احتلال الجزائر لطلب التعويض ولكي تبطل القرصانية التي كانت لا تزال الجزائر تتعاطاها الى ذلك العهد

حرب فرنسا وبروسيا واسبابها

وكثيراً مايتعجل رجال السياسة الاسباب او يخلقونها لتوليد العدوان واشهار الحرب اذا رأوا فيها غنيمة. واشهر الحوادث من هذا القبيل ما فعله البرنس بسمارك لاشهار حرب السبعين فانه ارتكب الكذب والتزوير في هذا السبيل ولم يهمه انه فعل ذلك في سبيل خدمة دولته. وقد افلح فجعلها امبراطورية كبيرة

والمؤرخون اذا كتبوا تاريخ الحرب السبعينية اتهموا الحكومة الفرنساوية بالهجوم ونسبوا اليها سبب تلك الحرب. ولم تنجل الحقيقة حتى اقر البرنس بسمارك لاحد الصحافيين عام ١٨٩٢ بانه زوَّر قصداً وعمداً رسالة ملكه غليوم الاول وهي الرسالة البرقيـة المعروفة برسالة أيمس. وكانت غايته اهاجة الشعب الفرنساوي وحمل نابليون الثالث على اشهار الحرب فكان كما اراد. ثم عاد بسمارك وذكر الحكاية تفصيلاً في مفكراته التي نشرت اخيراً بعد وفاته



بنيديتي سفير فرنسا يخاطب ملك بروسيا

وذلك ان فرنسا لما وقع الخلاف بينها و بين بروسيا بشأن اسبانيا وغيرها بعثت الى سفيرها في برلين الموسيو بنيديتي ان يقابل ملك بروسيا بشأن تلك المسألة وان يطلب اليه القبول بما تريده فرنسا . فقابله في ٩ يوليو سنة ١٨٧٠ في ايمس فاجابه الملك بالرفض بعبارة لطيفة ليس فيها اهانة وانصرف السفير . وكان بسمارك عالماً ان الملك سيجيب بالرفض لكنه كان يحب ان تكون العبارة شديدة تهيج غضب فرنسا لتكون هي البادية بالعدوان واعلان الحرب . فلما علم بجواب الامبراطور اللطيف غضب واخذ يعمل فكرته في حيلة يدبرها . وقد ذكر ذلك في مفكراته الخصوصية — قال بعد ان اشار الى غضبه من ذلك التساهل « عزمت على الاستقالة من منصبي فدعوت المارشال مولتك وروون لمناولة الطعام عندي في (١٣ يوليو) و بينما نحن على الطعام جاءني ساعٍ واخطرني بوصول رسالة برقية بالارقام ممضاة من مستشار الملك الخاص في ايمس فامرت بحلها سريعاً . ثم جاءني بها فلما قرأتها على مسامع ضيفيَّ علت على وجهيهما ملامح الكآبة من ضعف الملك نحو سفير فرنسا بعد ان تجاوز الحد في قحته

وأنقطعا عن الطعام والشراب . اما انا فاستمدت قراءة تلك الرسالة مراراً وكان الملك غليوم قد اذن لي بنشرها . فاخذتُ للحال قلماً وحذفت منهــا جملاً واثبتُّ أخرى فانقلب تأثيرها انقلاباً تاماً ثم التفتُّ الى المارشال مولتك والقيت عليه مسائل مختلفة تتعلق بثقته بجيوشنا ونتيجة الحرب ومهماتنا واذا كان الاولى بنا التربص والامهال ريثما نكمل استعدادنا . فاجابني للحال بانه اذا كان لا بد من الحرب فالاولى بنا السرعة اذ كل مماطلة تجر علينا اخطاراً . فقرأت الرسالة حينئذ عليهما منقحة فابرقت اسرتهما وقالا « قد تغيرت نغمتها الآن » فقلت « ستصل هذه الرسالة الى باريس قبل نصف الليل وسيكون تأثيرها على الثور الفرنساوي كتأثير الراية الحمراء ونجاحنا يتعلق كثيراً بوقع اشهار الحرب علينا اذ يهمنا ان تبدأ فرنسا بالعدوان حتى نعلن أوربا باننا لسنا الا مدافعين ... » فسرَّ مولتك بذلك سروراً عظيماً ثم ارســل نظره الى السماء باسماً وصاح « اذا قدر لي البقاء لاقود جيوشنا في هذه الحرب فالى جهنم النار هــذه العظام (وقرع صدره بكلتا يديه) . » اه

فيظهر جليًا ان هذا الداهية هو الذي رغب في الحرب وهو الذي هيأها وحمل فرنسا على اشهارها . ولو لم يعترف بتزويره هذا لظل المؤرخون ينسبون السبب في ذلك الى فرنسا

وأي شاهد لدينا اعظم من حرب الترانسفال الاخيرة فان انكلترا هي التي رغبت فيهــا وما زالت تتحرش بالترانسفاليين حتى اضطرتهم اخيراً الى اشهارها . ولما طلب كروجر وستاين السلم من اللورد سالسبوري كان جوابه انهما البادئان بالعدوان

الهلال الاحمر

والصليب الاحمر

تمهيد

اذا كانت الحرب مصيبة لا بد منها سيق اليها الانسان بفطرته وضعفه فهو ايضاً هيأ الاسباب التي تخفف ويلاتها . ولعل السابق الى هذه المنقبة المرأة لانها اكثر عطفاً وارقّ قلباً وادق عاطفة . ولا سيما في حالها الفطرية يوم كانت تشارك الرجل في مشاق الحياة فاذا ذهب هو الى القتال للدفاع عن وطنه ذهبت هي الى ساحة الحرب تحمل الماء تسقي المحاربين وتسعف الجرحى بما يحتاجون اليه من تضميد أو غسل أو علاج - كذلك كانت تفعل نساء العرب في الجاهلية يحملن قرب الماء الى ساحة القتال ويداوين الجرحى بلا شرط ولا قاعدة وانما يسقن الى ذلك بطبيعة احوال البادية

أما أهل الحضر فعندهم الجنود المنظمة لها الاطباء يذهبون في خدمتها الى ساحة الحرب يسعفون الجرحى بالعلاج المستعجل . وقد انشأوا لذلك مستشفيات تنتقل مع الملك او الخليفة أو السلطان اذا انتقل أو مع جنده في الحرب أو السلم ويسمونها في التمدن الاسلامي المارستانات النقالة كانوا يحملونها على الجمال أو البغال قطعاً أو اجزاء وفيها الخيام والفرش والادوات والآلات ونحوها ينصبونها ويركبونها اذا استقروا في مكان . وكان في معسكر السلطان محمود السلجوقي مارستان نقال يحمله أربعون جملاً يستصحبه العسكر حيثما توجهوا . ومثل هذه المستشفيات النقالة كثير الآن في الممالك المتمدنة في اتم نظام

اما الجمعيات الخيرية التي تذهب لتطبيب الجرحى في الحرب ويسمونها جمعيات الصليب الاحمر فالفضل في استنباطها للافرنج وقد اخذناها عنهم من عهد غير بعيد . وأصل ذلك ان مدينة امالفي في ايطاليا اشتهرت منذ القرن العاشر للميلاد بالتجارة فكان أهلها اكثر تجار الارض انتشاراً في الشرق وخصوصاً مصر وفلسطين فكانوا اذا قدموا اورشليم شاهدوا ما يقاسيه الحجاج اللاتين من العذاب في أسفارهم

وخصوصاً اذا اصابهم مرض أو فقر . فتقدم جماعة من اولئك التجار سنة ١٠٣٢ م الى الظاهر بالله الخليفة الفاطمي بمصر ان يأذن لهم بانشاء بيمارستان (مستشفى) في أورشليم لاعالة المرضى والفقراء من حجاج اللاتين . فأذن لهم فأنشأوه باسم القديس يوحنا وجعلوا ادارة شؤونه في ايدي اخوية انقطعت لهذه الغاية وتكاتف أغنياء أوربا على اعانته و بذلوا الاموال الطائلة في تنشيطه . وكان أعضاء تلك الاخوية او الجمعية يسمون Hospitaliers نسبة الى Hospital اي بيمارستان . وكانوا يمتازون عن سائر الناس بملابس خاصة مثل سائر أخويات تلك الايام المعروفة باخويات الفرسان . فكان الفرسان الهيكليون مثلاً يتشحون برداء اسود عليه صليب ابيض والفرسان البيمارستانيون كانوا يتشحون بأردية بيضاء عليها صلبان حمراء والفرسان التيوتونيون كان صليبهم اسود على رداء ابيض . فلما أراد أهل القرن الماضي انشاء جمعية لمعالجة جرحى الحرب اتخذوا الصليب الاحمر شعاراً لهم لانه كان شعار جمعية غرضها مثل غرضهم

جمعية الصليب الاحمر

ويرجع الفضل في انشاء جمعيات الصليب الاحمر الى محسن من اهل سويسرا اسمه هنري ديران حضر ساحة الحرب التي انتشبت سنة ١٨٥٩ بين فرنسا والنمسا في شمالي ايطاليا وشاهد اهم معاركها التي تعرف بمعركة سولفرينو وقد سقط فيها ٤٠ ألفاً بين جريح وقتيل فضلاً عن المرضى . وكان قد عاهد نفسه بمؤاساة الجرحى ومعالجتهم فشاهد بلواهم بأم عينه وسمع انينهم وعويلهم و بكاءهم بأذنيه مما تنفطر له القلوب فنشر بعد الحرب كتاباً سماه تذكار سولفرينو شرح فيه ما عاينه و وصف حالة اولئك احسن وصف مما هاج العواطف واثار الحاسات الانسانية في سائر الطبقات ومختلف البلدان . وشاركه في جهاده الخيري جمعية خيرية سويسرية . وكانت الغاية أولاً تأليف جمعيات في كل البلاد لمساعدة جرحى الحرب . ولكن أشار بعض الالمان بوجوب تعاهد الدول على صيانة تلك الجمعيات وعدم التعرض لها وغير ذلك مما استلفت انظار الحكومة السويسرية فدعت في ٦ يونيو سنة ١٨٦٤ جميع الحكومات الاوربية والاميركية لعقد مؤتمر دولي في جنيف وساعدت فرنسا ذلك المشروع كثيراً فتم انعقاده في ٨ اغسطس ووضعوا مشروعاً قرروا فيه كيفية معاملة الجرحى في حومة الوغى وصادق على معاهدو

الدول الاوربية و وافقت عليه اخيراً تركيا والعجم واليابان وسيام والكونغو وغيرها . وأضيف الى ذلك المشروع بنود خاصة بالمعارك البحرية لم تتم مصادقة الدول عليها حتى الآن . وهاك اهم ما جاء في ذلك المشروع من الامور التي تختص بمعاملة جرحى الحرب نقلاً عن كتاب حقوق الملل في الحرب وهي :



وفد من الممرضات الروسيات من جمعية الصليب الاحمر

١ — قرروا وجوب حياد المستشفيات وعدم ضرها أو مسها اذا كان فيها مريض او جريح على شرط الا يكون فيها جند لاي عذر كان سواء للهجوم او الدفاع

٢ — صيانة الاطباء والممرضين والجنود والنقالة والكهنة . فاذا وقعوا في قبضة العدو لا يمكن عدهم أسرى حرب ولكنهم اما يبقون في اجراء وظيفتهم عند العدو أو يرجعون الى معسكرهم مخفورين وليس في ذلك المشروع ذكر للجمعيات الاخرى التي تتألف عادة عند انتشاب الحرب لمساعدة الجرحى ولكنهم في الغالب يحسنون معاملة القائمين بها . والسكان الذين يعتنون بالجرحى يعفون من ضرائب الحرب وغرائمها

٣ — الاعتناء بجميع الجرحى على السواء بقطع النظر عن مللهم او اجناسهم او مذاهبهم ويحق للقواد اعادة الجرحى الى معسكرهم اذا تعذر عليه تمريضهم

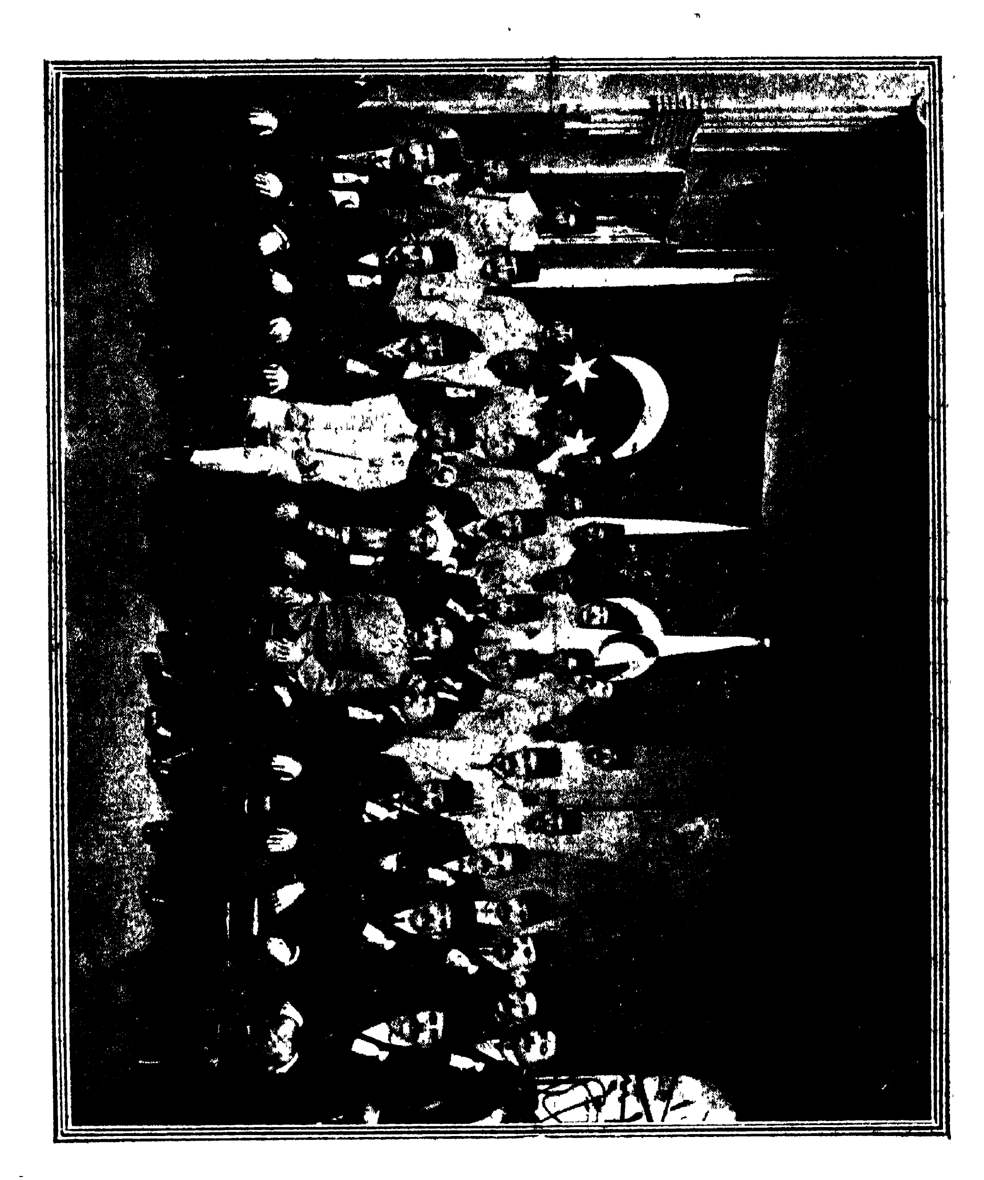
٤ — اعادة الجرحى الذين لا يصلحون للحرب بعد شفائهم الى بلادهم

٥ — لا يحق لاحد التعرض لعجلات الجرحى او لقطرها الا اذا كان سيرها مضرًّا بحركات الجند وترتيب صفوفه فيحق للقائد اجبارها على السير في طريق آخر » اه

جمعية الهلال الاحمر

اما جمعية الهلال الاحمر فهي جمعية اسلامية تقابل جمعية الصليب الاحمر المسيحية وغرضهما واحد . وقد انشأت الدولة العثمانية مستشفيات الهلال الاحمر للمرة الاولى في حربها الاخيرة مع الروس سنة ١٨٧٧ ونسبوها الى الهلال لانه شعار الدولة العثمانية وفعلت ذلك أيضاً في حربها مع اليونان وأرسلت اليوم غير بعثة منها الى طرابلس الغرب

وقد هبّ المصريون على أثر انتشاب الحرب بين ايطاليا والدولة العثمانية للاخذ بناصر الدولة وبجمع الاعانات والتحريض على الثبات . ومن أصدق خدماتها في هذا السبيل وأعجلها نتيجة جمعية الهلال الاحمر تشكلت في ادارة المؤيد برئاسة رصيفنا الشيخ علي يوسف رئيس تحريره بعد مفاوضة الاستانة بشأنها . وأقبل الاغنياء والوجهاء على الاشتراك فيها ببذل المال وتقديم العقاقير أو الآلات والادوات أو الثياب . وتبرع الاطباء والصيادلة للذهاب في خدمتها الى ساحة الحرب لمواساة الجرحى . وشكلت لذلك في اواسط نوفمبر الماضي بعثة طبية برئاسة الدكتور عزت أفندي الجندي وهو أول مقترح لتأليف هذه الجمعية واول منظم لشؤونها وأول من فاوض الاستانة بامرها . والبعثة المذكورة مؤلفة من رئيسها المشار اليه وخمسة أطباء وصيدليين ومساعد صيدلي وأمين صندوق وكاتب وعشرين ممرضاً وحملوا مهماتها في عربتين من عربات السكة الحديدية الى مرسى مطروح واشترت ٢٥ جملاً واستأجرت ٧٥ جملاً وخمسة افراس لركوب الاطباء الآخرين . والفت هيأة هجانة من ست هجن للمخابرة بين البعثة والجمعية المركزية . ومعها نحو مائة سرير تامة المعدات غير الخيام والادوات . وكان في مقدمة المتبرعين صاحبة الدولة والعصمة والدة الجناب العالي فانها أظهرت انعطافاً عظيماً نحو هذا العمل الجليل فقدمت للبعثة اكثر ما تحتاج اليهِ في معالجة الجرحى ومداواتهم والاخذ بايديهم من العقاقير والالبسة واللفائف والآلات الجراحية والاطعمة والاشربة وغير ذلك مما يستغرق ذكر اسمائه فقط عدة صفحات من الهلال وانما نقول



جمعية الهلال الاحمر المصرية

بالاجمال ان مجموع عدد تلك الاشياء نحو ستة آلاف قطعة فيها الصناديق والاكياس والشوالات فضلاً عن الف جنيه دفعتها نقداً للجمعية . فلا غرو بعد ذلك اذا تسابق ذوات الخدر الى الاقتداء باعظم نساء هذا القطر

الصين

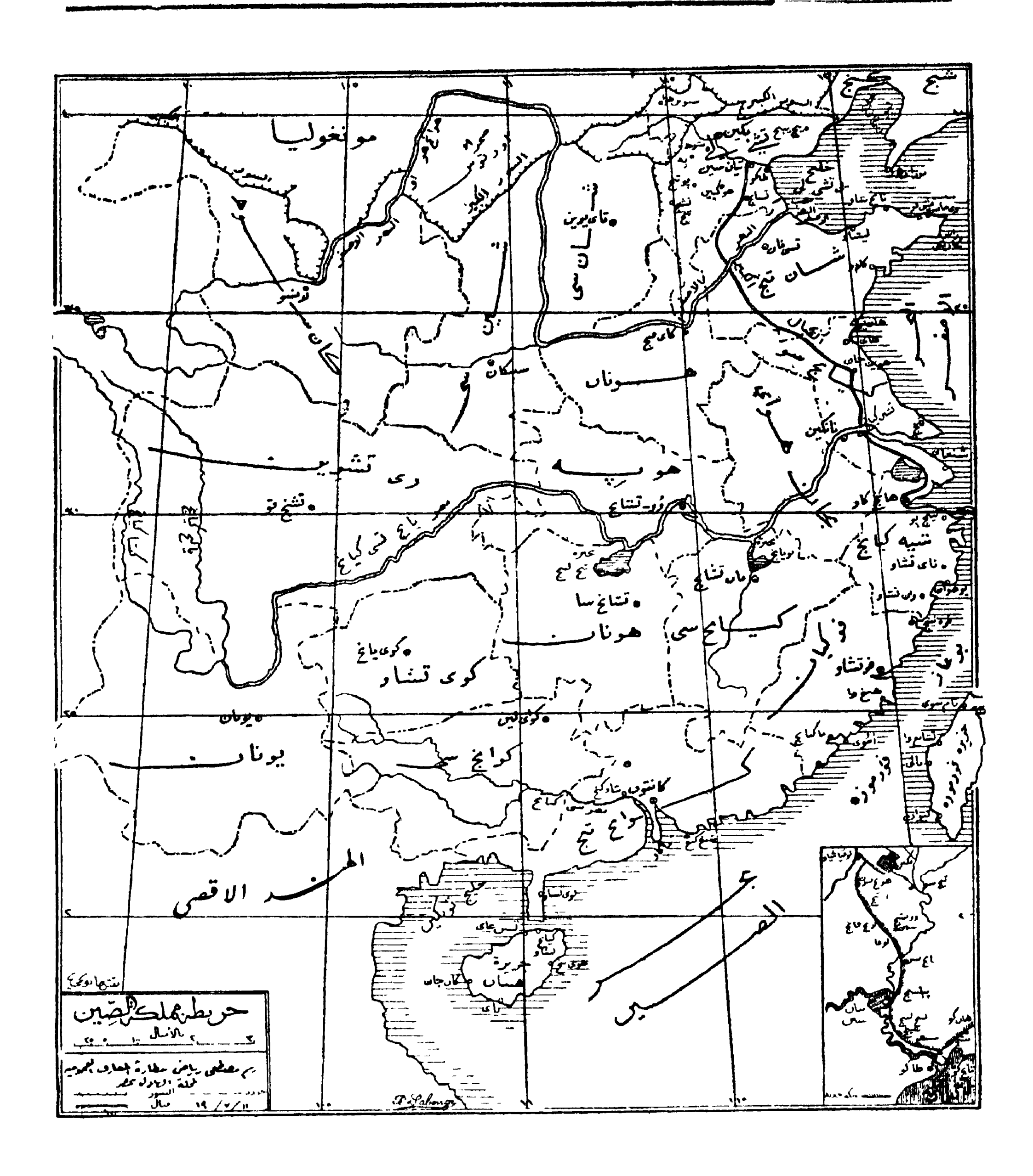
الانقلاب السياسي الصيني على الابواب

الدكتور سن يتسان زعيم الصينيين الاحرار

ان انهماك كتابنا بطرابلس الغرب واخبارها شغلهم عن الخوض في اهم انقلاب يتوقع حدوثه في الشرق قريباً. نعني قلب الحكومة الصينية من امبراطورية مستبدة الى جمهورية متحدة. وبعبارة اخرى انتقال ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس من الحكم الاستبدادي الى الدستوري. وكأن هذه العدوى امتدت الى الصين من جارتها اليابان او لعلها قلدت بها الحكومتين الشرقيتين الدستوريتين العثمانية والفارسية في انقلابهما منذ بضع سنوات. ولكن الانقلاب السياسي لا يتم بسنة او بضع سنين ولا بدّ من ادوار يمرّ بها تختلف طولاً وقصراً باختلاف الامم وطبائعها وسائر احوالها فتتمهد اسباب الانقلاب وتتهيأ نفوس الامة لقبوله. واليك اهم العوامل في ذلك

١ — التعليم

التعليم اكبر الوسائل التي تهيئ الامة لقبول الدستور وتساعدها على نيله. وقد توفر ذلك للامة الصينية في عهدها الاخير بانشاء المدارس ونشر العلم الحديث والاحتكاك بالاجانب المتمدنين — كان التعليم فيها قبل هذا العصر محصوراً في المعابد على الشكل القديم الذي وضعه قدماء الصينيين والغرض منه اداء الفروض الدينية لبوذا او كونفوشيوس أو تاو. وتدريب الشعب على الخضوع للملوك والكهنة وتقديسهما. فلما احتك الصينيون بالاجانب وبمن ارتقى من اليابانيين جيرانهم اخذوا ينفرون من ذلك الاسلوب ويميلون الى الاساليب الحديثة والعلوم الحديثة والحكومة تجاري الامة على ذلك حتى اقرت اخيراً على الغاء الاسلوب القديم بامر امبراطوري صدر في سبتمبر سنة ١٩٠٥ فآل ذلك الى نهضة عمومية في التعليم واخذ الصينيون في انشاء المدارس من عند انفسهم او سهلوا انشاءها للاجانب لتعليم العلوم العصرية. فكثرت الكليات والجامعات والمدارس على اختلاف طبقاتها وتخرج فيها العلماء والاطباء والقضاة والاساتذة وانتشرت اللغات الافرنجية وكثر الكتاب والشعراء والمترجمون



واهم معاهد العلم هناك «جامعة بكين الامبراطورية» وهي من المدارس الاميرية تعلم فيها اللغات الانكليزية والفرنساوية والالمانية واليابانية والروسية والصينية. ويدرس فيها القضاء والرياضيات والكيمياء والفيسيولوجيا ونحوها من العلوم الطبيعية على ايدي اساتذة من الاوربيين واليابانيين . اما تعليم صغار الصينيين فيناط باساتذة وطنيين . وفي بكين كلية طبية انكليزية يتخرج فيها اطباء صينيون اسستها جمعية التبشير الطبية

سنة١٩٠٦ باموال جمعت بالاكتتاب من الوطنيين والاجانب . وقد قررت الحكومة قبول شهادتها الطبية وعينت لها اعانة سنوية

وفي مدينة تيان تسين جنوبي بكين جامعة صينية فيها خمسة اساتذة اجانب وسبعة وطنيين . وفيها كلية انكليزيةصينية ومدرسة صناعية تحت مناظرة اليابانيين . وكليات طبية ومدارس تبشيرية عديدة . وفي شان تنج جنوبي تيان تسين مدارس وكليات عديدة . وفي شيفو كلية امبراطورية وعشرمدارس عالية غير المدارس الاهلية ومدارس المبشرين والمستشفيات

وقس على ذلك مدارس سائرالولايات الصينية وهي تعدُّ بالمئات لا محل لايرادها . منها ٦٠ مدرسة اميريةفي وو تشاو على نهرالصين الكبير وهي بؤرة الثورةومجتمع الاحرار وقد حولوا كثيراً من معابدها البوذية الى مدارس . وفي شنغاي قرب مصب ذلك النهر كثير من المدارس التبشيرية الكاثوليكية والانجيلية تعلم فيها اللغات الانكليزية والفرنساوية . غير الارساليات العلمية التي ترسلها الصين الى الولايات المتحدة الاميركية كل سنة وغير المدارس الحربية . وقد نقلوا الى اللغة الصينية كثيراً من الكتب الافرنجية المفيدة وهي آخذة في الانتشار باطراف المملكة . وفي شنغاي عشر صحف صينية وفي بكين عشرون صحيفة وهكذا في غيرها . وربما بلغ عدد الصحف هناك نحو ٢٠٠ صحيفة بين يومية واسبوعية وشهرية وهي آخذة في الازدياد

٢ — ظلم الحكام

ان التعلم لايبعث على الانقلاب السياسي ان لم يشتد ظلم الحكام المستبدين . وهذا الدستور العثماني انما تعجله مبالغة السلطان المخلوع في الظلم والعسف ولوكان اقل ظلماً والطف اسلوباً لطال مكثنا تحت ذلك النير اكثر من ذلك — والصينيون اليوم قد تفتحت عيونهم بالعلم فاصبحوا لا يصبرون على فساد الاحكام وظلم الحكام وخصوصاً لان حكامهم غرباء عنهم جنساً ونزعة — نعني طائفة المنشو وهم اسرة تترية الاصل سطت على الصين في القرن السابع عشر وحكمتها ولايزال يتوالى عليها الامبراطورون من ابنائها والامبراطور الحالي غلام لايزال في السادسة من عمره اسمه «بيو يي» وهو الامبراطور العاشر من ابناء هذه الاسرة . تولى الملك بعد عمه تسان تيان الملقب كوانغ هسو سنة ١٩٠٨ وهو رضيع ولقب بلقبه . وهو ابن البرنس تشون اخي الامبراطور السابق وتحت وصايته

ما قولك بحكومة امبراطورها ابن ست سنوات وقد تمكن الفساد منها بتوالي

الاجيال وانغمس اصحابها بالمطامع . والاحكام تجري فيها بالدسائس كما يشاء نساء القصر كذلك كانت تفعل تسوهسي الامبراطورة المتسلطة في زمن الامبراطورين السابقين تساي تشون وتساي تيان وقد توفيت سنة ١٩٠٨ وينوب عنها الآن امثالها من نساء القصر اشهرهن اثنتان تعرفان في اصطلاحهم باسم « دواغر » ويراد بها الامبراطورة الارملة . فالحكومة الصينية اليوم يسيطر عليها ارملتان تقتسمان النفوذ وتشتركان في الخراب . والمملكة الصينية مؤلفة من مقاطعات لكل منها استقلال اداري وانما علاقتها بالعاصمة بكين بتقرير تقدمه كل منها ومال تدفعه كل سنة . ولا يقل استقلال هذه الولايات في ادارتها واحكامها عن الولايات المتحدة الاميركية . لكنها تمتاز عنها بخضوعها لاسرة تتوارث الملك وتستنزف ثروتها وتتمتع بخيراتها وهي اسرة المنشو . وكان الصينيون راضين بذلك في عصر الظلمة على عادة الامم في عصور جهالتهم . فلما تعلموا احسوا بقيود الاستبداد فقاموا يطلبون الحرية . ولم ينهض منهم الا الطبقة الراقية وأما العامة فلا يزالون في غاية الجهالة لا يقرأون ولا يعرفون من احوال العالم شيئاً وفيهم من لم يسمع بالحرب اليابانية الصينية الى اليوم

٣ ـ رجال العمل

ولا فائدة من التعلم وشعور الامة بالظلم او الضغط ان لم ينهض ابناؤها لطلب الحرية والغالب في هذا النهوض ان يبدأ بتأليف الجمعيات السرية وبث روح الحرية في افراد الامة وتحريضهم على مقاومة الظلم والجور كما الف العثمانيون جمعية الاتحاد والترقي . فألف الصينيون جميات سرية تعرف بجميات « الصين الفتاة » كما نقول تركيا الفتاة او مصر الفتاة . واخذوا يتذمرون ويتشاكون ويسعون سرًّا وانما كانوا يفتقرون الى زعيم ينهض بهم ويسدد خطواتهم فوفقوا الى رجل توفرت فيه الاسباب المساعدة على هذا المشروع العظيم نعني الدكتور سن يتسان زعيم الاحرار الصينيين

الدكتور سن يتسان

ولد سن يتسان في هونولولو نحو سنة ١٨٦٢ ولا يعرف عن صباه الا القليل . جاء سنة ١٨٩٢ الى جزيرة « ماكاو » في جنوب الصين الشرقي قرب مصب نهر كانتون لممارسة صناعة الطب . وكان قد تخرج بمدرسة للطب في هونغ كونغ تعرف بكلية كانتلي وتعرّف الى صاحبها الدكتور كانتلي وعائلته وتمكنت الصداقة بينهما

وماكاو هذه من املاك البورتغال دخلت في حوزتهم منذ نيف وثلاثة قرون لكن اهلها اكثرهم من الصينيين وفيهم قليل من البورتغاليين . فلقي الدكتور سن تنشيطاً من

اصحاب المستشفى الصيني الوطني هناك على غير العادة لان الصينيين يقاومون كل متخرج في المدارس الاجنبية . على ان الحكومة البورتغالية وقفت في طريقه لان قوانينها لاتسوغ لطبيب معاطاة الطب ان لم يكن في يده دبلوما بورتغالية . فانتقل الى كانتون



الدكتور سن يتسان زعيم الصينيين الاحرار

وكان قد تعرف في ماكاو الى جمعية الاحرار الصينيين فوافقت مبادئهم ما يجول في خاطره من حب الحرية فانتظم في سلكها ووقف حياته لخدمة مشروعها . وذكر من الاسباب التي حملته على كره الحكومة الحالية انه شهد وهو غلامٌ مقتل اناس حكم عليهم بالاعدام ثم خاطب اهلهم فسمع منهم تذمراً من الحكومة فغرس في ذهنه كرهها من ذلك الحين . فلما انتظم في الجمعية انقطع عن كل شيء في سبيل نشر مبادئها وجعل يطوف البلاد يخطب ويحث الناس على الاتحاد لطرد اسرة المنشو حكامهم . واكبر مراكز الاحرار في الصينيين القائمين بطلب الحرية ثلاث مدن في اواسط الصين على نهر يان تسي كيانج الذي يقطع الصين من الغرب الى الشرق اهمها مدينة ووتشانج على الضفة اليمنى في الجنوب وهنيان على الضفة اليسرى في الشمال وهانكو وهي محطة حديدية . ويبلغ عدد سكان هذه المدن الثلاث نحو ١٢٥٠٠٠٠ نفس

وعلمت الحكومة بمساعيه فقبضت عليه وسجنته سنة ١٨٩٦ فتوسط له صديقه الدكتور كانتلي لدى اصحاب النفوذ فاخلي سبيله فعاد الى العمل متنكراً . فاخذت

الحكومة في مطاردته وهو يتنقل متنكراً باسم تاجر أو طبيب أو صانع لا يدخر وسعاً ولا يبالي بتعب ولا خطر . فالحكومة لما اعياها القبض عليه وضعت جائزة خمسين الف جنيه لمن يأتي برأسه فلم يؤثر ذلك في ثباته وبسالته . وظلّ يطوف بلاد الصين واليابان وينتقل الى اوربا واميركا بجأش رابط وعزم ثابت . وقد تردد مراراً لزيارة عائلة صديقه الدكتور كانتلي في لندن يقضي عندهم اياماً والحكومة الصينية تطلبه وتعلم انه في لندن فتبعث في القبض عليه فلا تجده . وكان اكثر تنكراً في تجواله باسم سائح تجاري من محل « تاديشي اكومورا وشركاهم تجار وكوموسيونجية في يوكوهاما » فيختلف الى البيوت التجارية في الصين وغيرها ويعرض على اصحابها عينات من البضائع ويعقد معهم الاتفاق على الطلبيات لا يستغشه احد منهم

وقد اجمع الذين لقوه من مكاتبي الصحف في انكلترا وغيرها ودرسوه وانتقدوا اخلاقه على انه خير كفء للعمل الذي وقف نفسه له . لانه هادىء المزاج ثابت الجنان لا يعرف غير الجد ولا يلتفت الى الخيالات والاحلام . وانما يهمه العمل ولا يتكلم الا قليلاً جدًّا . لا تراه الا مفكراً وقد جعل قاعدة عمله « انكار ذاته » والتفاني في انقاذ وطنه من سلطة الاجنبي . وبلغ من نفوذه عند مريديه حتى نسب بعضهم ذلك فيه الى قوة مغنطيسية يتسلط بها على مخاطبيه . ولكن الذين دققوا في درس اخلاقه نسبوا ذلك النفوذ الى دقة شعوره مع مخاطبيه وصدق تفانيه في خدمة وطنه مع استعداد الامة لقبول الدعوة

ويعدُّ أتباعه الآن بالملايين ولا تقتصر دعوته على الادباء والكتاب أو الفقراء من الناس فان بين مريديه جماعة كبيرة من اهل الثروة وقد وقفوا اموالهم لمشروعه . وأهم من ذلك ان الجند قد انحاز اليه منه كل متعلم . فالفرق النظامية الحديثة من الجند الصيني كلها من حزبه وتقدر بنحو ثلثي الجيش الصيني . ولم يبق مع الحكومة غير الجند القديم . وقد نظم جنده نظاماً خاصا وولى عليه القواد من الاحرار وقائدهم العام اسمه الجنرال لي يوان هنغ

وقاعدة تعليمه وتبشيره ان « الصين للصينيين » وقد رسم خطة الاصلاح التي ينوي ادخالها على حكومة الصين وهي تنحصر في خلع الاسرة المالكة وتحويل الحكومة الى جمهورية تتحد فيها الولايات الصينية مثل اتحاد جمهورية الولايات الاميركية . مع تجنب بعض ما يراه من النقص في نظام هذه الجمهورية بما يلائم طبائع الصينيين

وهو الآن في التاسعة والاربعين من العمر وقد رسخت قدمه في المشروع الذي



الجنرال لي يوان هنغ قائد جند الصينيين الاحرار

قام له ولم يعد يخاف الموت . وقد قال لبعض المكاتبين « من شاء أن يربح الخمسين الف جنيه الآن فليأت ويأخذ رأسي لأني لم أعد اخاف على مشروعي فقد ثبت وتأصل واذا مت قام كثيرون مقامي »

والدكتور سن يتسان متوسط القامة ممتلىء الجسم أسمر اللون شديد سواد الشعر . أقرب بملامحه الى اليابانيين منه الى الصينيين وقد تثقف بالعشرة والاسفار حتى صار مثل ارقى ابناء انكلترا تأدباً وأسلوباً . وفيه ميل كثير الى تعاليم النصرانية وقد صرح غير مرة انه يسعى في اصلاح بلاده على نحو ما شاهده في أوربا وأميركا من القواعد المبنية على تعاليم الكتاب المقدس

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الثاني

كتب الينا كثيرون يستبطئون صدور الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية ملحق السنة الماضية وقد قلنا في آخر صفحة من هلال السنة المذكورة انه سيصدر في هذا الشتاء وهو لا يزال موعدنا ان شاء الله



جرجس بك حنين

ولد نحو سنة ١٨٥٠ وتوفي سنة ١٩١١

تمهيد في الاقباط وآداب اللغة العربية

لما فتح المسلمون مصر كان الاقباط يتفاهمون بالقبطية بقية لسان المصريين القدماء واراد العرب استبقاء الحكومة على ما كانت عليه قبل الفتح فعهدوا الى الاقباط

بشؤونها الكتابية والحسابية كما كانوا قبل الفتح . وهم في ذلك الحين يعدون العرب اصدقاءهم لانهم انقذوهم من الروم . فلما افضت الدولة الى الامويين واخذوا في تعريب رعاياهم نقلوا الدواوين الى اللغة العربية وفي جملتها ديوان مصر فخسر الاقباط كثيراً من مناصب الدولة . ثم تعلموا العربية وعادوا الى خدمتها في الدولة العباسية ولم يمض زمن حتى صاروا يعدون عرباً كما يعد السوريون وغيرهم من سكان البلاد المعربة — وقد سموا عرباً لتفاهمهم بالعربية . فاخذ الاقباط يعودون الى خدمة الحكومة رويداً رويداً وصارت اليهم جباية الخراج في الدولة الطولونية وكانت قبل ذلك للعرب . فزاد دخولهم في شؤون الدولة وتعاظم نفوذهم ولاسيما في الخلافة الفاطمية . فتولوا أعظم مناصبها وكان لهم النفوذ الاكبر فيها . واشتهر منهم جماعة في السياسة والادارة ونالوا القاب الدولة وثقة الخلفاء وكثر فيهم المتمولون وارباب الفنون والصنائع . فشغلهم ذلك عن العلم والادب ولم يشتغل منهم في آداب اللغة العربية الا قليلون . وانما نبغ العلماء والكتاب منهم في الدولة الايوبية (سنة ٥٦٢ — ٦٤٨ هـ) لان الايوبيين نشطوا آداب اللغة وقربوا اهلها . ومن اشهر العلماء في ذلك العصر وما يليه اولاد العسال ولهم مؤلفات في العربية طبع بعضها وهي تدل على سعة علمهم . وجرجس بن العميد ويعرف بابن المكين كاتب الجيش كان عالماً بالتاريخ والجغرافية والفلك والمنطق ويحسن اللغات العربية والقبطية واليونانية وله تاريخ مطبوع ومشهور . وبطرس أبو شاكر الراهب صاحب كتاب الشفاء وغيرهم

فلما صارت الدولة الى السلاطين المماليك عاد الضغط الى الاقباط فشغلهم عن العلم وان لم يشغلهم عن السياسة والادارة . حتى اذا أفضت الامور الى الاسرة المحمدية العلوية وأطلق سراح المواهب والقرائح باستتباب الامن وتوجيه الهمم الى آداب اللغة العربية على الخصوص كان للاقباط حظ من تلك النهضة . ثم تواردت الارساليات المسيحية الى مصر كما تواردت الى سواها من الشرق وانشأت المدارس للتعليم على النمط الحديث . فكان الاقباط أسبق العناصر المصرية اليها لاشتراكهم معها في الدين فآل ذلك الى تمكنهم من اللغات الافرنجية والاخذ بالعلوم الحديثة فانشأوا الصحف ونبغ منهم المؤلفون . واقدمهم في القرن الماضي المعلم الياس بقطر صاحب المعجم العربي والفرنساوي ويعقوب بك نخله صاحب تاريخ الامة القبطية ورفله جرجس مؤلف كتاب الاقتصاد السياسي واقلاديوس بك لبيب العالم في اللغة القبطية وصاحب معجمها القبطي العربي وشاروبيم بك صاحب تاريخ مصر القديم والحديث وغيرهم

وحدثت في اوائل هذا القرن نهضة علمية أخرى في الامة القبطية ونبغت فيها طبقة اخرى من كتاب الصحافة واصحاب الجرائد والمجلات والمؤلفين ليس هنا محل الكلام عنهم . وانما نحن في معرض الكلام عن نابغة من نوابغ الاقباط اضاف الى آداب اللغة العربية آثاراً تزداد قيمتها مع الزمن نعني جرجس بك حنين

ترجمته

هو ابن حنين عبد السيد كبير عائلة البغيل من اقدم بيوت الاقباط في مديرية الفيوم . ولد في مدينة الفيوم وتثقف في مدرسة الاميركان هناك . فتلقى فيها اللغتين العربية والانكليزية وتمرس بما اشتهرت به مدارس الاميركان في بلادنا من تربية الاخلاق على استقلال الفكر والاعتماد على النفس والصراحة في القول والثبات في العمل . وهي المناقب التي عرف بها صاحب الترجمة في ما تعاطاه من الاعمال

ولما خرج من المدرسة دخل في خدمة الحكومة المصرية على عادة المتعلمين من الشبان — ولا يزالون الى الان يفضلون تلك الخدمة على كل عمل سواها . وتدرج صاحب الترجمة في مناصب الحكومة من كاتب صغير في تفتيش الدائرة السنية الى باشكاتب فرئيس قلم فاحد مديري الاموال المقررة بنظارة المالية . ونال الرتب والالقاب والاوسمة . ولا غرابة في ذلك لان الموظف يسير فيه على خطة مرسومة يتمشى عليها المجتهدون المواظبون الاذكياء . فليس هذا الذي بعثنا على ترجمته في الهلال وفي خدمة الحكومة كثيرون نالوا امثال هذا المنصب وأعلى منه وامتلات صدورهم بالاوسمة وقرنت اسماؤهم بالالقاب ولم نترجمهم لاننا لا نرى في ترجمتهم فائدة للقراء او لانهم لم يخلفوا آثاراً تستحق الذكر

واما جرجس حنين فانما ترجمناه لما تفرد به من الخلال التي يصح ان تكون قدوة لطلاب العمل واتى اعمالاً مفيدة في المناصب التي تولاها وخلف آثاراً علمية ادبية

صفاته واخلاقه

كان رحمه الله طويل القامة مهيب الطلعة قوي البنية وقوراً محترماً واهم اخلاقه :

١ — الثبات وعلو الهمة : كان رحمه الله مثالاً في المواظبة على العمل والثبات في تحصيل ما يريده . فلم يضيع اوقات الفراغ في القهوات واماكن اللهو كما يضيعها اكثر الموظفين . وانما كان همه التوسع في معارفه ليستطيع الارتقاء في منصبه . وقد خرج من مدرسة الفيوم ولم يتم علمه في العربية والانكليزية وهما سلم الارتقاء فاخذ في

اتقان درسهما . وعكف على درس اللغة الفرنساوية وهو في الخامسة والثلاثين من عمره . ولم يتقن الخط في المدرسة – وحسن الخط من اسباب التقدم في الخدمة – ولم يكن ثمة دفاتر مطبوعة لتعلم الخط فانتزع صفحة من التوراة وجعل يقلد خطها ويمارس ذلك حتى اصبح خطه من اجمل الخطوط . وكان اذا اخذ في عمل اندفع اليه بكليته حتى يتمه . وفيه ميل شديد الى اتقان ما يعمله والتعمق في ما يبحث فيه حتى يجيده

٢— الاعتدال والاخلاص : وكان معتدل المزاج واسع الصدر مخلص الطوية صادق العزيمة عفيف الذيل مع دعة ولطف . وساعده ذلك على اكتساب ثقة رؤسائه وحب اصدقائه ورجوع معارفه الى توسيطه في فض ما بينهم من الاختلافات العائلية او غيرها . وكان يسمع الشكوى من الجانبين ويفصل بما يراهُ فيرضى الخصمان بحكمه

اعماله في الحكومة

ان اعمال موظفي الحكومة قد تكون كثيرة هامة ولا تظهر اهميتها للناقد الا اذا اعمل الفكرة في ما يترتب على تلك الاعمال من الخدمة العامة لحفظ النظام وصيانة الحقوق وما يقتضي للوصول الى تلك النتيجة من الجهد والتفكير . ولذلك فلا نظن القراء يقدرون اعمال المترجم في مصالح الحكومة حق قدرها

ذكرنا من سجايا الفقيد ثباته في عمله وميله الى اجادة ما يأخذ به من الاعمال . فهذه السجية تستوجب اصلاحات كثيرة ادخلها في المناصب التي تولاها — ونظام الحكومة يومئذ اكثر حاجة الى الاصلاح ولا سيما في المديريات . فقد ذكروا له اصلاحات كثيرة أدخلها في مديرية الجيزة وهو رئيس كتابها من سنة ١٨٨٥ وكذلك في مديرية بني سويف وغيرها . ولكن أهم اعماله ظهرت في الاموال المقررة بنظارة المالية فقد اشتغل فيها بضع عشرة سنة لا يفتر عن التفكير والتدبير فكان يجول في المديريات يفتش ويدقق فاذا عاد الى القاهرة قضى اياماً وهو يدون ما لاحظه أو رآه مما يوجب الاصلاح . وقد وثق به رؤساؤه والقوا اتكالهم عليه . فلم يصدر في ايامه قانون أو لائحة او امر عال او منشور من نظارة المالية الا وله يدٌ في وضعه أو تنقيحه

ومن مشروعاته من هذا القبيل انه قضى اشهراً يتنقل في مديرية الجيزة لدرس مسألة النخيل وتعداده فلما عاد وضع الطريقة اللازمة وهي المتبعة حتى الان . وادخل اصلاحاً هاماً في طرق المساحة ووضع قواعد خاصة لمساحة الزمام وتعديل الضرائب ولائحة للتفتيش يرجع اليها المفتشون اليوم . وتقريراً في شأن اصلاح تفتيش الوادي

وله كثير من التقارير واللوائح والمنشورات لا محل لذكرها . ووضع قبيل وفاته تقريراً في نظام الخفراء

اعماله الطائفية

كان لوجاهته وغيرته كثير الاشتغال بالمسائل الطائفية وهي كثيرة وهامة لان الاقباط في نهضة اجتماعية ادبية تقتضي تعديلاً في القوانين الكنائسية وانشاء المجالس الملية . وقد كان من اكبر المجاهدين في سبيل اصلاح تلك الشؤون . وكتب تقريراً رفعه سنة ١٨٩٩ الى البطريرك بين فيه الاصلاح اللازم . فلما تشكل المجلس الملي سنة ١٩٠٥ كان الفقيد من اهم اعضائه العاملين ونال اكثرية كبرى . واخذ في العمل بنشاط وهمة وتعقل فوضع تقريراً عن اوقاف الاقباط — وهي نقطة الخلاف بين البطركخانة والطائفة استغرق مئة وخمسين صفحة قضى في كتابتها ثمانية اشهر وهو يطوف شوارع القاهرة وازقتها للبحث بنفسه عن تلك الاوقاف لانها كانت مبعثرة فاحصاها وقاسها وقدر اثمانها وريعها واقترح ما رآه صالحاً . واشترك في وضع لائحة رسوم الاحوال الشخصية واللائحة الداخلية لادارة البطركخانة

آثاره الادبية

كان رحمة مع اشتغاله في المصالح الاميرية والطائفية يجد فراغاً من الوقت للمطالعة والدرس في المواضيع العامة فقرأ اهم كتب الادب والدواوين الشعرية والتواريخ واقتنى مكتبة نفيسة . وكان يحب مجالسة اهل الادب ويباحثهم ويستحثهم على التأليف والكتابة وكان هو نفسه يشتغل في التأليف فخلف آثاراً ادبية هامة هي اهم آثاره بالنظر الى جمهور القراء لانها تمس حاجاتهم . اهمها :

١ — كتاب الاطيان والضرائب : وهو كتاب جليل في ٧٦٠ صفحة كبيرة ضمنه اختبار عشرات من السنين ودرس سنين كثيرة ومراجعة مئات من اللوائح والمناشير والاوامر العالية فضلاً عن كتب التاريخ وغيرها . فجاء كتاباً وافياً لم يوفق احد الى مثله في موضوعه . فصدره بتمهيد جغرافي تاريخي ضمنه تاريخ التقسيم الاداري في القطر المصري وجداول اطيان المديريات ومالكيها ومقاديرها وتاريخ جباية مصر ونظام الحكومة وكيف تدرج حتى وصل الى ما وصل اليه الآن مفصلاً كل فرع على حدة واختصاصات كل قسم منها . وتوسع في تاريخ نظارة المالية وأقسامها وما صدر بشأن ذلك من الاوامر العالية الى الامر العالي الصادر سنة ١٩٠٤ بشأن الاتفاق الانكليزي الفرنساوي الجديد . وانتقل بعد هذه المقدمات الى البحث في الضرائب

العقارية فتكلم اولاً في ايرادات الحكومة اجمالاً ووحدة النقود والتاريخ الرسمي . ثم في فك الزمام العمومي أو التاريبع فذكر تاريخه وما يتعلق به ومنافع الاراضي وما يتعلق بها من الزراعة وغيرها . واتى على تاريخ الخراج بوجه عام وفصل بين الاطيان الخراجية والعشورية وتاريخ كل منهما والفرق بينهما . ثم بين تسديدات الضرائب وتاريخها وشروطها وقوانينها والاوامر الصادرة بشأنها وانواع المرفوعات المقررة والاجراآت الادارية المتبعة في اخذ الاطيان . وبحث في ابطال زراعة الدخان والتنباك والحشيش البلدي ثم تكلم في عشور النخيل وعوائد المباني بالمدن وعوائد طواحين الهدير . وختم الكتاب بفصول في الضرائب الغير العقارية كالجمارك والمصائد والملح وغيرها . والحقه بفرس ابجدي غير فهرس المواضع

٢ — قوانين الاموال المقررة : وهو يشتمل على ما يتعلق بالاموال المقررة من القوانين واللوائح اتمه سنة ١٩٠٩ واصدرته نظارة المالية في نحو ٨٥٠ صفحة مع مقدمة لصاحب العطوفة حشمت باشا ناظر المعارف العمومية اشار فيها الى ما بذله الفقيد من الهمة في تأليف هذا الكتاب واثنى عليه الثناء الجزيل

مضار التدخين

﴿ مصر ﴾ الشيخ اسماعيل سيد احمد بالشرابية

ما هو الضرر الذي ينتج من تدخين التبغ من الوجهة الطبية

﴿ الهلال ﴾ قال الدكتور شميل «يؤثر دخان التبغ لي المدخنين في ثلاثة اعضاء رئيسية وهي القلب والرئتان والمعدة . وهذه الاعضاء الثلاثة يحييها عصب واحد هو العصب الرئوي المعدي ولذلك كان بين هذه الاعضاء الثلاثة اشتراك عظيم بحيث ان علل الواحد تؤثر في وظيفة العضوين الآخرين تأثيراً واضحاً . وقد يكون التأثير الثاني أهم من الاول واظهر للمريض فكثيراً ما يكون بالانسان خفقان في قلبه أو ضيق في تنفسه وتكون العلة الاصلية في المعدة ولا يبرأ الخفقان أو ضيق التنفس الا بمداواة علة المعدة وبرئها لما تقدم ذكره من اشتراك هذه الاعضاء في عصب واحد

« ودخان التبغ يحدث في المدخنين وخصوصاً الذين يبلعون الدخان والمدمنين استعماله نوع خدر في العصب الرئوي المعدي فيؤثر ذلك في القلب ويظهر تأثيره فيه بسرعة ضرباته التي قد تبلغ ١٠٠ و١٢٠ ضربة في الدقيقة ومع هذه السرعة تضعف

قوته فلا يدفع الدم بقوة كافية فتنقص من الدماغ ويعرض عن ذلك ما يسمى بدوار المدخنين . ويؤثر التدخين في التنفس أيضاً فيضيقه ولذلك كثيراً ما يكون بالمدخنين علة ضيق النفس . وسببه ان العصب الرئوي المعدي تتوزع منه فروع في عضلات المزمار فضعفه يضعف هذه العضلات فلا تقوى على تبعيد شفتي المزمار في الشهيق كما يلزم فيقل دخول الهواء الى الرئتين وتشتد الحاجة اليه فيضيق النفس

« اما تأثيره في المعدة فعظيم والعصب الرئوي المعدي هو المحرك للمعدة والمساعد بهذه الحركة على الهضم . فضعفه يضعف هذه الحركة فلا يتقلب الطعام في المعدة كما يقتضي فيعسر الهضم لقلة تعرض الطعام للعصارة المعدية وينتهي ذلك بان يؤثر أيضاً في وظيفة الهضم نفسها فيضعف ويقع المرء في الديسبسيا أي عسر الهضم فتطول اقامة الطعام في المعدة غير مهضوم فيفسد ويولد غازات كثيرة ولكون المعدة ضعيفة قوة الانقباض فلا تقوى على هذه الغازات فتتمدد بها . ويمتد تأثير ذلك الى الامعاء ايضاً لمرور الطعام اليها غير مهضوم فيهيجها . والحاصل ان دخان التبغ مضرٌّ بالعصب الرئوي المعدي وذلك هو سبب جميع الاضطرابات التي كثيراً ما ترى في المدخنين » اه

دار الكتب الخديوية

خطوة أخرى في خدمة الآداب العربية

ان دار الكتب الخديوية من اكبر العوامل في تعزيز النهضة العلمية لانها وسيلة كبرى لنشر العلم وتسهيل المطالعة والمراجعة وهو الغرض الاصلي من انشائها . لكنها كانت في حاجة الى اصلاح في ادارتها وبروغرامها والى العناية في اختيار ما ينقصها من الكتب المفيدة . فلما افضت نظارة المعارف الى صاحب العطوفة حشمت باشا وهو من اكثر الوزراء تقديراً للعلم وسعياً في احيائه ونشره وجَّه عنايته الى هـذا المعهد العلمي فقرر تشكيل مجلس عال من نخبة رجال الادب يتولون النظر في حاجة دار الكتب الخديوية وكلف صديقنا زكي باشا سكرتير مجلس النظار مع كثرة اشغاله أن يوجه اهتمامه الى هذا المجلس .فاجاب مطيعاً لانه جزاه الله خيراً لا يتأخر عن عمل فيه خدمة لآداب اللغة العربية . فتشكل المجلس المشار اليه من زكي باشا ومحمد النجاري بك واحمد بك تيمور وعبد الرحم احمد بك والمستر كروفورت وعلي فوزي أفندي . برئاسة

اظر المعارف فاخــذ المجلس يشتغل في وضع القوانين والفهارس اللازمة لضبط الكتب وترتيبها وسهولة الانتفاع بها

وقد عقد هذا المجلس جلسة نهائية في آخر اكتوبر الماضي للنظر في تلك الشؤون فافتتح عطوفة الرئيس الجلسة بالاشارة الى المهمة التي القتها حكومة جناب الخديوي على عاتق المجلس الاعلى لاصــلاح دار الكتب وتوسيع منافعها وتسهيل مواردها على جميع الطالبين حتى تصبح مشرقاً للعلوم ومصدراً للآداب . واشار بالاجمــال الى المشروعات الكثيرة التي اعدها سعادته لادراك هذه الغاية الجسيمة واخصها مشروع احياءِ الآداب العربية ومشروع الترقيم.ثم هنأ الا ضاء واعرب عن امله في معاونتهم له . ثم قرروا تسهيل السبيل للانتفاع بكنوز دار الكتب الخديوية بحيث يتمكن جميع الطالبين من الاستفادة بما حوته من الذخائر وخصوصــاً اهل الطبقة المتنورة الذين تمنعهم اعمالهم العادية او الرسمية من التوجه اليها والاشتغال فيها . فاصــدر القرار الآتي :

« تفتح دار الكتب الخديوية للجمهور في فصل الشتاء من الساعة التاسعة صباحاً الى الساعة الاولى بعد الظهر ومن الساعة الرابعة بعد الظهر الى الساعة الثامنة مساء وذلك في كل يوم ما عدا يوم الاثنين في اكل اسبوع » .

اي انهم بدلاً من ان تقفل دار الكتب يوم الجمعة مثل سائر مصالح الحكومة قرروا فتحها في ذلك اليوم ليستفيد مستخدمو الحكومة الذين ليس لهم غير هذا اليوم فراغاً . وبما ان مستخدمي دار الكتب يحتاجون الى الراحة مثل سائر المستخدمين فقرروا اقفالها يوم الاثنين

تلك مأثرة من مآثر نظارة المعارف الجليلة التي اخذت على عاتقها احياء آداب اللغة العربية باصلاح المدارس وطبع الكتب النادرة وترقية التعليم وجعل اللغة العربية قاعدته . ووضع الترقيم لضبط الكتابة العربية بالفواصــل اللازمة لتمييز قوة الجمــلة ونسبة اجزائها بعضها الى بعض كما يفعل الافرنج . وغير ذلك من المشروعات التي لم تخرج بعد الى حيز العمل ولكننا على ثقة من سعي صاحب العطوفة ناظر المعارف فيها مما يجعل لوزارته شأناً خاصاً في اداب اللغة العربية سيذكره له التاريخ — وسنعود الى استيفاء الــكلام في هذا الموضوع



البرنس ضياء الدين افندي

نجل جلالة السلطان محمد الخامس

ملاقاة تاريخية

ابصرت مصر في ٢١ نوفمبر الماضي ما لا يتفق مثله الا نادراً — ابصرت سمو البرنس ضياء الدين افندي نجل جلالة السلطان محمد الخامس قادماً من الاستانة لملاقاة جلالة ملك الانكليز جورج الخامس ببور سعيد وهو في طريقه الى الهند . فوصل سموه الى الاسكندرية في ٢٠ نوفمبر فلاقاه سمو الخديوي بما لاق من الاحتفاء وسافر

معاً الى بور سعيد براً حيث لاقتهما « المحروسة » هناك فنزلا اليها واجريت المقابلات الرسمية . فاطلقت المدافع في صباح ٢١ نوفمبر من بورسعيد ترحيباً بجلالة ملك الانكليز ورفعت باخرته « مدينة » اعلامها رداً للتحية ورفعت المحروسة الاعلام مثلها وضربت الموسيقى السلام الخديوي

وفي الساعة العاشرة والربع ركب سمو الخديوي وسمو البرنس ضياء الدين افندي ودولة الامير محمد علي باشا شقيق الجناب الخديوي وسعادة سعيد ذو الفقار باشا سر تشريفاتي وسعادة رمزي طاهر باشا الياور الخديوي وعطوفة اسماعيل جناني بك ناظر التشريفات بالباب العالي وسعادة احمد بك ياور البرنس وسعادة مصطفى بك سكرتير البرنس . ركبوا جميعاً وهم لابسون ملابس التشريفة الكبرى الزورق الخديوي وركب عطوفة محمد سعيد باشا رئيس النظار وسعادة حسين رشدي باشا ناظر الخارجية زورقاً آخر وساروا نحو الباخرة « مدينة » . فوصل الزورق الذي يقل سمو الجناب العالي ومن معهُ الى الباخرة وجلالة الملك جورج الخامس على رأس السلم لاستقبال زائريه فسلم على الجناب العالي فقدم لجلالته سمو ضياء الدين افندي . وتقدم الامير محمد علي باشا فسلم على الملك . ثم صعد الاربعة الى حيث كانت الجنود مصطفة فاستعرضوها وفي اثناء الاستعراض صدحت الموسيقى بالسلام الخديوي والسلام السلطاني

ثم نزل الاربعة الى قاعة الاستقبال حيث كانت جلالة الملكة واقفة وحولها حاشيتها وسيدات الشرف . ودخل رجال حاشية الجناب العالي وبقية اعضاء الوفد السلطاني ثم بدأ الجناب العالي فرحب بجلالة الملكة وقدم لها سمو ضياء الدين افندي . وتقدم دولة الامير محمد علي باشا وسلم عليها واخرج ضياء الدين افندي ورقة وتلا خطاباً هذا نصه :

خطبة البرنس لملك انكلترا

« اني سعيد بنوع خاص لتشرفي بان اسلم لجلالتكم الخطاب الذي اراد صاحب العظمة والدي ان يشرح فيه لجلالتكم ولجلالة الملكة بمناسبة مروركم من البحر الاحمر قاصدين الهند عواطف الصداقة الخالصة التي يضمرها لشخص جلالتكم وشخص جلالة الملكة . ومما يجعلني اكثر سعادة ان العلائق الموجودة بين المملكة القوية وشعبها الانجليزي النبيل من جانب والمملكة والشعب العثماني من جانب آخر كانت في كل وقت مطبوعة بطابع المحبة الخالصة . واني سأؤكد من صميم قلبي لجلالتكم نفس عواطف الصداقة الودية التي يشرحها صاحب العظمة والدي في خطابه . ثم اقدم لجلالتكم

والجلالة الملكة اماني الخالصة في تمثلكم للصحة والسعادة ودوام عظمة انجلترا . اقدم لجلالتكم اماني هذه وارجو ان تتفضلوا بقبول ما اتمناهُ لجلالتكم ايضاً من السفر السعيد »

تلا هذا الخطاب باللغة التركية وتقدم جناني بك وتلا ترجمته باللغة الفرنساوية . وقدم البرنس الى جلالة الملك خطاب والده محمد الخامس وهذا نصه :

خطاب جلالة السلطان لجلالة ملك انجترا

«انتهزت سفر جلالتكم السعيد الى الهند وارسلت خصيصاً ولدي المحبوب صاحب السمو الملكي ضياء الدين افندي وكلفته ان يبلغ سلامي الى جلالتكم حين مروركم من البحر الاحمر وان يعبر لجلالتكم عن صداقتي الخالصة . واني اؤكد لجلالتكم الاماني المتينة التي اتمناها لصحتكم ولطول بقائكم الثمين ثم لعظمة وسعادة انجلترا . وارجو من جلالتكم ان تعتقدوا كل ما كلفت به ولدي بان يقوله لجلالتكم عن رغبتي التامة في بقاء وتقوية العلائق الودية لمملكتينا . وكذلك عن شدة عواطفي واخلاصها نحو شخص جلالتكم المعظم وشخص جلالة الملكة »

ثم خطب جلالة الملك باللغة الانجليزية ردًّا على خطبة سمو البرنس فترجم الجناب العالي لسمو البرنس خطبة جلالة الملك باللغة التركية — وهذا نص خطبته :

خطبة جلالة الملك رداً على خطابة سمو البرنس

« باستلامي الكتاب الذي اودعك اياه صاحب الجلالة الملوكانيــة اريد ان أؤكد لك تقديري العظيم للعواطف الراقية التي جعلت والدك العظيم ينيبك عنهُ للترحيب بي في شخصه بمجرد وصولي الى هنا وانا في طريقي الى الهند . واشكرك على العواطف الجميلة نحو الملكة وشخصي الذي تفضلت انت للتعبير عنها . وانه لمن اعظم آمالي ان العلاقات الموجودة الآن بين البلادين تستمر الى ما شاء الله »

ثم قدم جلالة الملك الى البرنس جوابه على خطاب جلالة السلطان وكان قد اعده قبلاً . ثم قدم الجناب العالي رجال حاشيته لجلالة الملك والملكة . وقدم جلالة الملك رجال حاشيتهِ لسمو الخديوي ولسمو البرنس ضياء الدين افندي . ثم اراد الجناب العالي ومن معه الاياب فرافقه جلالة الملك مودعاً الى آخر السلم ولم تستغرق هذه الزيارة اكثر من ٢٠ دقيقة . ثم جاء عطوفة رئيس النظار وناظر الخارجية والمستشار المالي ومستشار الداخلية وقد قدمهم للملك جناب اللورد كتشنر فخاطب جلالته كلاً

منهم مرحباً . ثم دعاهم الى تناول طعام الغداء على مائدته . وبعد نحو ١٠ دقائق ودعوا وخرجوا من حضرته . وعاد عطوفة رئيس النظار وسعادة ناظر الخارجيـة الى المحروسة . وبعد ذلك جاء صاحب الفخامة كامل باشا الصدر الاعظم الاسبق وقابل جلالة الملك ولبث في حضرته نحو ١٠ دقائق

رد الزيارة

وفي الساعة ١١ ونصف جاء جلالة الملك الى « المحروسة » ليرد الزيارة فاستقبله على رأس السلم سمو الجناب العالي وسمو البرنس ضياء الدين افندي وعلى يمينهما عطوفة رئيس النظار وسعادة وزير الخارجية وعلى شمالهما عطوفة اسماعيل جناني بك ناظر التشريفات السلطانية وسعادة ونجت باشا سردار الجيش المصري . ولما صعد الملك سلم على الجناب العالي وسمو البرنس مصافحة . ثم صعد هو والجناب العالي وسمو البرنس حيث استعرضوا الجنود نحو ١٠ دقائق . فسلم الملك سلام التوديع وصدحت الموسيقى بالسلام الملوكي . ثم نزل الملك يرافقه الجناب العالي واللورد كتشنر الى الزورق فركبوه الى الباخرة . وبعدما اوصل الجناب العالي الخديوي جلالة الملك الى الباخرة (مدينة) عاد الى المحروسة وعند الساعة الواحدة الا ربع توجه سموه وصاحب النجابة البرنس ضياء الدين افندي وبقية اعضاء الوفد وصاحب العطوفه رئيس النظار وسعادة ناظر الخارجية المصرية الى الباخرة (مدينة) لحضور مأدبة الغداء

وفي الساعة ٥ بعد الظهر نزل الجناب العالي الخديوي المدينة وعلى يساره صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس النظار . واخترق بموكبه شوارع المدينة الى دار المحافظة وهناك اجريت التشريفات

وفي الساعة ١١ ليلاً سافر سموه الى القاهرة ومعه البرنس ضياء افندي وبقية الوفد السلطاني وصاحب العطوفة رئيس النظار ورجال المعية . فوصلوا القاهرة في صباح الاربعاء ٢٢ نوفمبر وقد اقترح سمو البرنس ان تكون زيارته بلا احتفال

واهدى جلالة ملك الانجليز وسام فيكتوريا من الطبقة الاولى الى سمو البرنس ضياء الدين افندي قلده اياه اللورد كتشنر في القاهرة بالنيابة عن جلالة الملك . وقضى سمو البرنس ثلاثة ايام في القاهرة بضيافة سمو الخديوي ثم عاد الى عاصمة السلطنة في ٢٥ نوفمبر الماضي رافقته السلامة في السفر والاقامة

النهضة العثمانية

على اثر التعديات الايطالية

لما اعلنت ايطاليا عزمها على فتح طرابلس تولانا الاسف لما نخشاه من تفوق تلك الدولة على دولتنا بالقوة البحرية ولاسبيل لنا اليها في البر. لكننا ما لبثنا ان راينا كفة النصر راجحة من جهتنا لتكاتف الجند والاهلين في دفع العدو . وقد اختلفت الروايات في مقدار ذلك النصر . على ان تعدي الايطاليان على طرابلس الغرب عفواً بلا سبب يوجبه مهما كانت نتيجته السياسية فقد اظهر للملاء تكافؤ العثمانيين وثباتهم وصدق عزيمتهم في الدفاع عن مملكتهم وشرف دولتهم واجماع كلمة المسلمين على الاخذ بناصرهم من شواطيء الاتلانتيكي الى اقصى الشرق في الهند وفارس . ومن شمالي اسيا في تركستان وغيرها الى اقصى الجنوب في اليمن وزنجبار وجزائر الهند

فتشكلت اللجان لجمع الاعانات المالية وانتصبت الاقلام للدفاع عن حقوق الدولة العثمانية فانهالت الاعانات بالالوف وتبرع آخرون للتطوع بانفسهم . ونهضت بعض الامم للزحف برجالها على عدوهم . وكان المصريون من اكثر الشعوب عطفاً على هذه الدولة فتشكلت فيها لجنة عامة لجمع الاعانة برئاسة صاحب الدولة البرنس عمر طوسون باشا وتألفت لها فروع في انحاء القطر . وقد زاد المجموع من النقدية الى صدور هذا الهلال على نيف وستين الف جنيه والهمة لا تزال مبذولة في هذا السبيل . وشكل المصريون بعثة طبية من الهلال الاحمر فصلنا خبرها في مكان آخر من هذا الهلال

وقد استفادت الدولة العثمانية من هذا التعدي ما يستفيده النشيط اذا اصابته صدمة توقظه وتزيد اختباره وتبعثه على العمل والحذر. كانت الحكومة العثمانية الدستورية في حاجة الى هذه الصدمة بعد ان نالت دستورها على اهون سبيل ولم تتفق احزابها في الخطة التي تسير عليها وخصوصاً من حيث علاقاتها مع الدول الاخرى — لا تعلم من توالي منهن المانيا او انكلترا او فرنسا او غيرها. فاصبحت بعد هذه الصدمة وقد عرفت صديقها من عدوها فتميل الى الجانب الذي يربحها . وتتوازن الآراء وتستقر الاكثرية على الاصلح . فاتت هذه الحرب الظالمة بنهضة سياسية للدولة العثمانية ستعود بالنفع الجزيل عليها في كل حال . واول طلائع هذا النفع تجديد روابط المودة مع انكلترا بايفاد سمو البرنس ضياء الدين افندي لينوب عن جلالة ابيه في ملاقاة جلالة ملك الانكليز في طريقه الى الهند كما بيناه في هذا الهلال

عتاب واستصراخ

من قصيدة لخليل افندي المطران

في سبيل حرب الايطاليان

صدقت في عتبكم او يصدق الشممُ ... لا المجد دعوى ولا آياته كلمُ
يا أمتي حسبنا بالله سخرية ... منا ومما تقاضى اهلها الذمم
هل مثل ما نتباكى عندنا حزنٌ ... وهل كما نتشاكى عندنا ألم
ان كان من نجدة فينا تفجعنا ... فليكفنا ذلنا وليشفنا السقم
تمتعوا وتملوا ما يطيب لكم ... ولا تزعكم محاطيرٌ ولا حرم
او اعلموا مرة في الدهر صالحة ... علماً تؤيده الافعالُ والهمم
باي جهل غدونا أمةً هملاً ... وأي عقل تولت رعينا الامم
لا تنكروا عذلي هذا فمعذرتي ... جرحٌ بقلبي دام ليس يلتئم
نحن الذين ابحنا الراصدين لنا ... حمىً به كانت العقبان تعتصم
لو لا تغافلنا لو لا تخاذلنا ... لو لا تواكلنا تالله ما اقتحموا
لم ابغ من ذكرها ان تيأسوا جزعاً ... خيرٌ من اليأس ان يستقدم العدم
يأس الجماعات داء ان تملكها ... فهو التحلل يتلوه الردى العمم
لا تقنطوا كره الله الأولى قنطوا ... اليوم يعتزم الابرار فاعتزموا
اليوم ان تبخلوا اعماركم سفهٌ ... والجاه فقر ومقصوراتكم رجم
اني لاسمع من حزب الحياة بكم ... (نصراً لامتنا سحقاً لمن ظلموا)
نعمْ لتنصر على الباغين امتنا ... لا بالدعاء ولكن نصرها بكم
ان نبغِ اعلاءها لا شيء يخفضها ... فهل تموت وفيها هذه النسم
الشعب يحيي بأن يفدى ومطعمهُ ... مال البنين مزكى والشراب دمُ
عودوا الى سير التاريخ لا تجدوا ... شعباً قضى غير من ضلوا الهدى وعموا
لا شعب يقوى على شعب فيهلكه ... فان تر القوم صرعى فالجناة هم
عاذت بابائها الماضين دولتنا ... من أن يلمّ بها في عهدنا يتم
فاحموا حماها ولا تهتك ستائرها ... عن منجبات العلى يستحيها العقم
واحرَّ قاباه من حرب شهدتُ بها ... سطو الثعالب لما اقفر الاجم
هانت علينا وان جلت مصيبتها ... لو ان خطاب ذاك الفخر غيرهم

اي طيف عثمان لم يبرح بهيبته … حياً على انه بالذكر مرتسم
انّى تخطى حدوداً انت حارسها … جفلى الطلايين لم يخشوا ولم يجموا
لو رعت يا طيف من غيب مسامعهم … بزأرة حين جدّ الجدُّ لانهزموا
ظنوا بملكك من طول المدى هرماً … سيعرفون فتىً لا يعرف الهرم
خذوا حقيقة ما شبهتموه لكم … مما تخبره القيعان والقمم
هل في جزائركم أم في مدائنكم … ما لم تطأه له من سالف قدم
خلتم طرابلس الغنم المباح لكم … وشرُّ ما قتل الخداع ما غنموا
هناك يلقى سرايا كم وان ثقلت … احلاس حرب خفاف في الوغى هضم
لله هبتهم لله غارتهم … تحت الرصاص وفي اسماعهم صمم
هم السحائب الاّ انها أسدٌ … هم الكتائب الا انها رخم
يغشون بكر الروابي وهي ناهدةٌ … فتكتسيهم على عريٍ وتحتشم
وربما طرقوا الطود الوقور ضحى … فهو الخليع يُصابيهم ويغتلم
وربّ وادٍ تواروا فيه ليلتهم … فخاطهم بجناحيه وقد جثموا
اتنظرون بني الطليان معجزهم … وتذكرون الذي اساكم القدم
جند من الجن مهما اجهدوا نشطوا … كأنما الضيم بالاعداء دونهم
مهما تشنعت الحرب الضروس لهم … أعارها ملمحاً للحسن حسنهم
والارض راقصة والريح عازفة … والجدُّ يمزح والاخطار تبتسم
مغلبين ولا دعوى ولا صلفٌ … معذبين ولا شكوى ولا سأم
الجوع قُبح من كفرٍ وان ولدت … منه اعاجيبها الغارات والقحم
يا رب عفوك حتى الماء يعوزهم … فمر تجدهم بنقع الغلة الديم
لكن اراهم وفي ارواحهم علل … مما تواعدها الثارات والنقم
كونوا ملائك لا جوعٌ ولا ظمأ … وليغلبنّ نظامَ الخلق صبركم
أليس منكم اوان الكر كل فتى … يصول ما شاء في الدنيا ويحتكم
يقول للعلم الخفّاق في يده … فيء من الارض ما تختارُ يا علم
وكل آب بقاء ان اباه له … عزٌّ لدولته او مطمعٌ سنم
الموت ما لم يكن عقبى مجاهدة … نومٌ تبالد حتى ما به حلم
بعض الثرى فيه آمال يحس لها … ركزٌ ونبضٌ وفي بعض الثرى رمم
أرعد حديد وابرق في كتائبنا … واغلظ ورقّ كما يبغيك بطشهم

ابصق دخاناً بوجه المعتدي ولظىً اذا التفتّ تحاذيه وفيك فم
او التمعْ في نصالٍ لا عداد لها خطافة تتغنى وهي تقتسم

ليبرز العلم من تلك الصفوف لنا علام يمكث فيها وهو ملتثم
انا عرفناك انت اليوم قائدهم وكل آياتك الكبرى لهم خدم
هل جئت تبترنا ام جئت تزجرنا من حيث توقظنا الاوجاع والغمم

تالله لو طار فوق النسر طائرهم وذللت لهم الابحارَ فلكهم
وسخرت كل آيات الفناء لهم حتى الجوارف والارياح والرجم
لن يملكوا نفس حرٍّ في طرابلس ولن يضيموا سوى الاشلاء ان حكموا

يا ايها الوطن الداعي لنجدته لبتك مصرُ ولبى القدس والحرم
ما كان خطب ليدهانا ويبكينا كما دهانا وابكى خطبك العرم
لقد شعرنا بما نالت جهالتنا منا وبالغ في تأديبنا الندم
اشر بما شئت تكفيراً لزلتنا يشفع لنا عندك الاخلاص والكرم
اموالنا لك وقفٌ والنفوس فدىً وعش ولا عاش في نعماك متهم

خليل المطران



الايطاليان عند بوملیانه بعد انكسارهم

صحة العائلة

واجبات الحامل

اعلمي يا ام ولد الجيل القادم ان الواجبات التي القيت عليك وانت حامل لا يستخف بها . هي مقدمة على سواها وجديرة باهتمامك وعنايتك بقدر مالك من الهمة والعناية ولا يخطر ببالك ان زهرة الحقل تنبت في بطن الوادي عفواً فالطبيعة كانت لها امّاً اعتنت بها اياماً حتى ابرزتها بحلة جميلة تروق الناظرين

وكم يعاني المزارع من المشاق في حرث ارضه واعدادها صالحة للبذرة انه يلقيها في جوفها اشهراً يراقب نموها ويقاتل الطوارق اذا حالت دون خصبها الى ان يجيء اليوم الذي به يحصد ما زرعه وعلى وجهه علائم البشر والفلاح

وليكن لنا في الطير قدوة نقتدي به وعلم نتعلم قواعده كيف ان هذا الحي الصغير او الكبير منه يحرس بيوضه مثل حرسه فراخه ويدافع عنها بحياته . شاهدت في الصيف الماضي افعى تنسل على جذع تينة مدفوعة بحاسة الفطرة الى عش عصفور يستهان ببطشه . ولما اقترَبتْ منه كانت ربة البيت رابضة على بابه ودافعت عن فراخها حتى قضي عليها . فذهبت فريسة محبتها بالذود عن ثمرة جهادها في هذه الحياة

وعلم الحياة الذي منه نستقي هذه المعرفة ارقى العلوم وانفسها للانسان وهو يدلنا على اهمية وظيفة التناسل في المرأة ولا سيما في طوري الحمل والولادة ويرشدنا الى التغييرات الرئيسية التي تحدث فيها والمخاوف التي تحوم حول عرش هيكلها اللطيف وينبئنا احياناً بما ينتج عن اهمال هذه الواجبات من العواقب الوخيمة على الام وجنينها أو على احدهما

واهم هذه الواجبات واولها : الرياضة . لا اخالكِ تجهلين ما للرياضة الجسدية من الفوائد العديدة فهي تساعد الاعضاء الرئيسية على اتمام وظيفتها بنشاط من هضم الطعام وامتصاص الغذاء وافراز الفضلات القاتلة . والرياضة انواع لا حاجة الى تعدادها ولا اشير عليكِ وانت بعيدة عن طبيب يرشدك الى ما هو انفع منها لكِ بغير المشي

وهو نوع من الرياضة لطيف مفيد يلائم الحامل مهما اختلفت احوالها . ولا سيما في الطور الاخير من اطوار الحمل . الا اذا كانت الحامل معرضة للاسقاط فحتى هذا يكون سبباً لكدرها . ويصعب على الطبيب ان يعين مقداراً محدوداً من الرياضة لكل حامل ما لم يشاهدها ويفحص قواها ليكون اميناً واثقاً ان اشارته لها من النوع ومقدار الزمن الذي يجب ان تقضيه في تلك الرياضة ما يوافق مزاجها واحوالها . أما الآن فاشترط عليك الوقاية والاعتدال ليس بالمشي فقط بل بكل حركة تأتينها توجب اجهاد القوى الى درجة الاضناك . فاحذري من الافراط ولا تقربي من التفريط باعمالك الضرورية التي لا مندوحة لك عنها . واياك والاستسلام الى عواطفك ولا سما في اثناء الدواعي الشديدة القاهرة فتجنين بذلك على نفسك ذنباً وعلى الجنين الذي تسقينه دمك سقماً اكيداً. بل حكمي العقل بخطواتك دائماً وهو يقودك الى ما يعود عليك بالفائدة المرغوبة الى الشاطئ الامين حيث يقطف العالم أثمارك وتجدين مسرة بعين الحياة حواليك

واذا تعذر عليك يوماً الخروج من البيت فدلكُ الجسم دلكاً لطيفاً يعوض عليك فائدة المشي والسفر بالعربة . أما الركوب على الخيل لاماكن بعيدة فغير مسموح به وخصوصاً في الاشهر الاخيرة

ثانياً : يجب ان يكون طعامك كافياً مغذياً سهل الهضم . والمقبلات او المشروبات الروحية ممنوعة وكذلك القهوة والشاي . وفي الشهرين الثامن والاخير اجعلي مواقيت اكلك اكثر من ثلاث مرات بالنهار وانهضي عن المائدة قبل الشبع . ويحسن بمن تعسرت ولادتها الاولى لنمو الجنين اكثر من العادة المنتظرة ان تقلل من اكل الحبوب كالارز والعدس والحمص والبطاطس وخصوصاً في المدة الاخيرة

ثالثاً : لا بدَّ من الذهاب الى بيت الخلاء مرة كل يوم وان كنتِ لا تشعرين بالحاجة الى ذلك . واذا حصل قبض شديد اقتصري على اللبن (الحليب) او اكثري منه مع تلطيف الطعام . او اشربي كأساً من الماء المعدني (فيشى) واذا لم تنجح هذه الوسائل استشيري الطبيب واذا حضر لا يبقى للغائب مجالٌ للكلام . انما احذرك من المسهلات القوية فكثيراً ما سمعنا بالاسقاط بسببها

رابعاً : الثياب . وهنا المصيبة الكبرى لان الموضة التي يوصي بها الطبيب تعاكسها باريز وكل زي غير باريزي غير جميل . ولكن هذه الظروف تقضي علينا بترك باريز جانباً والتمسك بما هو افضل . ان انسب ثوب اوافق الحامل على لبسه هو الذي يزيد

محيطه على محيط خصرها نصف متر على الاقل . ولا انكر على بعض الحوامل اللواتي تكررت ولادتهن وضع رباط حول وسطها اذا شعرت برخاء شديد في عضلات جوفها بل هو واجب

خامساً : يجب عليك ان تنامي وحدك ولو ادى ذلك الى بكاء طفلك او تكدير خاطر زوجك

سادساً : من الشهر السادس فصاعداً الفت عنايتك الى وجوب غسل حلمة الثدين بمحلول البورق صباحاً ومساء — وهو مركب من فنجان ماء فاتر وفنجان اسبرتو وملعقة كبيرة من البورق والمسح بقطنة مرتين في اليوم . فيمتنع التصلب الذي يحدث بالحلمة عقب الولادة . وخلاصة نصائحي :

(١) البشاشة تلازم محياك (٢) الرياضة كالمشي باعتدال (٣) عدم الاستسلام للعواطف وتجنب كل ما يدعو للكدر (٤) اذهبي الى بيت الراحة مرة بالنهار (٥) من الشهر السادس فصاعداً داومي غسل حلمة الثدي مرتين بالمزيج الذي ذكرته (٦) امسحي جسمك بالماء والسبيرتو مرة بالنهار

واستدعي الطبيب اذا شعرت بالعوارض الآتية : ١ اذا قل مقدار البول كثيراً ٢ اذا شعرت بصداع مزعج ٣ اذا شعرت بغشاوة على عينيك ٤ اذا لحظت ورماً بوجهك او برجليك ٥ اذا لازمك الامساك مدة

وآخر وصيتي « البشاشة تلازم محياك »

(مصر) الدكتور اندراوس شخاشيري

تاريخ آداب اللغة العربية

تعليمه في المدارس

قررت بعض المدارس الكبرى بمصر والشام تعليم كتابنا تاريخ آداب اللغة العربية للصفوف العليا فيها ولكن بعض الاساتذة الافاضل كتبوا الينا ان كبر الكتاب قد يحول دون تدريسه لانه سيدخل في ثلاثة مجلدات كبيرة . وسألونا اذا كان في العزم نشر طبعة مدرسية منه . فنجيب حضراتهم اننا عازمون بعد الفراغ من تأليفه ونشره ان نستخرج منه خلاصة مدرسية تلائم صفوف المدارس العالية والاتكال على الله

الدردنيل

ذكرت الصحف ان الايطاليان عازمون على محاصرة الدردنيل او ضربه . وما ادراك ما الدردنيل ؟ هو مضيق او بوغاز فاصل بين اوربا واسيا يحدهُ بحر مرمرا من الغرب كما يحدّه البوسفور من الشرق . ولذلك كان ذلك البحر من امنع بحور العالم لا يتيسر الدخول اليه الا من احد هذين البوغازين وهما امنع من عقاب الجو . وقد وصفنا البوسفور في الهلال الاول من السنة ١٨ اما الدردنيل (ويسمى ايضاً هيلسبون وشنا قلعة وبوغاز بحر سفيد) فهو مضيقٌ يوصل بحر ايجي بحر مرمرا . ويفصل برَّ اوربا عن بر اسيا . يمتد من الغرب الجنوبي الى الشرق الشمالي طوله نحو ٨٦ كيلومتراً اي اكثر من ثلاثة اضعاف البوسفور واعرض منه . فالبوسفور عرضه عند مدخله نحو كيلومتر ونصف واضيق مسافة فيه نصف كيلومتر . واما الدردنيل فيختلف عرضه من نحو كيلومتر الى ثمانية كيلو مترات . وطرفه المتصل ببحر ايجي في الغرب الجنوبي اضيق من الطرف المتصل ببحر مرمرا . وماؤه عميق يختلف عمقه من ٣٠ الى ٤٠ قامة . والجانب الاوربي منه الى يسار الداخل من بحر ايجي نحو بحر مرمرا جبليٌ صخري وعرٌ يصعب سلوكه . اما الجانب الاسيوي الى اليمين فانه سهل خصب منظره يشرح الصدر . قطعناه في اغسطس سنة ١٩٠٩ بطريقنا الى الاستانة فادهشنا موقعه الطبيعي وما على جانبيه من القلاع والحصون ولا سيما في اضيق نقطه . واذا أحسن تحصينه اصبح دخوله عنوةً قريباً من المستحيل حتى على اعظم سفن البحار لان القنابل تنصبُّ عليها من اليمين واليسار فتحطمها تحطيماً

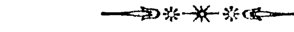
اما القلاع على ذلك البوغاز فنها قلعتان عند مدخله من جهة بحر ايجي احداهما على البر الاوربي اسمها سد البحر والاخرى على البر الاسيوي وتسمى قلعة قم .

واشهر قلاع البوغاز على الاجمال « شنا قلعة » على الشاطىء الاوربي . وقد سمي البوغاز بها لشهرتها . والقلعة السلطانية في بر اسيا وتسمى قلعة الاناطول القديمة . وقلعة قلد البحر او قلعة الروملي القديمة . وينتهي البوغاز في بحر مرمرا بمدينة غاليبولي في اوربا ولاماسكي في اسيا

ولهذا البوغاز حوادث شهيرة في التاريخ اهمها : ان زركسيس ملك الفرس لما حمل على بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد قطعه على جسر من السفن مع جيش قالوا انه يزيد على مليوني نفس . وحارب اليونان فهزموه في ترموبيل وسلاميس . وقطعه الاسكندر المكدوني لما حمل على الشرق في القرن الرابع قبل الميلاد . ولم

يستطع قطعه عنوة من الاساطيل في التمدن الحديث الا انكلترا . قطعه اسطولها بقيادة السير جون دوكورث سنة ١٨٠٧ — اتى الاستانة لحمل الباب العالي على مقاطعة بونابرت فابى واضطر الاسطول الى الرجوع بعد اسبوع وتكبد في رجوعه خسائر جسيمة . وقطعه الاسطول الانكليزي الفرنساوي المتحد بطلب السلطان سنة ١٨٥٣ . وقد قطعه سباحة اللورد بيرون الشاعر الانكليزي المشهور ومعه الملازم اكهند سنة ١٨١٠ ومن مقتضيات معاهدة سنة ١٨٤١ التي ايدتها معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ انه لا يجوز للسفن الحربية الاجنبية ان تدخل بوغاز الدردنيل الا باذن الباب العالي . وان السفن التجارية ونحوها لايؤذن لها بالمرور عند شنا قلعة الا في النهار . فكل سفينة يمسي عليها المساء قبل المرور هناك تلقي مرساها الى الصباح

هذا هو الدردنيل الذي تهددنا ايطاليا بضربه او حصره



باب الاخبار العلمية

﴿ القوات البحرية الاوربية ﴾ دول اوربا تتسابق في تقوية اساطيلها والمناظرة مشتدة الآن بين انكلترا والمانيا في هذا السبيل وكل منها تبني الدوارع في معاملها . وقد استخرج بعضهم احصاء لما سيصير عند هاتين الدولتين من الدوارع الكبرى المعروفة باسم دريدنوط الى سنة ١٩١٤ واضاف اليها قوات الدول الاخرى المقابلة فكانت النتيجة على هذه الصورة :

	١٩١١	١٩١٢	١٩١٣	١٩١٤
عند انكلترا	١٢	٢٠	٢٧	٣٢
« المانيا	٥	٩	١٥	١٩
« اميركا	٤	٦	٨	١٠
« فرنسا	٠٠	٦	٦	٨
« اليابان	١	٣	٤	٦
« روسيا	٠٠	٠٠	٠٠	٤
« ايطاليا	٠٠	٠٠	٢	٤
« النمسا	٠٠	٠٠	١	٣

﴿ الصحف اللاسلكية ﴾ تناقصت اجور التلغرافات اللاسلكية حتى صارت الكلمة الواحدة لا يكلف ارسالها من انكلترا الى كندا اكثر من ٧ بنسات اي نحو ٣ غروش مع ان اجرتها بالتلغراف الاعتيادي ٥ غروش . فنشأ عن ذلك ضرب من الصحافة التلغرافية لم يكن يتيسر من قبل . نعني نشر الصحف الاخبارية في البواخر باثناء سفرها في اواسط البحور العظمى . ومثل هذه الصحف ينشر الآن في البواخر الكبرى وفيها اخبار العالم . ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة بالبواخر التي تقضي بضعة اسابيع في اسفارها ولا تلامس الشاطئ

﴿ سن الوالدين والولادة ﴾ درس بعضهم انسب الاوقات من عمر المرأة للحمل والولادة بالنظر الى صحة النسل . ووضع احصاءات كثيرة قابل بينها بالدقة فكانت النتيجة ان المرأة تضع احسن بناتها قبل الخامسة والعشرين من عمرها واحسن ابنائها وهي بين السادسة والعشرين والثلاثين . والمولودون في هذه المواقيت اطول من سواهم نحو نصف قيراط . اما الرجال فاحسن سني التوليد فيهم بين السنة الثلاثين والخامسة وهذا في توليد الذكور وليس الاناث

﴿ اموال انكلترا في العالم ﴾ يؤخذ من احصاء الاموال الانكليزية التي يستثمرها الانكليز خارج بلادهم ان منها في اميركا ٦٨٨٠٨٧٠٠٠ جنيه اكثرها في انشاء السكك الحديدية . وفي كندا ٣٠٣٠٠٠٠٠٠ جنيه واكثر السكك الحديدية في كندا انشئت باموال انكليزية . وفي اوستراليا ٣٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه . وفي جنوبي افريقيا نحو ٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه . وفي الهند نحو ٦٨١٠٠٠٠٠٠ جنيه

﴿ ثروة لندن ﴾ يقدرون دخل لندن في السنة بنحو ٢٩٣٢٧١٥٨١ جنيهاً وبلغ عدد الشركات المسجلة فيها سنة ١٩٠٩ نحو ٤١٢٥٧ شركة مجموع رؤوس مالها ١٩٣٧١٩٦٠٠٠ جنيه . ويبلغ مجموع الاموال التي تتداول في بنوك انكلترا في السنة ١٤٦٥٤٦٨٣٠٠٠ جنيه . وتقدر اثمان ابنية لندن بنحو ٥٥٠٠٠٠٠٠ جنيه

﴿ معامل السينماتوغراف ﴾ كل منا يلاحظ التقدم السريع الذي تقدمه السينماتوغراف وقد شاع حتى ملأ الارض فاقتضى ذلك طبعاً كثرة المعامل التي تصنعه وقد اقتسمت العمل بينها فبعضها لاخذ الصور والبعض الآخر لتحضيرها ومعامل تصطنع السيور الحساسة التي تؤخذ الصور عليها . وقدر بعضهم مجموع ما ينفق في العالم من هذه السيور التي تعرض للناس بنحو ٩٠٠٠٠٠٠٠ متر في السنة قيمتها نحو مليوني جنيه

﴿ التأمين على حياة البهائم ﴾ في اسوج نحو ٤٦ شركة سوكرتاه تؤمن على حياة البهائم لها مئات من الفروع في الارياف ويبلغ مجموع ما يدفعه الاسوجيون تأميناً على حياة حيواناتهم نحو ٥٠٠٠٠٠٠ فرنك وثمن تلك الحيوانات لا يقل عن ٣٠٠ مليون فرنك

مطبوعات جديدة

كتب في مواضيع مختلفة

﴿ ضعف الاعتقاد في ناشئة المدارس ﴾ هي رسالة لحضرة سني بك مدير تحريرات ولاية بيروت كتبها منذ ١٢ سنة وهو في سلانيك جواباً على سؤال القاه عليه احد رؤساء المدارس هناك ولم ينشرها الا الآن . فيها ابحاث جديرة بالاعتبار في اسباب ضعف الاعتقاد الديني في ناشئة المدارس ومعالجته ويدخل في ذلك ابحاث فلسفية وعلمية تدل على سعة علم الكاتب في فلسفة الاجتماع وصدق نظره في التربية والتعليم

﴿ تقويم بركة ﴾ صدر هذا التقويم عن سنة ١٣٢٩ هـ لمؤلفه عبد الفتاح افندي بركة في تفتيش صحة الاسكندرية ويطلب من حضرته

﴿ المجازات النبوية ﴾ هو كتاب ديني اسلامي تأليف الشريف الرضي وقد عني بطبعه السيد حسن صدر الدين في بغداد ويطلب من حضرته

﴿ A help to second year physics ﴾ هو كتاب مدرسي في الطبيعيات حسب بروغرام المدارس المصرية وفيه تمارين ورسوم تأليف (E. G. Savage) ويطلب من محل ديمر بالقاهرة

﴿ كلمة حول الشورى ﴾ هو مجموع مقالات في السياسة العثمانية واحوال الدولة بعد الدستور للدكتور ايوب ثابت وتطلب من حضرته في بيروت

﴿ جدول تحويل القراريط ﴾ وضعه محمد افندي حلمي بدائرة البرنس محمود حمدي باشا لتحويل الكسور القيراطية الى اعشارية ويطلب من حضرته بمصر

﴿ علاج الشهقة ﴾ هي رسالة بالفرنساوية للدكتور نعمة نزيل تونس وصف فيها علاج السعال المعروف بالشهقة بواسطة العقار المسمى اكتيول مما جربه بنفسه ونجح فيه

فدعا لمياء للجلوس على وسادة بجانبه واخذ يرحب بها وابو حامد الى جانبه الآخر ــ وهو كهل قصير القامة دقيق العضل كبير الراس بارز الجبهة خفيف اللحية قد برز فكاه ونتأت سنّاه المتوسطتان من فكه الاعلى نتوءاً كثيراً وافترقتا . وله عينان غائرتان متقاربتان تبرقان دهاء ومكراً كأنهما مصباحان متجاوران قد اختلط نورهما . وفي احداهما انحراف نحو الاعلى وبينهما انف كبير اعقف كانف النسر . وقد ارسل شاربيه على شفتيه ليخفي سنّيه البارزتين . واهمل لحيته الخفيفة بلا تمشيط . وكان قد تخفف بلباس الليل وغطى رأسه بعرقية سوداء زادت تلك السحنة غرابة . اذا لقيه الرجل استخف به واحتقره فلا يلبث ان يخاطبه حتى يهابه لقوة عارضته وفصاحة لسانه

فلما رأى حمدون يرحب بلمياء شاركه في الترحاب وهش لها وسبق والدها الى مخاطبتها فقال « بارك الله فيكِ لقد جئت في ابان الحاجة اليك . . ولكن ما الذي جاء بك في هذا الليل ؟ »

فضحك ابوها وقال « يظهر ان روحنا خاطبت روحها عن بعد فلبّت الطلب »

فقالت لمياء والاهتمام باد في عينيها البراقتين « جئت يا سيدي لامر همني كثيراً »

قال وهو يبتسم « العلهم انبأوك بما دار بيننا وبين المعزّ في هذا الصباح »

قالت « لم ينبؤني ولكنني سمعت الحديث في اذني »

فتصدى ابو حامد للكلام قائلاً « اهنئك يالمياء بهذا النصيب الحسن »

فنظرت اليه نظرة عتاب وقالت « وانت تقول ذلك ايضاً ؟ »

قال « كيف لا اقوله ؟ . » ونظر الى ابيها كانه يستشيره

فقال حمدون « نعم يحق لنا ان نهنئك يابنية فان هذا النصيب لايتأتى لاحد من اهل القيروان »

فالتفتت الى ابي حامد وقالت « وسالم ؟ » وهي تتوقع ان تفحمه بذلك الاعتراض

فقال « سالم ؟ . حتى سالم يفرح لك بهذا النصيب . . »

فدهشت لهذا الجواب وقالت « سالم ؟ لا . لا . لا اظنه يفرح ولا انا فرحت به »

فالتفت ابوها اليها لفتة استغراب وقال « وانت لم تفرحي به ؟ . . بالله ما الذي تتوقعينه احسن من هذا ؟ »

قالت « اتوقع ان . . . » وغلب عليها الحياء فسكتت

فقال ابو حامد « ان كنت ترفضين هذه النعمة مراعاة لخاطر سالم فانا اضمن ارتياحه اليها »

قالت « سالم لا يرضى ان اكون لسواه ؟ كلا »

فضحك ابو حامد ملء فيه وهزّ راسه باستخفاف وقال « يظهر انك تنظرين الى هذا الزواج من وجه واحد فقط »

فاستغربت هذا التعبير وقالت «وهل ينظر في هذا الامر من عدة وجوه ؟ »

فاخذ حمدون وابو حامد ينظر كلٌّ منهما الى صاحبه ويضحك . واغرق ابو حامد في الضحك حتى كاد يستلقي على قفاه وقد برز سنّاه من بين شعر شاربيه . فشق ذلك على لمياء فابتدرها ابوها قائلاً « الا يكفي لقبولك بهذا النصيب ان يكون قد تمّ الاتفاق عليه بين ابيك وامير المؤمنين ؟ واذا كنت لاتبالين بخاطر والدك الاتهابين امر الخليفة ؟ » قال ذلك بلحن العتاب والتوبيخ

فخجلت من هذا التعريض لكنها لم تقتنع فسكتت واطرقت وفي سكوتها انكار لما يطلبونه منها . فتصدى ابو حامد وهو يظهر التلطف والاهتمام ويتشاغل باصلاح طاقيته وقال لها « انا لا اشك في تعقلك وحكمتك ولذلك فانا اخاطبك بصراحة . . اؤكد لك لو كان سالم هنا الآن لامرك ان تطيعي والدك وتقبلي بما عرض عليك . ليس لانه لايحبك ولكنه يرجو من ذلك خيراً لنا جميعاً »

فلما سمعت قوله استغربت ما فيه من التلميح ولم تفهم مراده وهي تعلم ان سالماً اذا كان يحبها كما تحبه لا يرضى ان تكون لسواه ولو اعطي مال العالم كله . . ولم تفهم ما هو النفع الذي يرجوه من قبولها . فوقعت في حيرة وظلت ساكتة وقد بان الارتباك في عينيها فتنحنح ابو حامد فنهض والدها وخرج من الخيمة وهو يظهر انه يريد حاجة عرضت له . فبقيت لمياء مع ابي حامد فتوجه نحوها باهتمام وقال « ارجو ان تكوني قد فهمت مرادي »

فرفعت بصرها اليه وقالت « كلا ياسيدي .. اعترف لك اني لم افهم مرادك . وانا اعلم ان سالماً اذا كان يحبني كما تقولون لا يمكن ان يرضى بهذا الامر . . اقيس ذلك على نفسي » واطرقت وقد توردت وجنتاها من الخجل وأخذت باصلاح المنطقة حول خصرها كان ثوب الصقالبة قد ضايقها لانها لم تتعوده

فقال ابو حامد وهو يخفض صوته كانه يسرُّ اليها امراً هامًّا « اني اجلُّ ذكاءك عن ان يخفى عليك مرادنا .. ام انت الآن راضية بالقعود اسيرة كالجارية في بيت ذلك الامير المغرور »

قال ذلك وفي صوته لحن الاحتقار . فتذكرت لمياء ما كانت تعلمه من نقمته

على المعز قبل ان تغلّب عليه . ولكنها كانت تحسبه غير عزمه واقتنع بما صار لعجزه عن مناهضته . واحست لما سمعت اسلوب تعبيره بغيرة هبّت في صدرها للدفاع عن نفسها وعن المعز فقالت « لم اكن اتوقع منك يا عماه ما سمعته فما انا جارية ولا المعز مغرور »

فقال « لله انت ما اطيب سريرتك انهم خدعوك حتى حوّلوا قلبك عن والدك واهلك وصرت تجدين الاسر عزًّا والذل سعادة .. اين انفة لمياء راعية الجواد الادهم سليلة آل مدرار اصحاب سجلماسة ؟ ام غرّك ما ناله اولئك من الظفر صدفة ؟ انهم غير اهل للملك والتحكم في الرقاب .. ألم تري منازلهم لا تميز عن منازل العامة يجلس اميرهم على اللبود ويلبس كسائر الناس ؟. اين ابهة الدولة التي كانت لوالدك واجدادك؟.. ان آل مدرار وحدهم اهل للسيادة وبهم وحدهم يليق الملك . . . اقول ذلك وما انا لسوء حظي منهم ولكنني اعرف منزلتهم ولا غرض لي غير الانتصار للحق — ولو كان والدك هنا لم اتخذ هذه الحرية بمخاطبتك »

الفصل الخامس عشر

التحميس

وكانت لمياء تسمع وتعجب ولم تستطع صبراً على السكوت فقالت « اراك يا عماه قد بالغت في التقريع ولا أرى حاجة الى ذلك .. ان المعز لدين الله لم يبلغ ما بلغ اليه من سعة الملك الاّ لانه احق بهذا الامر بما له من النسب الشريف انه من ابناء بنت الرسول وقد حاربنا وحاربناه ولو كان الحق في جانبنا لظفرنا به — كنتُ في مقدمة المحاربين المدافعين ولا ازال احب الاستقلال ولكنني لا اجد اليه سبيلاً . وهذا امير المؤمنين قد اكرم وفادتنا واحسن الظن بنا واخلصنا النية له فلا ينبغي ان نخونه »

فضحك ثم قطع ضحكته فجأة وقال « لم استغرب من قولك الا اعتقادك صحة النسب الذي يدعيه هؤلاء لانفسهم .. انا اعلم الناس بانسابهم ولكن الانسان اذا تغلب انتحــل النسب الذي يريده . أما قولك انهم تغلبوا وان ذلك دليل على حقهم في الخلافة فهو منقوض لانهم لم ينالوا هذا الامر ببطشهم وانت تعلمين ان ابا عبد الله الشيعي هو الذي سلم اليهم هذا السلطان . وانصاره هم اهل هذه البــلاد . ثم كافأه

هؤلاء الخلفاء بالقتل . . اليس كذلك ؟ وتقولين مع هذا انهم اكرموا وفادتنا واحسنوا الظن بنا ؟ ما الذي اكرموكم به وقد سلبوكم سلطانكم واغتنموا اموالكم ونهبوا منازلكم . يكفي ما اخذوه من قصرك من التحف والاثاث والرياش اين جوادك بل اين مرآتك الذهبية التي كانت في غرفتك ؟ اين حاضنتك التي كانت تعتني بلبسك وتدبير شؤونك اين ماشطتك ومربيتك . الم يكن الخدم عشرات في منزلك واذا ركبت وقفوا واذا مشيت تطامنوا واذا امرت اطاعوا . وكنت الملكة الآمرة الناهية لا يسمع في القصر غير امرك ونهيك — نسيت كل ذلك واعجبك ان تكوني رهناً عند هذا الرجل وتقولين انه اكرمك واحسن وفادتك ؟ انهم لم يكرموا احداً مثل اكرامهم ابا عبد الله المأسوف عليه ثم قتلوه غدراً . . . » قال ذلك وغص بريقه وكاد يشرق بدموعه

فتأثرت لمياء من خطابه وكانت تعلم غدر الفاطميين بابي عبد الله لكن تعلقها بطهارة نسبهم كان يحببهم اليها مع اعتقادها عجز والدها عن التغلب وخصوصاً بعد ما شاهدته من لطف المعز وامرأته وقائده وسائر اهل ذلك القصر . على انها لما سمعت تذكار سابق عزها ومجدها وشرف أسرتها وفخامة ملكهم تنبهت فيها شهوة الملك ونعرة السيادة فخفت لهجتها في المقاومة وأرادت أن تباحث ابا حامد في الامر وهي لا ترى بأساً من ذلك فقالت « ان ما قلته صحيح لاشك فيه لكن ما الفائدة منه ونحن لاحول لنا ولا طول و . »

فقطع كلامها قائلاً « هذا شيء آخر سنبحث فيه وقد سرني انك رجعت الى ما هو جدير بك من المحافظة على شرف ابيك وعز الملك .. انتم آل مدرار توارثتم السيادة كابراً عن كابر . واحرزتم الملك بحد السيف لا بالحيلة وادعاء النسب الشريف . »

فتحيرت لمياء لما سمعته من التناقض فقالت « اذا كان الامر كذلك فما بالكم ترغبونني في ابن ذلك القائد وهو مولى بن مولى وعنفتموني على ترددي في امره »

فابتسم وقال « ان شعرة من رأسك تساوي ملك هذا الخليفة وكل قواده . . ان ذلك الطالب لا يساوي قلامة من ظفرك . . . »

فاستغربت قوله وظنته يمزح فقالت « لم افهم مرادك ياسيدي »

فقال « مرادي ؟. ألم تفهمي مرادي ؟ وعهدي بك الذكاء او لعلك تتجاهلين . . اتظنين سالماً يرضى ان يحظى بك احدٌ من العالمين وهو حيٌّ ؟ »

فازدادت دهشتها وقالت « قلت لكم ذلك فغضبتم عليّ . لكنني لا ازال جاهلة

مرادك . . . »

فضحك ونظر نحو باب الخيمة وهمّ كأنه يتحفز للنهوض . فالتفتت ورأت اباها داخلاً ومعه رجل ملثم ملتف بعباءة لا يبدو منه الا عيناه . فلم تعرفه وابتدرها ابوها قائلاً وهو يهش لها « العلك لا تزالين على تمسكك بالرفض ومقاومة امر الخليفة وارادة والدك » قال ذلك وهو يتقدم حتى جلس في مكانه والرجل الملثم واقف بجانب احد اعمدة الخيمة كانه متكيء عليه . فشغل خاطرها به وخافت ان يكون في الامر دسيسة لكنها لم تستغش والدها . ولما سمعته يطرح ذلك السؤال عليها قالت « ولكن العم ابا حامد يقول انكم تبخلون بي حتى على الخليفة ولا تعطون شعرة مني بكل ملكه »

فضحك ضحكة تهكم وقال « هل قال لك ذلك ؟ . . هل صدقته ؟ لا . لا . كيف نخرج من اسر امير المؤمنين . . كيف تنكر فضله علينا اننا مدينون له بحياتنا . . » قال ذلك وتنحنح ونظرت لمياء في وجهه فرأت في عينيه معنى غير الذي نطق به لسانه . والعين أصدق تعبيراً من اللسان — فعلمت انه يتهكم ولكنها تجاهلت وقالت « لقد حيرتموني في امري . فلا ادري من اصدق »

ونظرت الى والدها فرأت الغضب في عينيه وهما تكادان تقدحان شرراً . وشارباه يرقصان في وجهه وقد تعودت ذلك فيه اذا اشتد غضبه . فتهيبت واثر منظره فيها وتوقعت ان تسمع جوابه فرأته نهض مسرعاً وهو يتعثر بحمائل سيفه واردان جبته ومشى على البساط مشية ملك يتخطر تيهاً وعجباً وليس في قدميه نعال وكان قد نزعهما بباب الفسطاط كالعادة . فالتفتت نحوه وهي تراعيه في تخطره وتنظر خلسة الى الرجل الملثم وقد ازدادت دهشة ولبثت صامتة . ووقع نظرها على ابي حامد فرأته ينظر اليها ويشير بسبابته على شفته السفلى ان « اسكتي اري »

الفصل السادس عشر

عزّ الملك

اما حمدون فبعد ان خطر مرتين ذهاباً واياباً وهو يلاعب شاربيه وسيفه يجرّ على البساط وقد انحرفت عمامته من مكانها ولم ينتبه لها من الغضب وقف بين يدي

لمياء وقال « لمياء يا لمياء ! الى متى تتجاهلين ومثلك لا يحتاج الى ايضاح هل تصدقين ان اباك امير سجلماسة سلالة آل مدرار السادة الفاتحين يرضى بمصاهرة عبد صقلي يباع امثاله في الاسواق بدنانير قليلة ؟ هل صدقت اننا نعير طلب صاحب القيروان التفاتاً . وانما نحن وافقناه حتى يتيسر لنا ما نريده . . لا تكوني ساذجة وانت ابنة حمدون صاحب سجلماسة قائدة الجند في ساحة الحرب . ما اسرع ما نسيت مجدنا وملكنا — نحن اصحاب سجلماسة ونصاهر العبيد ؟ . لا يغرنك ما اتيح لهم من النصر .. انها فلتة لا تستقر لهم طويلاً ... لا تستقر الا ريثما توافقيني على ما اطلبه منك فيذهب ملكهم ونسترجع ملكنا . ونخضعهم لاسيافنا » قال ذلك وهو يرتعش من الغضب

فتحمست لمياء وعادت اليها روح السيادة وحب الرئاسة وتأثرت مما ظهر من تحمس والدها لكنها اعملت فكرتها فلم تجد كلامه مبنيًّا على شيء واضح ثابت . لعلمها انهم هناك كالاسرى عند المعز لدين الله وان جند والدها وان كثر لا يعد شيئاً في جانب جند المعز واتباعه . ولكنها انصاعت لقوله بنفوذ الوالدية فان الولد كثير التصديق لما يسمعه من والده ومعلمه ولو كان مستحيلا . ومع ذلك فهي لم تفهم حقيقة ما يريدونه من ذلك التناقض فقالت « صدقت يا ابتاه وهل ترى وسيلة لارجاع ما كان الى ما كان اني ابذل روحي في هذا السبيل »

فلما سمع قولها اكب عليها وضمها الى صدره وقبل رأسها وابتسم ابتسام من فاز بضالة كان يبحث عنها وقال « بورك فيك من ابنة عاقلة . . انك جديرة ان تكوني ملكة سجلماسة والملك سيأول طبعاً اليك اذ ليس لي ابناء سواك »

فاخذتها عزة الملك وشغلتها عن انعطافها الى المعز واهله وتذكرت ما كانت فيه من الرفعة والكلمة النافذة وكيف كانت الرؤوس تطاطىء لها واللحى ترتجف تهيباً منها . فنهضت عن تحمس ووقفت بين يدي والدها قائلة « انكم تخاطبونني بالالغاز والاحاجي . ما معنى هذا التناقض قل يا ابتاه ما الذي تريدونه مني . . وقبل كل شيء احب ان اتحقق عدولك عن الرضا بطلب المعز لدين الله »

قال « اما هذا فلا .. لا اعدل عنه .. انها فرصة لا ينبغي ان نضيعها . . انها فرصة ثمينة لنيل مرادنا .. »

فلم تفهم قصده فقالت « كيف تريدون ان اكون ملكة في سجلماسة وتطلبون اليّ ان اتزوج احد اتباع صاحب القيروان ؟ »

فقطع كلامها قائلاً « لا اعني ان تتزوجيه •• ان باعه اقصر من ذلك كثيراً •• كيف تتزوجينه وسالم حيٌّ ؟ لو بلغ ذلك سالماً ماذا يقول عنا ؟ بل ما يقول عنك وانت راعية الجواد صاحبة السيف حامية حمى آل مدرار • انا لا اعني بقبولك ان تتزوجي ذلك الرجل فعلاً •• ولكننا نريد ان يكون قبولك وسيلة لاسترجاع ملكنا بكيفية ساشرحها لك وانما اريد ان اعلم قبل كل شيء هل فهمت مرادي »

قالت « لم افهمه بعد »

قال « ان مرادي ان نتخلص من صاحب القيروان وقائده •• واذا تخلصنا منهما لا يبقى في افريقيا كلها من يقف في سبيلنا ولا ان يمنع سيادتنا . »

قالت « وكيف نتخلص منهما ؟ »

قال ويده على قبضة حسامه كأنه يستله « نقتلهما »

فاجفلت وتراجعت واستغربت هذا التصريح وهي تعرف تهور والدها واندفاعه ولم يكن يخطر لها انه يتصور قدرته على هذا العمل • ولكنها اعتقدت انه لا يقول ذلك الا وهو على ثقة من قدرته عليه • فالتفتت الى ابي حامد وكان لا يزال قاعداً الاربعاء ويداه متصالبتان وقد اطرق في الارض كانه يفكر باهتمام . ثم وحولت نظرها الى الرجل الملثم بجانب العمود وقالت في نفسها « من عساه ان يكون هذا الملثم الذي شهد هذا التصريح الخطر لا بد ان يكون من الاقرباء » وخطر لها ان يكون سالماً نفسه وحالما خطر لها ذلك خفق قلبها ولم تعد تستطع صبراً عن استطلاع الحقيقة فنظرت الى والدها وكان قد عاد الى التمشي . فمشت نحوه حتى قبضت على يده وقالت بصوت ضعيف « اراك تقول ما تقوله على مسمع من هذا الملثم فمن هو ؟ »

قال « ستعلمين حالاً .. ولكن بعد ان توافقيني على ما قلته لك . . اني لم اعد استطيع صبراً على الذل .. يكلفوننا اذا دخلنا على صاحب القيروان ان نحييه تحية الامارة وان نؤمن على كل ما يقوله وان ندعو له بطول البقاء وان نقول له باننا عبيده الطائعون . واننا نضرب بسيفه ونجاهد في سبيله .. وانه صاحب الحق في الخلافة . وانه من نسل فاطمة الزهراء و.و.و.. ان ذلك فوق طاقة البشر . نحن اصحاب سجلماسة من اجيال متوالية وقد تأصلت السيادة في عروقنا فلا نستطيع احتمال هذا الذل فاما التغلب واما الموت »

فازدادت لمياء تحمساً بهذا القول وتناست كل شيء في سبيل العود الى مجدها وعزها . وسرها فوق ذلك أنهم لا ينوون اكراهها على القبول بابن جوهر بدلاً من

سالم حبيبها • فاقتنعت بهذه النتيجة وفرحت لكنها لم تفهم سر ذلك التضاد يريدونها ان تقبل الزواج بحسين وهم لا يسمحون بشعرة منها له •• كيف يتفق ذلك فقالت لوالدها « ان ما تطلبه يا سيدي هو غاية مرادي ولا بد من مراقبة الفرص للحصول عليه — اما الآن فارجو ان تطاوعني على التخلص من طلبة المعز ليطمئن بالي »

فقطع كلامها قائلاً « لن تسنح لنا فرصة اوفق من هذه »

قالت « واي فرصة تعني ؟ »

قال « قبولك مما طلبه صاحب القيروان •• وقبل اتمام الزواج تذهب روحه وروح قائده وابن قائده والسلام ••• » قال ذلك بعجلة ومشى مسرعاً الى مجلسه وقعد وهو يفتل شاربيه وتركها واقفة متحيرة فادركت بعض مراده ولحظت انه يريد ان يتخذ العقد عليها ذريعة للفتك بالمعز وقائده وابن قائده ولا يكون ذلك الا غيلة • فاجفلت ولكنها تجاهلت ولم تشأ ان تباحثه في التفاصيل وانما اقتنعت انه وافقها على التخلص من الزواج بغير سالم — وعادت الى التفكير بذلك الملثم وهو واقف كالصنم لا يتحرك فاقتربت منه وتفرست في عينيه ولم يكن ظاهراً من وجهه سواهما وقد وقع نور المصباح عليهما فابرقتا • ولم تتفرس فيهما قليلاً حتى اختلج قلبها في صدرها وصاحت « سالم ! »

فمدَّ يده الى اللثام وازاحه فاذا هو سالم بعينه • فلما بان وجهه خجلت واطرقت وتسارعت دقات قلبها وخارت قواها على عادتها معه وغلب الحياء عليها واخذتها البغتة لانها لم تكن تحسب سالماً في تلك الديار فتراجعت واطرقت

الفصل السابع عشر

التحريض

وكان سالم شاباً جميل الخلقة ممتلئ الجسم وكانت قد احبته كثيراً فهي ترى فيه طبعاً كل الحسنات ولا ترى في الدنيا اجمل منه • وكانت قوية الارادة مع كل انسان الامعه فانها كانت اطوع له من بنانه • فلما كشف وجهه واطرقت قال لها « بورك فيك يالمياء •• كنت اعتقد انك تحبينني ولكن ليس الى هذا الحد • ولا فضلك فاني

احبك مثل هذا الحب واكثر •• ولكن حبنا لا فائدة منه ان لم نسترجع مجدنا او بالحري مجد والدك وسلطانه •• بعد المسير على الخطة التي يرسمها لك »

فلم تتمالك ان صاحت فيه « وانت ايضاً تريد ان ارضى بما عرضوه عليّ.. عرضوا عليّ ان اكون لرجل سواك !.» قالت ذلك وهي تتوقع منه ان ينكره ويعترض عليه فاذا هو يقول « اريد ذلك وقتياً . . نعم اريد ان تظهري قبولك به ونحن ندبر ما يلزم في حينه » ومشى حتى قعد بجانب عمه ابي حامد واشار الى لمياء ان تقعد

اما هي فشغلها فرحها بتلك المقابلة عن كل خطر تتوقعه — ودهشة اللقاء تنسي المحبين كل شيء لاشتغال عواطفهم بالحاضر عن سواه

وراى ابو حامد ان الطبخة اوشكت ان تنضج فبادر الى اتمام معداتها فتزحزح من مكانه كانه يستعد لحديث طويل ونظر في اطراف الخيمة ولسان حاله يقول « هل يسمعنا احد؟ » فقال حمدون « انت في مأمن يا ابا حماد لاني امرت الحرس بالوقوف بعيداً وان يمنعوا اياً كان من الوصول الينا »

فمسح شاربية ولحيته بانامله ونظر الى لمياء باهتمام وقال لها « قد وصلنا الآن الى الجد يا لمياء .. هذا هو سالم صاحب الشأن وقد سمعت قوله — اما غريب عن آل مدرار وان كنت صديقاً لهم — ولكنني مستعد ان ابذل حياتي في سبيل نصرة الحق ومقاومة أولئك الخونة الذي نالوا هذه السيادة بالغدر والنفاق كما تعلمين . . ولايغرك ما يبدونه من التقشف باللباس والاثاث فان الذهب عندهم بالقناطير وانما يموهون على الناس ليطيعوهم ثم يفتكون بهم كما فتكوا بابي عبدالله الشيعي..» وتنهد ثم عاد الى الكلام فقال « وهذا والدك صديقي الامير حمدون اولى الناس بالامارة ولا حاجة الى دعوى كاذبة مثل دعواهم من الانتساب الى فاطمة الزهراء وانما يكفيكم الانتساب الى آل مدرار وشرفهم معروف لا يختلف فيه اثنان . لا تظني هذا الفكر حديثاً عندنا — ولعل والدك لم يقله لك ولكننا بحثنا فيه ونحن في سجلماسة ودبرنا المهمات اللازمة للتغلب على افريقية كلها ففسد تدبيرنا لاسباب قهرية وافلح ذلك الصقلي وتغلب علينا ولكن تغلبه لا ينبغي ان يضعف عزمنا عن طلب حقنا — وقد تتوهمين ان رجالنا اضعف من ان يستطيعوا محاربة جند القيروان — ان ذلك صحيح بحسب الظاهر وقد ينخدع به غير العارف اما انا فاؤكد لك ان هؤلاء الامراء والمشائخ من كتامة وصنهاجة الذين يظهرون الطاعة لهذا الرجل انما يفعلون ذلك تملقاً له وهم يتوقعون فرصة للخروج عليه ولا بد من واحد يبدأ بهذا العمل فيتبعه سائر الامراء وتكون

السيادة له فاحب ان يكون ذلك الشرف لوالدك فانه اعرقهم حسباً ونسباً فلا يكاد ينهض حتى ينهضوا معه — فكيف اذا دبرنا وسيلة لقتل المعز وقائده وهما روح تلك القوة الموهومة فان القوم كلهم يأتون معنا حتى اهل الخليفة أنفسهم لانهم ناقمون متحاسدون . . » وتنحنح ومسح شاربيه بمنديله تشاغل بذلك لحظة وهو ينتظر ما يبدو من لمياء

اما هي فكانت قد غلبت عليها شهوة الشرف وحب الاستقلال وتذكرت ما كان لها من السيادة والابهة في زمن والدها — فغشى ذلك على احترامها للمعز وحبها لام الامراء. وكان ابو حامد صاحب نفوذ في حديثه وسلطان في برهانه فاقنعها كلامه ورأت الحق في جانبه وتأثرت منه حتى شغلها عن وجود سالم هناك . لكنها ما زالت ترى صعوبة ذلك العمل فظلت ساكتة لتسمع تمام الحديث وترى ما يراه سالم . وادرك ابو حامد ما في خاطرها فقال « اني اوجه الكلام لك يا لمياء لعلمي انك عاقلة وعليك المعوّل في هذا الامر — فلا تغرك كثرة جند القيروان للاسباب التي قدمناها وعندنا مع ذلك جند يظهر عند الحاجة وعندنا اموال مدفونة لو اخرجناها لدهش العالم من كثرتها وهي مهيأة قبل ولادتك وولاة سالم لمقاومة هؤلاء الغادرين وارجاع الملك الى اصحابه . وليس في افريقية اولى به من والدك »

فظهر لها من كلامه امور كانت قد عرفت بعضها من احاديثها مع سالم قبل الاسر — والحب لا يؤتمن على سرٍّ لا يبيح به الى حبيبه فاذا شئت ان يبقى سرك مكتوماً احذر أن تستودعه محبًا — لكنها اظهرت انها لم تكن عالمة بشيء من هذا القبيل الا في تلك الساعة ونظرت الى والدها فرأته ساكتاً والتفتت الى سالم فاذا هو ينظر اليها كانه يتوقع ان يسمع رأيها فقالت « انكم تسعون في أمر هام تقطع دونه الرقاب وتزهق النفوس ولكن بذل الحياة في هذا السبيل لذيذ. اني يا عماه ابذل حياتي اذا كان في بذلها مصلحة لوالدي . . على اني استميحكم عذراً في كلمة اقولها وان كنت فتاة ضعيفة العقل . . ان ما تنهضون له من جمع كلمة القبائل تحت سلطان رجل واحد لم نسمع انه تمَّ لغير الخلفاء اصحاب النسب في قريش . ان الناس لا يخضعون لسواهم حتى صاحب القيروان لم يصل الى ما وصل اليه الا بهذا النسب سواء كان صحيحاً او غير صحيح . وبغير ذلك لا يتم شيء و . . »

فقطع ابو حامد كلامها وهو يضحك ضحك الاعجاب بتعقلها وسداد رأيها وقال « بورك فيه من حكيمة عاقلة . قد استدركتِ علينا امراً لم يستدركه احد سواك ولا

ينتبه له غير العقلاء الدهاة .. صدقتِ ان الامراء لا تجتمع كلمتهم الا باسم الدين وهذا امرٌ قد دبرناه وخابرنا بشأنه خلافة ارسخ قدماً واصدق نسباً من هذه . كوني مطمئنة .. لم يبق الآن الا خطوة واحدة وهي ان نتخلص من هذين الرجلين وثالثهما اذا امكن . وهذا لا يتم الا على يدك .. لا اطلب اليك ان تباشري ذلك بنفسك وانما يطلب منك ان تظهري انك رضيت بابن جوهر ونحن ندبر ما بقي ونقول لك ما ينبغي»

فاطرقت هنيهة تفكر في ما رأته من الغرائب في تلك الليلة وكيف اتت وصدرها مملوء من الاعجاب بالمعز والاخلاص له ولامرائه وما لاقاها به الحسين بن جوهر في الطريق من دلائل التعفف وصدق المودة وهي الآن تكاد تؤامر على قتلهم. فاجفلت وظهر التردد في عينيها فتلقاها سالم بالحديث قائلاً « لم اكن اشك انك لو طلب منك ان تقتلي ذلك الرجل بيدك في سبيل ارجاع سلطة والدك لفعلت فكيف وهم انما يطلبون سكوتك ورضاك . اطيعي لئلا يقال انك وقفت عثرة في طريقهم وانا على يقين انهم ظافرون . وسترين ان ما يبدو لك من مظاهر القوة في هؤلاء العبيديين انما هو سحابة صيف »

وكان لكلام سالم وقع خاص على اذني لمياء ولو خاطبها في ان ترمي نفسها في النار لفعلت . فلم تجد بدًّا من اظهار الرضى واعتقدت انهم على صواب — ومع ذلك تركت الامر للمستقبل فان الوقت يفعل ما تعجز عنه حيل الرجال — فقالت لسالم « انما كنت اتمنع رغبة فيك عن سواك فاذا كنت تريد ذلك فانا فاعلة »

فقطع كلامها بلحن الحب وقال « لا أعني ان تقبلي الى الاخر ... ولكن اقبلي فاذا لم استطع قطع الحبل قبل ان يقبضوا عليه فما انا أهل للحصول عليك . وتكونين قد حصلت على اعظم شاب عندهم » قال ذلك وتنحنح وابتسم يظهر المداعبة وهو بالحقيقة يعني ما يقول — وهو الواقع

الفصل الثامن عشر

الرجوع

فتصدى والدها عند ذلك وقد سرّه اقتناع ابنته فقال « بورك فيك يا ابنة صاحب سلجماسة بل انت صاحبة سلجماسة — انهضي الان وارجعي الى قصر المعز اذا

شئت . ومتى سئلت عن الرضى بالخطبة فاجعلي انك رضيت لان اباك وامير المؤمنين رضيا ... فهمتِ ؟ . هل ارسل معك من يوصلك الى المنصورة (قصر المعز) ؟ »

فنهضت وهي تقول « لا . لا احتاج الى احد »

فاعترض سالم على ذلك وقال « كيف تذهبين وحدك في هذا الليل انا ارافقك الى هناك ... »

فتذكرت انها لا تلبث عند خروجها من معسكر ابيها ان تلتقي بالحسين بن جوهر فكيف تجمع بين المتناظرين ؟ فالحت على سالم ان لا يرافقها هو ولا سواه لانها اتت وحدها وتعود وحدها وهي متنكرة بلباس خدم القصر ولا تخاف احداً . فقال لها ابوها « ومع ذلك لا بأس من ارسال بعض الحرس في اثرك ولو عن بعد لاننا لا نعلم ما يحدث . »

فاستحلفته ان لا يفعل فسكت وقبلها وودعها وودعت سالماً والعم ابا حامد ولكل منهم وداع خاص على شكل خاص . واصلحت هندامها وخرجت وقد اشتد الظلام والارض خالية بين المعسكرين لا انيس فيها . فمشت حتى خرجت من معسكر والدها فما لبثت ان رأت شبحاً يقترب نحوها عرفت حالاً انه الحسين كان في انتظارها وجاء لتشييعها الى المنصورة فاحست عند رؤيته بوخز في ضميرها واحتقرت نفسها لانها كانت منذ ساعة صادقة اللهجة شريفة النفس لا يخامر ذهنها غش او خداع وهي الان خادعة غاشة . وهذا الشاب ينبغي ان تظهر له انها تريده مكراً وكذباً واصبحت تعدُّ نفسها كالمؤامرة على قتله وقتل والده والخليفة المعز الذي هو ساهر على سلامته يفديه بروحه — مرت هذه التصورات في ذهنها مرور البرق والحسين يمشي نحوها . فلما اقترب منها حياها باحترام ولم يزد على ان مشى بجانبها والامام كالخادم الموكل بايصال مولاه الى مقصد . فاكبرت منه هذا التلطف ولم تتمالك عن ان قالت « لقد اتعبت نفسك يا سيدي في الانتظار طويلاً في هذا الليل .. »

قال وهو يماشيها على مهل «لم اتعب نفسي يا سيدتي فان ذلك فرض علي بل هو من بواعث سروري — كيف وجدت والدك الامير عساه ان يكون في خير ؟ » قال ذلك وهو يشير الى ما كان يتوقعه من ان يطلعها على خبر خطبته اياها ولم يكن يشك في انها ستفرح به وتحسب نفسها سعيدة بالحصول عليه

وادركت هي غرضه من ذلك السؤال واثر فيها تلطفه كثيراً فقالت « ان والدي في خير الحمد لله » وكانت تريد ان تزيد على ذلك انه شاكر راض وانه مشمول برضى

امير المؤمنين فلم تشأ ان تكذب فاقتصرت على هذا الجواب المختصر • فحمل ذلك منها محمل الحياء فعمد الى مداعبتها فقال « يسرني ان يكون والدك مسروراً ولكن يهمني ان تكوني انت مسرورة ايضاً »

ففهمت مراده وشعرت بصدق طويته وخلوص نيته في حبها وكيف هي تضمر غير ما تقول فعظم ذلك عليها وشعرت بصغر نفسها وتلجلجت • لكنها تجلدت واجابت « وانا ايضاً مسرورة لما اراه من التفات امير المؤمنين وام الامراء انها بالحقيقة قدوة الاميرات حفظها الله »

واراد الحسين ان يغتنم تلك الفرصة لمخاطبتها صريحاً بامر الخطبة وليس هناك من يسمع ـ ومهما ويكن من تحجب الفتيات عن طلابهن امام الناس فاذا خلت احداهن بخطيبها يرتفع الحجاب ويتشاكيان • ولم يجد الحسين فرصة أثمن من هذه ولا اوفق منها وهما في غفلة عن الرقباء • ولم يكن يشك ابداً ان اباها فاتحها بشأن خطبته وانها رضيت ولكن الحياء يمنعها من التصريح فعمد الى تجريئها فقال « اتشعرين يالمياء بالسرور الذي اشعر به انا ؟ »

فشق عليها ان يفاتحها بالمشاكاة واحاديث الغرام وهي في ما علمت من التردد والارتباك فقالت « لا اعلم مقدار سرورك ولا نوعه ولكنني اعلم اني مسرورة من حسن وفادة امير المؤمنين وام الامراء •• » واظهرت البغتة وهي تقول اظننا صرنا على مقربة من المنصورة فاني ارى انوارها •••فاشكرك شكراً جزيلاً على تنازلك ياسيدي فقد اتعبتك •• » وهمت بفراقه

فقال « لا نزال بعيدين عن تلك المدينة وان كنت ترين انوارها فلا تتعجلي في الفراق — الا ان اكون قد ثقلت عليك بالحديث ولعلي تطوحت الى وراء ما يجوز لي •• سامحيني » قال ذلك بلحن العتاب

فخجلت لمياء وودت لو انها لم تقابل اباها في تلك الليلة لانها كانت تعرف بماذا تجيب على هذه الاسئلة بصراحة • فربما أجابت انها تحبه وتحترمه ولكنها مخطوبة لسواه • أما الان فمع اعتقادها انها كذلك هم يطلبون منها اظهار رضاها به••وقد يهون عليها اذا سألها عن ذلك الخليفة أو ام الامراء وأما هو فيصعب عليها الكذب عليه وهي تشعر انه يحبها من كل قلبه فكيف تخادعه . ولما سمعت عتابه غلب عليها طيب عنصرها فقالت « العفو يا سيدي انك تبالغ في توبيخي فهل اسأت الادب في خطابك ؟ — أو كان ينبغي لي ان أعرف حدي فاقف عنده »

فغلبته في العتاب واحس انه أساء اليها وجرح احساسها بكلامه فقال « اني لا أستحق هذا التقريع يا لمياء • وانما أنا احتال في سماع كلمة تدل على رضاك وكفى »

الفصل التاسع عشر

صدفة غريبة

فلم تجد لمياء خيراً من السكوت المطلق لان الكلام يجر الكلام وهي لا تعرف ما تقول • وسكت هو تهيباً من سكوتها . وهما في تلك الحالة سمعا وقع حوافر فرس مسرع وراءهما فالتفتت فرات فارساً قادماً من معسكر ابيها ولم يقترب منها حتى علمت انه سالم فاجفلت من ذلك الاتفاق الغريب وخافت على سالم ان ينكشف امره لان اهل قصر المعز يعلمون انه غائب • والمعز يحب القبض عليه . وهو لم يلحق بها الا مبالغة في اكرامها لتثبت في وعدها وهم يبنون على ذلك الوعد العلالي والقصور ولكنه اظهر انه جاء ليخفرها . فلم رأى الحسين بلبس الخفر وهو يمشي في خدمتها ظنه من الحراس ولم يخطر له مطلقاً انه الحسين بن جوهر نفسه . فوقعت لمياء في حيرة لكنها تجاهلت

اما الحسين فالتفت الى الفارس وصاح فيه « من انت ؟ »

فقال سالم « وما يعنيك من امري ؟ سر في طريقك »

فقال « بل يعنيني • • • قف حالاً »

وكان سالم قد وصل الى لمياء فلم يجبه لكنه خاطب لمياء قائلاً « لمياء من هو هذا الرجل الذي تسايرينه »

فارتبكت في امرها وهي لا تعلم هل يريد الحسين ان يذكر اسمه ام يحب ان يبقى مكتوماً . فتلجلجت في الجواب لحظة وهي تنظر الى الحسين كأنها تنتظر ان يكون الجواب منه

اما هو فاستغرب خطاب الرجل بهذه الدالة على لمياء مما لا يكون الا بين الاقرباء فتبادر الى ذهنه انه من اقاربها الاقربين نخفف غضبه اكراماً لها وسألها قائلاً « من هو هذا ألعله من بعض اهلك »

قالت « نعم يا سيدي انه من ابناء عمي ويظهر انهم رأوني ماشية مع رجل لا

يعرفونه فظنوا عليّ بأساً فجاء احدهم لنجدتي . . »

فوجه الحسين خطابه الى سالم وقال « لا تخف يا صاحبي اني صديق محبّ وانا في خدمة ابنة عمك حتى اوصلها الى مأمنها »

فلم يرض سالم بهذا الجواب لان لمياء متنكرة بلباس الصقالبة فكيف تأتى لهذا الرجل ان يعرفها ويماشيها على انفراد ؟ فسبق الى ذهنه سوء الظن فقال « من انت يا صاحب العلاك متنكر مثلها ومن اخبرك انها فتاة وانها لمياء ؟ . »

فاستنكف الحسين من لهجته في خطابه وهمّ ان يخبره عن حقيقة حاله لكنه فضل الكتمان حفظاً لكرامة لمياء فقال « انا ايضاً من خدمة قصر امير المؤمنين وعرفت بخروجها بمهمة الى والدها الامير فجئت لمرافقتها في ذهابها وانتظرت عودتها وها انا معها الى مأمنها كما قلت لك »

فاستحسنت لمياء منه هذا الاسلوب وتوقعت ان ينتهي الجدال هنا لكنها ما لبثت ان رأت سالماً ترجل عن جواده وهو لا يزال ملثما ووقف بين لمياء والحسين وولى وجهه نحوها وقال لها « لا حاجة الى مماشاة الخدم اني اسير في خدمتك . . الم اقل لك اني مزمع على ايصالك فابيت ؟ »

فتجلدت وهي تخاف ان يغضب الحسين لهذه الجسارة وقالت « لم ارض ان يأتي منكم احد معي لاني على يقين من وجود هذا الرفيق . » قالت ذلك ومشت فمشى سالم بجانبها بينها وبين الحسين وهو يقول « لماذا لم تقولي لي عنه من هناك »

فاستثقلت ذلك الاعتراض وتحيرت في امرها وقالت « لم اجد حاجة الى ذلك »

قال « كيف ؟ انك بنت الامير حمدون صاحب سجلماسة لا ينبغي ان يستهان بك وان يكون رفيقك في هذا الطريق المظلم احد الغلمان . . قولي له ان ينصرف وانا اسير معك »

فارتبكت في امرها وخافت ان يغضب الحسين ويجر الجدال الى القتال او الى كشف امر سالم . وصارت ترتعد من التأثر وهي لا تدري ماذا تعمل فاجابه الحسين برزانة ولطف قائلاً « ان مسيرك معها لا يخلو من الخطر عليك ياسيدي لان حراس المدينة يستغشونك وربما آذوك او قبضوا عليك »

فضحك ضحك الاستهزاء وقال بتهكم « لا.لا يقبضون عليّ . فانت لا تعرف من انا . سر بطريقك ودعني . . » قال ذلك ومشى وهو يقود الجواد وراءه واومأ الى لمياء ان تتبعه فاغضبها عناد سالم ولم تعرف كيف تتخلص من هذه الورطة وهي تتوقع

أن يغضب الحسين ويفتضح امرها • فرأته ظل ساكتاً فعلمت انه سكت اكراماً لها وصيانة لشرفها لئلاّ يقال انهم رأوه معها في ذلك الظلام . فتراجعت وقالت لسالم « لا حاجة بي الى من يحرسني وخصوصاً اني صرت على مقربة من السور بالله الا رجعت وخليتني اسير وحدي »

فلم يجبها بل ظل ماشياً وظل الحسين واقفاً مكانه لا يبدي حراكاً . ولم يمشيا يسيراً حتى سمعا دبدبة وقرقعة واذا بكوكبة من الفرسان خارجين من باب السور مسرعين نحوهما فقالت « لماذا فعلت بنا هذا يا سالم ؟ اني اخاف عليك ••• لان الاوامر شديدة في القبض على كل من يرونه خارج السور •• وانت تعلم ان القوم يطلبونك فلا احب ان نفتح باباً للقيل والقال . عزمت عليك الا رجعت من هنا •• اركب جوادك وتحول الى معسكر والدي •• »

فعظم عليه قولها واستخف باندارها وقال « انهم لن يدركوا مني وطراً »

قالت « ولكنهم ربما آذوني بسببك •• بالله ارجع •• ارجع ••• رباه ما هذا العناد ؟ »

الفصل العشرون

الشهامة

والتفتت نحو الحسين فلم تره فظنت الظلام حجبه لبعده فوقفت وأعادت التوسل الى سالم ان يرجع فأبى خجلاً من نفسه ان يفرّ • فازدادت حيرتها وقد دهمها الوقت لان الفرسان وهم عشرة اصبحوا على مقربة منها • وتقدم واحد منهم وصوب سنان رمحه نحوهما وقال « من انتم »

فتصدت لمياء لهم وقالت « اني رسول امير المؤمنين كما تعلمون »

فقال « ومن هذا » وأشار الى سالم

فقالت « احد فرسان الامير حمدون جاء لمرافقتي في هذا الطريق »

قال « قد ذهبت بالرسالة بلا حارس .. وكيف يحتاج غلام امير المؤمنين الى من يحرسه في بلده •• وقد يكون هذا الرفيق جاسوساً فلا بد من القبض عليه » قال ذلك واشار الى رفاقه الفرسان فاحاطوا بسالم وقد صوبوا الاسنة نحوه وامروه ان يمشي امامهم . وتقدم اثنان ليأخذا الفرس منه

مكتبة الهلال

فلسفة النشوء والارتقاء

للعلامة الشهير الدكتور شبلي شميل